



موسوعة

المرأة المسلمة

تجميع وإعداد:

الدكتورة شيرين لييب خور شيد

الأستاذة: هيام كامل عيتاتي

موسوعة المرأة المسلمة



الطبعة الأولى
٢٠١٥ - ١٤٣٧

تصميم وطباعة:

cre8tive

٩٦١ ٣ ٠٧٦ ٥٣٧

٩٦١ ٧٠ ٦٦٢ ١٠١

موسوعة المرأة المسلمة

تجميع وإعداد:
الدكتورة: شيرين لبيب خورشيد
الأستاذة: هيام كامل عيتاني







المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى، وجعلها آية للعالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على أفضل قدوة وأسوة للأزواج أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

خلق الله - عز وجل - الإنسان - بجنسيه - لغاية واحدة أساسية ألا وهي تطبيق منهج الله تعالى في الأرض. وجعل الله تعالى آدم - عليه السلام - خليفة، ينفذ شرع الله - عز وجل - وأحكامه، ليلو (يمتحن) الناس أيهم أحسن عملاً.

وذلك لا يكون إلا بعمارة هذا الكوكب التي تستلزم أناساً أكثر، فلا يكفي الواحد أو الإثنين، لذا كان خلق الأنثى، ل يتم بينها وبين الذكر الرباط المقدس الوثيق الذي جعله الله - عز وجل - وسيلة لإنجاب الذرية التي ستعمر هذه الأرض.

وقد جعل الله - عز وجل - المرأة آية من آيات الله تعالى في خلقه، ونعمة من نعمه العظمى التي أنعم الله بها على الرجل، كما جعلها من أجمل متاع الحياة الدنيا، مع ذلك نجد المرأة والرجل في يومنا هذا أبعد ما يكونان عن تقدير ومعرفة نعمة الله عليهما وقد ذكر الله - عز وجل - نعمه على الرجل فقال: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾^(٢).

ولما جعل الله - عز وجل - في الناس حب الشهوات جعل في مقدمة هذه الشهوات النساء، وقد أكد رسول الله ﷺ ذلك بقوله: (الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)^(٣).

فالمرأة من أجمل متاع الحياة للرجل بدءاً من آدم - عليه السلام - إلى جميع الذكور من ذريته، إذ إنه بها يغض بصره، وبها يحصن فرجه، ولقد قدّم الله - عز وجل - النساء على الأولاد بذكره

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) رواه مسلم ١٧، حديث رقم: ١٤٦٧، كتاب: الرضاع، باب: خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.





للشهوات، مع أن حبهنّ قد يزول، بينما حب الأولاد لا يزول؛ لأن حب الولد لا غلّو ولا إسراف فيه كحب المرأة. كما أن الله بدأ تفصيل حب الشهوات بالنساء، لأنّ الفتنة بهنّ أشد، بحسب قول رسول الله ﷺ الذي ثبت في الصحيح: (ما تركت بعدي فتنة أضّر على الرجال من النساء)^(١).

مع ذلك فالمرأة الصالحة هي خير متاع الدنيا، وعليها أن تحفظ هذا المتاع الحَيّر بمعرفتها لحقوقها وواجباتها ودورها ورسالتها. فهل هكذا هي صورة المرأة اليوم؟!

اليوم نواجه إنهاراً لهذه الفكرة لدى كل من الرجل والمرأة، إذ إن جهل المرأة بما أنعم الله - عزّ وجل - عليها من نعم، أدى إلى تسلط الرجل عليها، فحرمها حقها بنتاً كانت أو أختاً أو أمّاً أو زوجة.

ومما زاد في هذا الظلم فتنة المرأة بما قدّم الغرب للمرأة من حقوق أضاعت عليها حقوقها الأصلية التي أنعم الله - عزّ وجلّ - بها عليها في جميع أحوالها وحالاتها.

من هنا فكرنا في إهدائك أيتها المرأة موسوعة « المرأة المسلمة » لتبين للمرأة عامة وللمرأة المسلمة خاصة، كل ما أنعم الله عليها من خصائص وحقوق طمست عمداً أو جهلاً في ظل البعد عن منهج الله تعالى.

أيتها المرأة الباحثة عن حقوقك ومقامك كإنسان بشري له دور أساسي في الحياة، اقرئي موسوعة « المرأة المسلمة » التي تتضمن خمسة كتب، تتناول حياة المرأة عامة منذ لحظة تكوينها إلى لحظة دثرها في التراب.

أما موضوعاتها المفصلة فقد وردت مؤثقة بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، تحت العناوين التالية:

الكتاب الأول: حواء: تكوينها وخصائصها.

الكتاب الثاني: نساء مؤمنات عبر التاريخ في ضوء القرآن والسنة.

الكتاب الثالث: حقوق وواجبات المرأة في الإسلام.

الكتاب الرابع: الزواج في الإسلام: حقوق وواجبات.

الكتاب الخامس: مدى الحق الديني في طلاق الرجل.

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٦٧، كتاب: النكاح، باب: الاكتفاء في الماء، ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٤٠.



وإليك سيدتي، في مقدمة هذه السلسلة، نورد معلومات تخصك أنت، لتزداد ثقتك بنفسك ولتعلمي أن الله جعلك آية من آيات خلقه، وجعلك مسؤولة عن هذا النشء الذي سيعمر الأرض كما يحب الله ويرضى، فلا تترددي إن تساءلت يوماً عن دورك في الحياة، وعن حقوقك في بيتك ومجتمعك وبلدك، لا تترددي في قراءة موسوعة « المرأة المسلمة »، وبخاصة قراءة الكتاب الأول الذي يتناول قضية تكوين المرأة وخصائصها.



الكتاب الأول:

حواء: تكوينها وخصائصها.

في هذا الكتاب نستعرض الموضوعات التالية إلى جانب المقدمة والتمهيد:

الفصل الأول: خلق حواء.

المبحث الأول: خلق آدم وحواء من نفس واحدة.

المبحث الثاني: تسميتها بحواء (في القرآن والسنة).

المبحث الثالث: اندفاع المرأة والضلع الأعوج.

الفصل الثاني: مواصفات جسم المرأة.

المبحث الأول: الهيكل العظمي ووصف أهم أجزائه وأعضائه.

المبحث الثاني: ممّ يتكون الإنسان.

المبحث الثالث: النفس في القرآن الكريم ومنافذها.

الفصل الثالث: اختلافات سايكولوجية عامة.

المبحث الأول: حالات المرأة النفسية.

المبحث الثاني: حالات الرجل النفسية.

المبحث الثالث: اختلافات أساسية بين الرجل والمرأة.

المبحث الرابع: اختلاف أسلوب المحادثة بين الرجل والمرأة.

الفصل الرابع: احتياجات المرأة العاطفية.

المبحث الأول: الاحتياج إلى الحب.

المبحث الثاني: البعد عن الجدل.

في الختام:

خاتمة البحث ونتائجه.

أسماء المصادر والمراجع.



همسة ود

فإلى كل امرأة أرادت تغيير نفسها لتنال حقوقها ولمعرفة مكانتها في الوجود ككائن بشريّ أولاً،
وكمربية للأجيال ثانياً، عليها أن تقرأ موسوعة « المرأة المسلمة » لتكتشف أن ليس كالإسلام
نظام أو منهج أعطى المرأة من الحقوق ما يحفظ لها كجنس بشريّ كل أنواع الكرامة والتكريم
... لذلك، نحن ندعو الله تبارك وتعالى أن يجعل من هذه الموسوعة منارة للمرأة المسلمة،
تتعرف بها إلى مكانتها في هذا العالم، وتبصر بها حقوقها، وتهتدي بها إلى سبل الأداء الجيد
للواجبات المترتبة عليها.

وأخيراً نختم بقولنا وما توفيقنا بذلك، إلا من الله وما العون إلا بالله، ولا ملجأ لنا إلا إليه،
ربنا تقبل منّا أعمالنا واجعلها خالصة لوجهك الكريم، اللهم صَفِّ نياتنا وأخلص أعمالنا،
وطهر قلوبنا من حب الدنيا وشهواتها، واجعل علمنا وعملنا دوماً ابتغاء وجهك الكريم وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شيرين لبيب خورشيد
هيام عيتاني خشوف
بيروت في ٧ / ٠٧ / ٢٠١٠





التمهيد:

خلق الله الكون لحكمة عظيمة تُظهر آثار أسائه وآثار رحمته، وآثار قدرته، وآثار حكمته، وآثار جبروته، خلق الله الخلق ليرحمهم وليظهر علمه وحكمته وجبروته وقدرته، وهو - عز وجل - غني عن جميع مخلوقاته وجعلهم جميعاً فقراء إليه.

لم يشهد أي مخلوق، ولا أحد كيف خُلِقَ هذا الكون. لم يشهد أحد خلق السموات والأرض ولا يستطيع أحد في هذا الكون أن يدعي أنه شهد خلق السموات أو الأرض أو ما بينهما قال تعالى:

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾^(١) لكي لا يكون هناك حجة لمن يتخذ نفسه إلهاً. فيعبده الناس، فالله سبحانه هو الخالق وهو الأول والآخر والظاهر والباطن... الأول ليس له بداية والآخر ليس له نهاية، وليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أو نداً أو مثيلاً أو شبيهاً^(٢).

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: (كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض)^(٣).

وروي البخاري في حديث عن عمران بن حصين: قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: (جئناك لتتفق في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض)^(٤) قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ بِدَبْرِ الْأَمْرِ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٥).

(١) سورة الكهف، الآية: ٥١.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه الصلاة والسلام، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٩.

(٣) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، حديث رقم: ٣١٩٠، كتاب: بدء الخلق، باب: ﴿وهو الذي بيؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾.

(٤) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، حديث رقم: ٧٤١٨، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم﴾.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣.



أي أن الله - جلّ جلاله - كان ولم يكن معه شيء، فهو الأحد، المنفرد بالخلق وحده لا شريك له، ولما أراد الله الحكيم خلق هذا الوجود، لحكمة يريد بها سبحانه، أو جده مُتَقَنَّاً مُتَنَاسِقاً، ولم يخلقه لهواً ولا عبثاً ولا لعباً، سبحانه.

مرّت على هذا الوجود فترةٌ زمنيّةٌ ليس فيها إلا الله تعالى، وحده لا شريك له، فخلق الماء، وخلق دُخَاناً، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ^(١)، ولا يراد بذلك الماء ماء المحيطات والبحار والأنهار، فهذا الماء ماء خاص، ووضع في مكانٍ خاص، وجعل العرش عليه بكيفية خاصة لا يعرفها بشر.

وأيضاً قال رسول الله ﷺ: (أول ما خلق الله تعالى القلم. فقال: اكتب. قال: ما اكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد)^(٢)، وفي رواية للترمذي: (قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)^(٣).

وقال ﷺ: (أول ما خلق الله خلق القلم فقال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بها هو كائن في ذلك اليوم إلى قيام الساعة)^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء)^(٥)، فعلم الله - عزّ وجلّ - ما كان وما يكون، ولو كان كيف يكون ويعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، ويعلم سرّكم وجهركم في الأرض، غنيّ عن جميع الأشياء، قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء^(٦)، قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام. وبعدها أراد الله - عزّ وجلّ - خلق السموات والأرض فتوجهت إرادته إلى خلقها وإيجادها، فكانت السموات والأرض متصلتين، ففصل الله بينهما، قال تعالى:

﴿أولم ير الذين كفروا أنّ السّموات والأرض كانتا رتقاً ففنقنهما وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون﴾^(٧) وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا السّموات والأرض وما بينهما في ستة

(١) لا نسأل كيفية ذلك ولا مكان الماء ولا أين خلقه فكل ما نعرفه أن الماء مخلوق، وأن عرشه على الماء، وأن هذا كان قبل الإنسان وخلق السموات والأرض..

(٢) رواه سنن الترمذي، رقم (٤٥٨/٤) حديث رقم: ٢١٥٥، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث حسن صحيح.

(٣) رواه سنن الترمذي، رقم (٤٥٨/٤) حديث رقم: ٢١٥٦، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث حسن صحيح.

(٤) انظر صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٥) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٦٥٣، كتاب: القدر، باب: حجّاج آدم وموسى.

(٦) القرطبي، عبد الله بن محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الجزء السادس، ص ٣٩٠ بتصرف.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.



أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿١١﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيَّتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نِيبًا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

(وهذا التفصيل في خلق السموات والأرض الدال على عظمة الخالق حين قدر أقواتها في يومين اثنين، مع إضافة اليومين السابقين فيكون المجموع أربعة أيام، وبعدها خلق السماء في يومين وجعل منها سبع سماوات.

بعدها خلق الله الأرض، جهّزها وهيأها للحياة، لتكون معمورة مسكونة، وجعلها كوكباً من المجموعة الشمسية، وجعل الله الشمس ضياءً، كتلة نارية، لا تحمد ولا تحبو، ولها ارتباط مباشر بالحياة على الأرض، وجعل الله القمر نوراً، وقدره منازل قال تعالى:

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾﴾.

وجعل الله الأرض قسمين ماءً ويابسةً، وجعل حجم الماء أكبر من حجم اليابسة، وجعل الرياح تهب على الأرض، وتحمل معها بخار الماء المتصاعد من البحار والمحيطات، وساق السحاب إلى الأرض اليابسة، وأنزل عليها الماء، وجعل في الأرض الجبال رواسي وأوتاداً، تثبيتاً للأرض لئلا تضطرب وتتحرّك وتميد بالذين عليها، وأمطر الله على الأرض ما شاء من الماء، وأنبت به مختلف أنواع الأشجار والزرور والنباتات، وأوجد الله الغابات الكثيفة في مختلف المواقع، وأثمرت الثمار، وخلق الله المخلوقات الحية من الماء، وجعلها دواباً تدب على وجه الأرض وتتراوج وتتكاثر وتعيش وتتقاتل، ويأكل بعضها بعضاً، وهكذا تسير الحياة على وجه الأرض قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق

(١) سورة ق، الآية: ٣٨.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ٩-١٢.

(٣) سورة يس، الآيات: ٣٧-٣٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٥.



النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل^(١).

خلق الله - عز وجل - كل هذه الأصناف تهيئةً وتجهيزاً للحياة على وجه الأرض^(٢).

وخلق الله - عز وجل - الملائكة قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرِيهُمُ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

وخلق الله الجن، وهم مخلوقون من مارج من نار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَلْبِ مَرْءٍ حَمِيمٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦١﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾^(٤).

قال رسول الله ﷺ: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَرْجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ ...) ^(٥). خلق الله - عز وجل - جميع المخلوقات، وهياً الأرض لاستقبال الخليفة، فجميع الخلائق تعبد الله - عز وجل -

- خلق الملائكة وفطروهم على طاعته، فهم لا يتزوّجون ولا يتناسلون ولا يحتاجون إلى الطعام أو الشراب، ولا استعداد عندهم للصراع أو القتال، ولا يشغلهم شيء عن ذكر الله، وجميع المخلوقات تصلي، وتسجد، وتسبح الله - عز وجل - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ أَحْسَنُوا لَسَوْفَ أَعْبُدُونَكَ يَوْمَئِذٍ بِالْحَقِّ وَأَلْقُوا الأَسْبَاطَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

وقال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٧).

وكذلك هي سائر المخلوقات في كمال الخضوع والانضباط والدقة في تنفيذ ما أمرها الله به.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ تَرَاتِبًا لِلَّهِ يَسْجُدُونَ لَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٨). وبعد أن هياً الله تعالى الأرض بما فيها وما عليها، لاستقبال هذا الإنسان الخليفة،

(١) أخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٧٨٩، كتاب: صفة القيامة، باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام.

(٢) الخالدي، صلاح، سيرة آدم عليه السلام، ص ١٤.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١.

(٤) سورة الحجر، الآيات: ٢٦-٢٧.

(٥) رواه مسلم ٢٩٩٦.

(٦) سورة النور، الآية: ٤١.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٨) سورة الحج، الآية: ١٨.



جعل الله تعالى لهذا الخليفة عطاءات خاصة تفتح له أبواب التوبة والمغفرة، وجعلها الله هبة لهذا الإنسان الذي قد يضعف أمام فتن الدنيا ومغرياتها، ولكنه يعود فيندم ويستغفر ربه... وقد ذكر رسول الله ﷺ ثلاثة من هذه العطاءات الربانية في أحاديث، نذكر منها: ما اختص برحمة الله، وباب التوبة المفتوح، وفضل صلة الرحم، قال رسول الله ﷺ بما يتعلق برحمة الله بعباده: (لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي)^(١).

وأيضاً قال رسول الله ﷺ: (إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة: فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة)^(٢).

وكذلك ذكر رسول الله ﷺ باب التوبة بقوله: (إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضه سبعون سنة، فلا يزال ذلك الباب مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس نحوه. فإذا طلعت من نحوه لم يفتح نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً)^(٣).

وأخيراً قال رسول الله ﷺ عن وصل الله لمن يصل رحمته: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى، قال فذلك لك ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ** (٢٣) **أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** (٤).

وبما أن علم الله الأزلي قائم بذاته، ليس له بداية وليس له نهاية، لا يسبقه جهل ولا يعتريه نسيان، ولا يتقيد علمه بزمان ولا مكان، يعلم ما ظهر وما بطن، وما خفي وما علن.

بذلك يكون علمه شاملاً لجميع المتصورات، سواء كانت واجبة كذاته وصفاته، أو مستحيلة كشريك له تعالى، أو ممكنة كالعالم بأسره، الجزئيات والكليات على ما هي عليه من جميع ذلك...

فالله سبحانه وتعالى عليم لا يخفى عليه شيء، يعلم الأشياء كلها علم إحاطة وانكشاف، السر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، لا تقف أمامه حواجز الزمان والمكان، ولا تخفى عليه خافية.

(١) رواه البخاري، رقم الحديث: ٣١٩٤، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وهو بيدوا الخلق ثم يعيده والأرض﴾ الروم، ٢٧. ورواه مسلم، بحديث رقم: ٢٧٥١.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٣٥، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى.

(٣) صحيح الجامع، رقم الحديث: ٢٢٢٩، أخرجه ابن ماجه من حديث صفوان بن عسال مرفوعاً، حديث رقم: ٤٠٧٠، كتاب: الفتن، باب: طلوع الشمس من مغربها.

(٤) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٩٨٧، كتاب: باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها.



وعلم الله السابق محيط بالأشياء على ما هي عليه، ولا محو فيه ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان، فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لو كان كيف يكون.

فَعَلِمَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بجميع المخلوقات قبل خلقهم أزليًّا، ومما لا شك فيه أن جميع المخلوقات بما فيها من الأحكام والإتقان يستلزم عِلْمَ الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يُمتنع صدوره عن غير علم^(١).

والحق إن وجود هذا الكون ووجود كل مخلوق فيه يدل دلالة واضحة على أن الله علم به قبل خلقه قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

والقدر هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأنه عز وجل قدّر مقادير الخلاق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعِلْمَ سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدّرها^(٤).

وعلم الله مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته^(٥).

فعلم الله الأزلي الذي حكم فيه بوجود ما شاء أن يوجد، وحدّد فيه صفات المخلوقات التي يريد إيجادها، قد كتبه في اللوح المحفوظ بكلماته. فالأرض والسماء: أحجامهما وأبعادهما وطريقة تكوينهما وما بينهما وما فيهما، وأعمال العباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار كل ذلك كتبه في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلقهم، ويخلق السموات والأرض.

وقد كتب القلم وجرى بها هو كائن إلى يوم القيامة كما أمره الله. ومن عِلْمِ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أن هناك صنفًا ثالثًا من المخلوقين العقلان، سيسكنون الأرض ويعمرونها، فالله حين تجلّى - جل جلاله - للملائكة أعلمهم أنه سيخلق آدم - عليه السلام -، وأن ما يميز هذا المخلوق عن باقي المخلوقات أنه أعطاه بعض الصفات التي يستطيع بها أن يعمر الأرض ويكون فيها خليفة يحفظ النعم ويعترف بفضل الله، ومن هذه الصفات: العلم والقدرة والإرادة، كما ميّزه عن غيره

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، شرح العقيدة الطحاوية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٢٨.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

(٤) السفاريني، محمد، لوامع الأنوار، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ط ٣، جزء ١، ص ٣٤٥.

(٥) العسقلاني، شهاب الدين، فتح الباري، احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨، ط ٤، الجزء ١، ص ١٠٢ - ١٠٣.





بالحرية والمسؤولية وجعل له خطاب الحساب والتكليف في دار الإبتلاء^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ذلك أن الله - عزّ وجلّ - قد خلق آدم - عليه السلام - ليكون خليفة في الأرض على وجه الإبتلاء؛ فيحيا مستخلفاً فيها: يتقلّب بين قدرة الله وحكمته، وفضله ورحمته، وعدله وقوته. فالغاية من خلق الإنسان تتمثل في عبادته لله من خلال أفعاله في الأرض والتزامه بمراد الله الشرعي، أي فيما استأمنه الله فيه واسترعاه، وخوّله وابتلاه^(٣).

ترى هل سيشعر الإنسان هذه الغاية، ويعتمد الحكمة في اتباعه صراط الله المستقيم؟

ونتساءل عن الصراط المستقيم ما هو؟ وما أحكامه؟ وما غايته؟ وإلى أين يقود هذا الإنسان المستخلف في الأرض؟

هيا سيدتي تعالي نتعرّف معاً حقائق وأبعاد الصراط المستقيم.



(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، شرح العقيدة الطحاوية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص: ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠

(٣) الرضواني، محمود عبدالرزاق، أساء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس دراسة مقارنة، مكتبة سلسبيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٤٩٠ - ٤٩٣ بتصرف.



الفصل الأول:

خلق حواء

- المبحث الأول: خلق آدم عليه السلام.
- المبحث الثاني: خلق حواء من نفس آدم.
- المبحث الثالث: اندفاع المرأة والضلوع الأعوج.



المبحث الأول: خلق آدم عليه السلام

علمنا أن الله هيأ الأرض لاستقبال الخليفة لتعميرها بالعمل والكد والسعي والاكتساب، إذاً لا بد لهذا الإنسان من أن تخلق فيه رغبات وشهوات وغرائز وحاجات وأهواء ولذات وآلام، وتترك له حرية الاختيار والإرادة الحرة، قال تعالى للملائكة: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾^(١) هذه السورة تنزلت على قلب رسول الله ﷺ في مكة المكرمة وترتيب نزولها رقمه ٣٧ وهي السورة التي بدأت بذكر قصة آدم - عليه السلام - وقد ذكرت غير مفصلة أما في سورة الأعراف وهي التي تلي سورة ص بالنزول قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّن السَّاجِدِينَ ﴿٢﴾﴾.

وتفصل الآيات قصة آدم - عليه السلام - من غير ذكر أسباب خلقه وما هي مهمته على الأرض. ذكرت قصة آدم - عليه السلام - في سورة البقرة - الأعراف - الحجر - الإسراء - الكهف - طه - ص.

أما ذكر قصة آدم - عليه السلام - بحسب ترتيب النزول فقد جاء بالتسلسل التالي:

ص - الأعراف - طه - الحجر - الإسراء - الكهف - البقرة.

نص القرآن الكريم على إيراد قصة آدم - عليه السلام - لهدفين: إثبات الوحي، وتقرير نبوة محمد ﷺ ووردت قصة آدم في السور والآيات التالية:

١ - في سورة ص: من الآيات ٦٧ إلى ٨٥.

٢ - في سورة الأعراف: من الآيات ١١ إلى ٢٥.

٣ - في سورة طه: من الآيات ١١٥ إلى ١٢٧.

٤ - في سورة الإسراء: من الآيات ٦٠ إلى ٦٥.

٥ - في سورة الحجر: من الآيات ٢٦ إلى ٤٤.

٦ - في سورة الكهف: الآية ٥٠.

٧ - في سورة البقرة: من الآيات ٣٠ إلى ٣٩.

(١) سورة ص، الآية: ٧١-٧٢

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١



خلق آدم - عليه السلام:

قصّ الله عز وجل قصة آدم - عليه السلام - كما أورد قصص كثير من الرسل والأنبياء في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُسُفُّ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (١).

والقصص القرآني هو القصص الحق، وهو أحسن القصص، قصه الله - عز وجل - على رسوله سيدنا محمد ﷺ ليثبت به فؤاده، ولعل الناس يتعظون ويعتبرون من هذه القصص فتكون عبرة لأولي الألباب.

أما مصادر استمداد القصص القرآني فهي مصدران: المصدر الأول: ما كان موثوق المعلومات، صادق الأخبار، فالمصدر الأول اليقيني: ما هو موجود في الكتاب الكريم، والمصدر الثاني: هو ما صحّ من حديث رسول الله ﷺ وكل ما سوى ذلك فهو مردود لا يقبل تصديقه ولا الأخذ به (٢).

سورة ص: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَأَ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِن عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ (٣).

سورة الأعراف: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

(١) سورة يوسف، الآية: ١

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ط ٢، ص ٤١ - ٤٢ بتصرف.

(٣) سورة ص، الآية: ٦٧ - ٨٨

فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنَ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي
 مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾
 قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ
 ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
 أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَأْمُورًا لَمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَادَمُّ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ
 الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ
 لَهُمَا مَا وَرَىٰ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن
 تَكُونَا مَلَكَئِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
 فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
 وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ
 أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٢٣﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا مَتَعُ إِلَى
 حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

سورة طه: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
 لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ
 وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا
 تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنْدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ
 الْخَالِدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
 الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يُبَايِعُكُمْ مِّنِي هُدًىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾

سورة الإسراء: قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّيَّا الَّتِي أَرَيْتَكَ
 إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْءَانِ وَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا
 لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ
 هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ
 أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُلِّ جَزَاءٍ مُّؤَفَّرًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْرِزُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ
 بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمْ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١-٢٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٥-١٢٧.



الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ (١)

سورة الحجر: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٦٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٦٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٦٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَتَّكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ (٢)

سورة الكهف: قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (٣)

سورة البقرة: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠-٦٥

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٦-٤٤

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠

فَمَنْ يَجْهَدِ فَاجْرُؤُهُ فَلَاحِوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

ذكر الله - عزّ وجل - بحسب ترتيب نزول الآيات في قصة آدم - عليه السلام - المحور الرئيسي، وهو عدم سجود إبليس لآدم، وعدم طاعته لربه، غرورا بهادة خلقه واحتقاراً لمادة خلق آدم، وأهمّ أمر ركّز عليه الله تعالى في القصة هو توعّد إبليس في غواية الإنسان. كل هذه القصص ذكرت في السور المكيّة، أي في مكة المكرمة. والهدف الرئيسي والأساسي منها هو إبعاد الناس عن وساوس الشيطان، إذ لم يكن للمسلمين دولة قد تأسست بعد، فهم ما زالوا تحت اضطهاد المشركين في مكة فأنزل الله الآيات لتحث المؤمنين على أن يصبروا على تعذيب قريش لهم.

ولكن حين أصبح المؤمنون في المدينة، ذكر الله - عزّ وجل - لنبيّه محمد ﷺ الهدف الأساسي من خلق الإنسان، وحدّد له مهمّته في هذه الحياة، وعرفّه الطريق المستقيم الذي ارتضاه له، وعرفّه بعدوّه اللدود إبليس، وكيف يحاول أن يقطع عليه جميع السبل كما فعل مع الأمم السابقة، ونبّهه ضرورة اتباع التشريع الذي ينظّم حياة الناس، إذ لا بد من العيش في مجتمع متعاون ومتناسل. يعتبر آدم - عليه السلام - أول مخلوق من البشر وجد على الأرض، فهو أبو البشر جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم.

أما عرض مراحل تطوّر خلق سيّدنا آدم - عليه السلام - فجاء بحسب الآيات والأحاديث:

المرحلة الأولى: من حفنة تراب:

قال تعالى في خلق آدم - عليه السلام - من تراب الأرض: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٢).

و شاء الله الحكيم أن يكون خلق آدم - عليه السلام - من جميع تراب الأرض، ففي حديث رسول الله ﷺ عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة، قبضتها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزين والخبيث والطيب، وبين ذلك) (٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠-٣٩

(٢) سورة طه، الآية: ٥٥

(٣) رواه أبو داود، حديث رقم: ٥٦٩٣، والترمذي، برقم: ٢٩٥٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٩



وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(١).

المرحلة الثانية: خلقه من طين:

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾^(٢)
وهو الطين الرخو.

المرحلة الثالثة: هو الطين اللازب:

واللازب هو الثابت، الشديد الثبوت، المتماسك والشديد، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَفِينَهُمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا
أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾^(٣)
وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾^(٤)
وقد كان إبليس موجوداً في الجنة، يراقب مراحل خلق آدم -عليه السلام- قال تعالى:
﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٥)

المرحلة الرابعة: خلقه من طصال من حمأ مسنون:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(٦)
والصلصال هو الطين الجاف اليابس، لأنه مشتق من الصلصلة، وهو ما يُصدر الصوت
الشديد. والطين اليابس صلصال لأنك إذا نقرته، أو ضربت عليه فإنه يُخرج صوتاً.
والحمأ هو الطين الأسود المسنون أي المتغير، فالحمأ المسنون هو الطين المتن والأسود المتغير.

المرحلة الخامسة: مرحلة خلقه من طصال كالفخار:

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٧).
والصلصال هنا هو الطين اليابس، وسمي صلصلاً لأنه يخرج صوتاً.

(١) سورة الروم، الآية: ٢٠

(٢) سورة ص، الآية: ٧١

(٣) سورة الصافات، الآية: ١١

(٤) سورة ص، الآية: ٧١

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٣

(٦) سورة الحجر، الآية: ٢٨

(٧) سورة الرحمن، الآية: ١٤

هذه المراحل الخمسة كانت قبل مرحلة نفخ الروح، بقي آدم جسداً مصوراً، وتمثالاً مجسماً بدون روح ولا حياة، مدة من الزمن لا يعلمها إلا الله، وبعد ذلك نفخ الله تعالى فيه الروح. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (٢٨) (١).

المرحلة السادسة: آدم قبل نفخ الروح:

ولما كان آدم جسداً تمثالاً في الجنة، كان إبليس ينظر إليه ويتعجب.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (لما صورّه في الجنة، تركه، ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به، وينظر إليه، فلما رآه أجوف، عرف أنّه خلق لا يتمالك) (٢).

ومعنى لا يتمالك: لا يملك نفسه عند الغضب، أو عند الشهوة، أي تضعف قواه عند الغضب أو عند الشهوة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (... وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل) (٣).

المرحلة السابعة: مرحلة خلق آدم:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ، قال: (خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً. ثم قال: إذهب، فسلم على أولئك نفر - وهم نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحيّة ذريّتك.

فذهب فقال: السلام عليكم.

فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله.

فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم تزل الخلق تنقص حتى الآن) (٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: (لما خلق الله آدم، ونفخ فيه، عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم) (٥).

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٨-٢٩.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٦١١، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك..

(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٨٩، كتاب: صفات المنافقين، باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام..

(٤) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٣٢٦، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم عليه السلام وذريته. ورواه مسلم، حديث

رقم: ٢٨٤١.

(٥) رواه الترمذي، حديث رقم: ٣٣٦٨..



وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم

الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها)^(١).

وأخبرنا رسول الله ﷺ أن أول ما خلق من الإنسان هو عجب الذنب، وهو آخر فقرات العمود الفقري، من

أسفل الظهر، وهو المعروف باسم «العصص»، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)^(٢).

مهمة الإنسان على الأرض:

وبعد أن عرفنا مراحل خلق سيدنا آدم - عليه السلام -، ووقت خلقه (يوم الجمعة) ويوم نفخ الروح فيه، نتساءل عن حقيقة مهمة الإنسان على الأرض، والغاية من تشریف الله له بتسويته وجعله في أحسن صورة، ثم نفخ الروح فيه وتعليمه الأسماء كلها، والطلب من الملائكة أن تسجد له، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجيب الملائكة على سؤالهم عن حكمة استخلاف هذا الخليفة في الأرض، فامتحنهم وامتنح آدم معهم، فنجح آدم في ذلك الامتحان (بعد أن علمه الله الأسماء

كلها) وسمى جميع المسميات بأسمائها، بينما عجزت الملائكة عن ذلك، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٥﴾

وقد صرح حديث الشفاعة لرسول الله ﷺ عن تأكيد تعليم الله تعالى الأسماء كلها لآدم. فقد

(١) رواه أبي داود، حديث رقم: ١٠٤٦.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٩٣٥، وانظر حديث رقم: ٤٨١٤، كتاب: سورة النبأ، باب: (يوم ينفخ في الصور فتأتون

أفواجا)، ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٩٥٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣١ - ٣٣.



روى أنس بن مالك - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: (يجمع الله المؤمنين يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء. اشفع لنا إلى ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا).^(١)

ووجه الدلالة من الحديث، أن الناس يقولون لآدم: وعلمك أسماء كل شيء.

ومن هنا نرى أن الله تعالى قد جعل في هذا الإنسان الخليفة خاصية النطق والكلام، والتعبير والبيان، والرمز بالأسماء للمسميات لأهمية كل ذلك في تحقيق الخلافة.

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾.^(٢)

بعدما خلق الله آدم، ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة أن يسجدوا له. فنفذوا الأمر، وسجدوا. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَاذْأَسْوَيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَفَعُوا لَهُ سَجْدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣﴾.^(٣)

وكان سجود الملائكة لآدم سجود تكريم وتحية لتشريفه عليهم بالعلم الذي علمه الله إياه، فهو ليس سجود عبادة لآدم، ولكنه سجود طاعة لله المعبود وحده. ولقد سجد الملائكة كلهم أجمعون لآدم، أما إبليس فقد رفض السجود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٧٤﴾.^(٤)

وعندما قال الله لإبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝٧٥﴾.^(٥)

أجاب إبليس قائلاً: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝٧٥﴾.^(٦) قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦﴾
 قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ۝٧٧ وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصُوتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ۝٧٨﴾^(٧) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٧٩﴾.^(٨)

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٤٧٦، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها).

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٦٢ - ٦٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٧) سورة ص، الآيات: ٧٥ - ٧٦.



وجواب إبليس (أنا خير منه) يدل على التكبر والاستعلاء والغرور، والأنايئة والافتخار، والاعتداد بالنفس، وكلها صفات مهلكة، من خلالها يتمكن إبليس من إغواء وإضلال ذرية آدم، وعندما يرى إبليس الإنسان المؤمن يعبد الله ويسجد له، يندم على رفضه السجود لآدم، ندم عجز وحسرة لأن رفضه سبب له طرد الله له من الجنة، وغضبه عليه ووعد له بعذاب النار.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت في النار)^(١).

وأصر إبليس على عصيانه وكفره وتمردّه، وتعهّد لله أن يقوم بإغواء بني آدم وذريته (لأنهم السبب في إخراجه من الجنة) ووعد أن يبذل أقصى جهده في سبيل إبعاد ذرية آدم عن صراط الله المستقيم، وأخذهم إلى طريق الكفر والعصيان.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢٠﴾، وقال أيضاً: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾.

هذا هو سرّ عداوة إبليس لآدم وذريته، وهذا هو العهد الذي قطعه إبليس على نفسه أمام ربه الله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْكِ وَرَجْلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ رَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٤﴾ يقول إبليس لربه: أرايت آدم، هذا الذي كرمته وفضلته عليّ، ولعنتني بسببه، سلطني على ذريته، ومكنني منهم حتى أريك ماذا سأفعل بهم: لأغوينهم، وأضلنهم، وأحتكنهم، وأسيطن عليهم. ومعنى لأحتكن ذريته: لأسيطن عليهم، والكلمة مأخوذة من « الحنك » وحنك الدابة هو الذي يوضع فيه لجامها ومقودها لتقاد به. فكان إبليس يعتبر جنوده وأتباعه من ذرية آدم، من البهائم والدواب، يضع في حنك كل منهم خطأً ورسناً، يقوده به، وذاك المسكين يسير خلفه مستسلماً منقاداً ذليلاً، كما تسير الدابة خلف صاحبها. وقد سلط الله إبليس على ذرية آدم، ومكنه منهم وجعل له مجالاً لإغوائهم والوسوسة لهم، وذلك ابتلاءً وامتحاناً لهم.

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٨١، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم ٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٦-١٧.

(٣) سورة ص، الآيات: ٨٢-٨٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٦٢-٦٥.

ومن أسلحة الشيطان في إغواء بني آدم، التي ذكرتها الآيات:

١- ﴿وَاسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ إِنَّ إبليسَ يُوَثِّرُ في جنوده بصوته، حيث يزعجهم ويستفزِّهم به. قال الراغب في الاستفزاز بالصوت: والاستفزاز هو الإزعاج والتأثير. يقال: استفزّه بصوته أي أزعجه بالصوت. وصوت الشيطان هو كل الأصوات والعبارات المحرّمة التي تنتشر في حياة الناس، بهدف التأثير فيهم، ودعوتهم إلى التخلّي عن منهاج الله، وارتكاب ما نهى الله عنه. وما أكثر هذه الأصوات الشيطانية الصاخبة المجلجلة في هذا الزمان.

٢- ﴿وَأَجَلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ إبليس يجلب على أتباعه وجنوده، ويسوقهم أمامه، ويصبح عليهم، كالراعي الذي - يجلب على غنمه، ويسوقها أمامه، خيل الشيطان فرسانه الذين يركبون الخيول ويسمّون الخيالة. وَرَجِلُ الشيطان: جمع راجل، وهم المشاة الراجلون الذين يمشون على أقدامهم.

٣- ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ إنه يشارك حزبه في أموالهم وفي أولادهم. (الأموال جمعها من حرام وانفاقها في حرام والأولاد بأن لا يراعوا منهج الله في الزواج والتناسل، فلا يكون الزوج ولا الزوجة من الصالحين، ولا يقيمون أسرهم على منهاج الله، ومن ثم لا يكون أولادهم صالحين، وإنما يكونون فاسدين ضائعين، أسرى للشيطان.

٤- ﴿وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ الْأَغْرُورًا﴾ إِنَّ إبليسَ يَعِدُ جنوده الوعود الفارغة، ويُمَيِّهِمُ الأمان الخيالية. قال تعالى: ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَيَّنَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ أَذَاكَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مَن دُونَ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَيِّهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾، ورغم كثرة الأسلحة في إغواء جنده من ذرية آدم فإنه عاجز عن إغواء عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وإبليس يعلم عجزه عن التأثير في عباد الله الصالحين^(٢).

تعرف إلى عدوك الجن:

والآن وبعد أن عرفت سِرَّ عداوة الجن لآدم وذريته اكتشفت مدى حقهده على هذا الإنسان الذي قبل بميثاق ربه، وقبل أن يكون خليفة في الأرض، ماذا ستفعلن لحماية نفسك من شرّ الشيطان وجنده؟ ومن هو هذا العدو اللئيم الذي سيتحدّك ويغويك ويبهرك بمفاتيح الدنيا لتبتعد عن عمل كل ما يرضى الله عنه؟

(١) سورة النساء، الآية: ١١٩ - ١٢٠

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص ١١٦ - ١١٩.



تعالى يا عزيزتى نتعرف معاً إلى الجن، إبليس وذريته وجنده!

«إبليس» هو من الجن وبسبب رفضه السجود لآدم عليه السلام، وعصيانه لربه هو أول من كفر بالله ورفض أوامره، وتمرد عليه، ولأنه تمرد على الله أطلق عليه وصف الشيطان. والشيطان صفة مشتقة، واشتقاقه من شطن ومعنى الشطن: الابتعاد.

ووصف إبليس بذلك لتشطينه، وابتعاده بذلك عن رحمة الله وكرامته، واستحقاقه الاحتراق بالنار في جهنم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١)، فجعل الله عز وجل من الإنس شياطين مثل ما جعل من الجن.

من هم الجان ومن هم الشياطين؟

أولاً: تعريف الجن:

(الجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث اتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان.

لماذا سموا جنًا:

وسموا جنًا لاجتنانهم: أي استتارهم عن العيون)^(٢).

الجن في اللغة:

روى الشبلي عن ابن دريد قال: (الجنّ خلاف الإنس، ويقال: جنّه الليل وأجنّه وجنّ عليه وغطاه في معنى واحد إذا ستره وكل شيء استتر عنك فقد جنّ عنك وبه سميت الجن وكان أهل الجاهلية يسمون الملائكة جنًا لاستتارهم عن العيون)^(٣).

قال ابن عقيل: (إنما سمي الجن جنًا لاستجنانهم)^(٤) واستتارهم عن العيون، ومنه سمي الجنين جنينًا والجنة جنة لسترها والمجن مجنًا بستره للمقاتل في الحرب، وليس يلزم بأن ينتقص هذا بالملائكة لأن الأسماء المشتقة لا تناقض)^(٥).

وقال أيضاً: (والشياطين العصاة من الجن وهم ولد إبليس، والمردة أعتاهم وأغواهم، وهم

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٢) الأشقر، عمر، عالم الجن والشياطين، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥، ص ٩.

(٣) الشبلي، بدر الدين، أحكام الجان، بيروت، دار ابن زيدون، ص ١٩.

(٤) استتارهم عن العيون.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٠.



أعووان إبليس ينفذون بين يديه في الإغواء كأعووان الشياطين^(١).

ورد في لسان العرب:

(جنّ: جنّ الشيء يجنّه جنّاً: ستره. وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك. وجنّه الليل يجنّه جنّاً وجنوناً وجن عليه يجن بالضم، جنوناً وأجنّة: ستره، وفي الحديث: جنّ عليه الليل أي ستره، وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين جنيناً لاستتاره في بطن أمه. وجن الليل وجنونه وجنانه: شدة ظلمته وادهامه. وقيل اختلاط ظلامه...». «والجن: ولد الجان. ابن سيده: الجن نوع من العالم سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار ولأنهم استجنوا من الناس فلا يرون...»^(٢).

أولاً: تعريف الجن شرعاً:

قد عرف الجن بتعريفات، منها:

١- الجن: (نوع من الأرواح العاقلة المريدة، على نحو ما عليه روح الإنسان، ولكنهم مجرّدون عن المادة)^(٣).

٢- روى الشبلي عن أبي عمر بن البر قال: (الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان منزلون على مراتب فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا: جنّي، فإن أرادوا أنه يسكن مع الناس قالوا: عامرٌ والجمع عمّار، فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح، فإن خبث وتعزم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا: عفريت والجمع عفاريت)^(٤).

ثانياً: خلق الجن وأصل مادتهم

الجنّ مخلوق من النّار بنصّ القرآن الكريم: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾^(٥)، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾^(٦) وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَتِ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ»^(٧).

(١) المصدر السابق، ص ٢٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٩٢، ٩٣، ٩٥.

(٣) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ج ٣، ص ١٩٥.

(٤) الشبلي، بدر الدين، أحكام الجان، ص ٢٠-٢٢.

(٥) سورة الحجر، الآية ٢٧.

(٦) سورة الرحمن، الآية ١٥.

(٧) رواه مسلم في صحيحه، رقم الحديث ٢٩٩٦، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة.



ثالثاً: متى خلق الجن؟

قال تعالى: ﴿ وَكَفَدَّ خَلْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ ﴿١﴾.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ ﴾ (وعني بالجان ههنا: إبليس أبا الجن، يقول تعالى ذكره: وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم)^(٢). ويقول القرطبي في تفسيره: «أي من قبل خلق آدم». ثم ينقل ما قاله الحسن: يعني إبليس، خلقه الله تعالى قبل آدم عليه السلام)^(٣).

رابعاً: أنواع الجن

* قال أبو القاسم السهيلي^(٤):

(الجن ثلاثة أصناف كما جاء في حديث: صُنِفَ عَلَى صُورِ الْحَيَاتِ، وَصُنِفَ عَلَى صُورِ كِلَابِ سُودٍ، وَصُنِفَ رِيحُ طَيَّارَةٍ أَوْ قَالَ: هَفَافَةُ ذَوَاتِ أَجْنَحَةٍ وَزَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ، وَصُنِفَ يَحْلُونَ وَيُظْعَنُونَ وَهَمُ السَّعَالَى).

* (ورد ذكر الجن في القرآن الكريم بتسميات متعددة، وتعددت التسميات إنما كان بسبب تعدد الخصائص والصفات من الجن. ومن الألفاظ: جن، جان، مارد، مريد، عفريت، إبليس، شيطان، قرين^(٥)).

- جن: مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾^(٦).

جان: مثل قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِئِنُّ الْإِنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٧).

- مارد: مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَزَرْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾^(٨).

- مريد: مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾^(٩).

(١) سورة الحجر، الآية ٢٦، ٢٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ / ٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٩ / ٢٣.

(٤) الشبلي، أحكام الجنان، ص ٣٣.

(٥) الدكتور إبراهيم أدهم، العلاقة بين الجن والإنس، دار بيروت المحروسة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٤٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية ١١٢.

(٧) سورة الرحمن، الآية ٧٤.

(٨) سورة الصافات، الآية ٦، ٧.

(٩) سورة الحج، الآية ٣.



- عفريت: مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَإِنِّي كَيْدِي بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾^(١).

- إبليس: مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴾^(٢).

- شيطان: مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰنٍ رَّجِيْمٍ ﴾^(٣).

- قرين: مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ رِثَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطٰنُ لَهُ قَرِيْنًا فَسَآءَ قَرِيْنًا ﴾^(٤).

خامساً: أجسام الجن:

ورد في كتاب أحكام الجن للإمام الشبلي عن أجسام الجن ما يلي^(٥):

قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي:

(الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز أن تكون كثيفة خلافاً - للمعتزلة في قولهم: إنهم أجسام رقيقة ولرقتهم لا نراهم - والدلالة على ذلك علمنا بأن الأجسام يجوز أن تكون رقيقة ويجوز أن تكون كثيفة، ولا يمكن معرفة أجسام الجن أنها رقيقة أو كثيفة إلا بالمشاهدة أو الخبر الوارد عن الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ وكلا الأمرين مفقود فوجب أن لا يصح أنهم أجسام رقيقة أصلاً، فأما قولهم: إن الجن إنما كانت أجساماً رقيقة لأننا لا نراها وإنما لا نراها لرقتها فلا يصح لأننا قد دللنا على أن الرقة ليست بمانعة عن الرؤية في باب الرؤية ويجوز أن تكون الأجسام الكثيفة موجودة ولا نراها إذا لم يخلق الله تعالى فينا الإدراك).

- يقول الدكتور إبراهيم أدهم في كتابه^(٦):

(لا شك أن للجن مادة، إذ لا يعقل أن يكون المخلوق بلا مادة، والمادة تشكل جسماً، والجسم يأخذ حيزاً. إلا أن المخلوقات في هذا الكون على نوعين هما المخلوقات المنظورة، والمخلوقات المستورة... فالجن مخلوقات مستورة عن الحواس في الأحوال العادية بدليل قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ يَدْرِكُكُمْ هُوَ وَفِيْلَهُ، مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾^(٧).

(١) سورة القمل، الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٣) سورة التكويد، الآية ٢٥.

(٤) سورة النساء، الآية ٣٨.

(٥) الإمام الشبلي، أحكام الجن، ص ٣٠.

(٦) الدكتور إبراهيم أدهم، العلاقة بين الجن والإنس، ص ٥٧.

(٧) سورة الأعراف، الآية ٢٧.



سادساً: قدرته على التشكل:

الجن يتشكّلون ويتصوّرّون. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال، ولي حاجة شديدة قال: فخليت عنه، فأصبحت. فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت يا رسول الله شكّا حاجة شديدةً وعيلاً فرحمته فخليتُ سبيله قال: «أما إنه كذب وسيعود» فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ «أنه سيعود». فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإنني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله. فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟» قلت: يا رسول الله شكّا حاجة شديدةً وعيلاً فرحمته فخليت سبيله قال: «أما إنه كذبك وسيعود». فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى ختم الآية فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله. فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله. قال: «ما هي؟» قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشي فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟» قال: لا، قال: «ذاك الشيطان»^(١).

* أخبرنا أبو الزبير: انه سمع جابر بن عبد الله يقول: امرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إنّ المرأة تقدمنّ البادية بكلبها فتقتله، ثمّ نهى النبي ﷺ عن قتلها. وقال: «عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين، فإنه شيطان»^(٢).

سابعاً: خلقهم ذكوراً وإناثاً:

يوجد في عالم الجن الذكور والإناث وبذلك يتم تراوهم وتناسلهم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّا بِإِنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا بِنَارٍ﴾^(٤)، فهذه الآيات دالة على وجود ذكور الجن.

(١) البخاري، الصحيح، رقم ٢٣١١ في الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً.

(٢) رواه مسلم، رقم ١٥٧٢ كتاب المساقاة باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه.

(٣) سورة الجن، الآية ٦.

(٤) سورة الرحمن، الآية ٧٤.

أما قول رسول الله ﷺ ورد في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»^(١).

قال الحافظ: (الخبث جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة يريد ذكران الشياطين وإنائهم قاله الخطابي وابن حبان وغيرهما)^(٢).

وهذه النصوص في اشتغال الجن على نوعين: وجود ذكران الجن وإنائهم.

وإن عالم الجن يتكاثر كعالم الإنس حيث إن الله تعالى أثبت في القرآن الكريم أن الجن يتناكحون ويتناسلون.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِظُلْمٍ ظَلِمُوا﴾^(٣). وهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية. وقال قتادة: (أولاد الشيطان يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، وهم أكثر عددا)^(٤).

ثامناً: مساكن الجن ومجالسهم وأماكنهم:

(الجن يسكنون هذه الأرض التي نعيش فوقها، ويكثر تجمعهم في الخراب والفلوات، ومواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابيل والمقابر)^(٥).

والشياطين تبيت في البيوت التي يسكنها الناس، وتطردها التسمية وذكر الله، وقراءة القرآن، خاصة سورة البقرة، وآية الكرسي منها.

وأخبر الرسول ﷺ أن الشياطين تنتشر وتكثر بحلول الظلام، ولذا أمرنا أن نكف صبياننا في هذه الفترة، والشياطين تهرب من الأذان، ورد في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل - أو أمسيتم - فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آئيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعلاضوا عليها شيئاً وأطفئوا مصابيحكم»^(٦) وفي رمضان تصفد الشياطين. والشياطين تحب الجلوس

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث ١٤٢، في كتاب الوضوء باب ما يقول عند الخلاء.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الحافظ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الطبعة الرابعة، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٩٦.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٤) شاه الدين، ولي الدين، الجن في القرآن والسنة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٨٥.

(٥) الأشقر، عمر، عالم الجن والشياطين، الطبعة التاسعة، جزء ٣، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٣١.

(٦) متفق عليه، رواه البخاري رقم الحديث ٣٣٠٤ في بدء الخلق، باب خير مال المسلم.



بين الظل والشمس؛ ولذا نهى الرسول ﷺ عن الجلوس بينهما. فهناك أحاديث صحيحة مروية في السنن تثبت ذلك.

تاسعاً: طعام الجن وشرابهم:

الجن - والشياطين منهم - يأكلون ويشربون. فلا بد من بقائهم وذلك يستلزم طعامهم وشرابهم كالإنس - وقد دلت آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة. منها قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿١﴾. وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته. فبينما هو يتبعه بها قال: «من هذا؟» فقال: أنا أبو هريرة. فقال: «أبغني أحجاراً استنفض^(٢) بها ولا تأتي بعظم ولا بروثة». فأثبته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه. فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن وإنه أتاني وفد جن نصيبين^(٣) ونعم الجن فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً»^(٤).

عاشراً: أعمار الجن وموتهم:

الجن موجودون أحياء يتناسلون ويتكاثرون حفظاً للنوع. إذا لهم آجال كآجال بني آدم يبلغونها ثم يموتون فيحشرون للحساب والعقاب على ما قدمت أيديهم. قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٦)، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْرَثُوا مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضَنَا بَعْضٌ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (٧).

كذلك روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ

(١) سورة الذاريات، الآيات ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(٢) أي استنقى بها. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، بيروت، المكتبة العلمية، ج ٥، لا. ط، لا. ت، ص ٩٧.

(٣) كانت مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القرافل من الموصل الى الشام. انظر الحموي باقوت، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، المجلد الخامس، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٢٨٨.

(٤) صحيح بخاري، رقم الحديث ٣٨٦٠، كتاب مناقب الانصار، باب ذكر الجن.

(٥) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٦) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٧) سورة الأنعام: الآية ١٢٨.

بعزك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»^(١).
فهذه بعض الآيات والأحاديث الدالة على أن الجن يموتون ولكن لا نعرف مقدار أعمارهم. إلا ما أخبرنا الله عن إبليس اللعين، إنه سيبقى حياً إلى أن تقوم الساعة: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢﴾.

وجوب الاعتقاد بوجودهم:

المسلمون كلهم يعتقدون بوجود مخلوقات غيبية عنا، لانراها بحواسنا في الحالات العادية، اسمها (الجن)، لأن الله سبحانه في قرآنه، والرسول ﷺ في كلامه، قد أخبرا بوجودهم بشكل قاطع لا يحتمل التأويل^(٣).

عقيدة الناس بالجن:

أكثر أهل الملل والنحل - وخصوصاً أتباع الأنبياء - معتقدون بوجود الجن، باعتبار أن الأنبياء - وهم صادقون بلا مرية - قد أخبروا بوجودهم، ولا يتم إيمان المؤمن بالله إلا بأن يصدق بجميع ما يخبره رسوله^(٤).
فالاعتقاد بوجود الجن من واجب الإيمان، وإنكار وجودهم ردُّ للقرآن والسنة المتواترة، وهذا هو الكفر والعياذ بالله.

العلاقة بين الجن والإنس

أ - كونهم مسخرين لسليمان عليه السلام:

لقد سخر الله سبحانه وتعالى الجن وقهرهم لسيدنا سليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوِيكَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُم حَافِظِينَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَنَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾^(٦) كانوا يعملون له أعمالاً شتى تحتاج إلى القدرة، والذكاء والمهارة.

(١) صحيح البخاري رقم الحديث ٧٣٨٣ كتاب التوحيد باب: قول الله تعالى: (وهو العزيز الحكيم).

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤، ١٥.

(٣) حنكة الميداني، حسن، العقيدة الإسلامية وأسسها، الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق، ١٩٨٣م / ١٤٠٣هـ، ص ٢٨١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٨٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية ٨٢.



ب - كونهم مسخرين لنبينا محمد ﷺ :

أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن». قالوا وإياك؟ يا رسول الله! قال: «وإيائي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم. فلا يأمرني إلا بخير»^(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع علي الصلاة وإن الله أمكنني منه فدعته فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم. ثم ذكرت قول أخي سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٢)، فرده الله خاسئاً»^(٣).

ثانياً: تسخير الجن لغير الأنبياء وكيفيته

إن تسخير الجن لغير الأنبياء حقيقة واقعة، لا ينكرها إلا معاند مكابر، والدلالة على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٤)

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له، فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم، وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك، الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله، فغايبته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول، كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم، وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة، كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص. إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق.

وإن لم يكن تام العلم بالشريعة، فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات، مثل أن يستعين بهم على الحج، أو يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك، فهذا مغرور قد مكروا

(١) صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٨١٤، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، أن مع كل إنسان قريناً.

(٢) سورة ص، الآية ٣٥.

(٣) صحيح البخاري، رقم ٥٤١ باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه. وصحيح مسلم، رقم الحديث ٤٨٠٨، كتاب تفسير سورة ص باب قوله: (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي).

(٤) سورة الجن، الآية ٦.

(به) (١).

وبعد هذا التعريف الموسع والصريح للجن وأتباعه نتساءل:

كيف سيكون موقف بني آدم من إبليس، وهل سيغويهم وينتصر عليهم بالرغم من أن الله ميّزهم بالعقل وعلمهم الأسماء كلها، وبالرغم من أخذه الميثاق عليهم، وبالرغم من تسليح الله لهم بالفطرة التي جعلها فيهم؟ وما هو الميثاق الذي أشهدهم الله تعالى عليه وأقروا هم بمضمونه؟

عندما خلق الله عزّ وجلّ آدم -عليه السلام-، جمع بني آدم (ذريته الكائنة من بعده)، وعرفهم بنفسه، وأنه وحده لا شريك له، ولا إله غيره. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٢).

روى الإمام أحمد أثراً عن أبي بن كعب، في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ قال: «جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم، فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرض السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، إعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربّ لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا شهدنا بك ربنا وإلهنا، لا ربّ لنا غيرك. فأقروا بذلك» (٣).

هذا الميثاق هو أساس فطرة التوحيد في كل إنسان، فالفطرة التي فطر الله الخلائق عليها اقتضت أن تلجأ النفوس إلى قوّة عليا عند ضعفها، وتطلب غنيّاً أعلى عند فقرها، وتوابعاً رحيماً عند ذنبها، وسميماً قريباً بصيراً مجيماً عند سؤاها، وكل ذلك يدعو النفس إلى التوحيد والإسلام، والعودة بالضرورة إلى الملك القدوس السلام (٤).

ومثل هذا الإحساس الفطريّ كامن في النفس وإن لم يعلنه الشخص، فإن خلا القلب من موانع الطبع المألوفة، ومن التأثير بالاعتقادات الشركية فإن قلبه يتوجّه تلقائياً إلى ربه بالعبودية قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ

الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥)

(١) الأشقر، عمر، عالم الجن والشياطين، الطبعة التاسعة، الجزء ٣، دار الفنائس، الأردن، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند الأنصار، رقم الحديث ٢٠٢٨٣.

(٤) الرضواني، منة القدير، مكتبة سلسبيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ٢، ص ٥٦٨ بتصرف.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.



قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة^(١) جمعاء^(٢))، هل تحسّون فيها من جدعاء^(٣))، ثم يقول: (.. فطرة الله التي فطر الناس عليها)^(٤) هذه هي فطرة الإيثار.

وقد أخبرنا الله -عزّ وجلّ- في القرآن الكريم أنه خلق آدم وسوّاه، ثمّ خيّرته في البدء ممتحناً إياه، وعرض عليه أن يكون أميناً في ملك الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٥)، عرض الله -عزّ وجلّ- الأمانة لحملها، وتحمل المسؤولية عنها، على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن من حملها ومن تحمل المسؤولية عنها، ثمّ عرضها على آدم -عليه السلام- فحملها، لقد خيّر الله -عزّ وجلّ- آدم -عليه السلام- في البدء، أن يكون أميناً (أي مُستودعاً في ملك الله)، فحملها واستعدّ أن يتحمّل المسؤولية عنها.

وهذا يدلّ على أنّ معرفة حقّ الأمانة، والإقرار، بهذا الحقّ، والاستعداد للوفاء به، أمر مغرور في عمق فطرة الإنسان، كما جاء في الحديث الذي ورد عن رسول الله ﷺ: (إنّ الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال...) ^(٦).

لكنّ الإنسان كان، عند التنفيذ في رحلة الامتحان، في الحياة الدنيا، ظلوماً جهولاً، فلم يؤد من الأمانة، التي حملها واستعدّ أن يؤدّي حقوقها، ما يجب عليه فيها.^(٧)

(ولما رضي الإنسان أن يكون أميناً وفق مراد الله الشرعي، ومسؤولاً عن فعله لو خالف أمر الله، رفعه على كثير ممّن سواه وفضّله وميّزه وكرّمه، ثمّ استخلفه في أرضه، واستأمنه فيها على ملكه، وسخر له كل الخلائق من حوله، وجعله مخلوقاً عاقلاً مكلفاً لا يفعل شيئاً فيما استرعاه الله إلا بالعودة إلى أمر الله من خلال الرسالة التي نزلت من السماء وحملها جميع الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾^(٨))

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾^(٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ

(١) بهيمة: أي الناقة إذا ولدت.

(٤) جمعاء: أي بهيمة سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع ولا كي.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ١٣٥٨، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فإت، فهل يصل عليه. ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٦٥٨.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٦) رواه البخاري، حديث رقم: ٦٤٩٧، كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة.

(٧) الميداني، حسن حينكة، روائع من أقوال الرسول، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ص ٣٣٥.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

الشمس والقمر وسخر لكم الليل والنهار ﴿٣٣﴾ وءاتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ (١) (٢).

قد يتساءل المتسائل عن الأمانة التي عرضها الله - عز وجل - على السموات والأرض والجبال والإنسان، فأبت السموات والأرض والجبال أن تحملها، وأشفقن (أي: خفن وحذرن) من مسؤوليتها حملها، ومن التكليف الذي يرافقها، ومن الحساب والجزاء اللذين يتبعان ذلك، وحملها الإنسان، واستعد أن يتحمل تبعته من حساب وجزاء؟

حين عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال وعلى الإنسان الأول وفيه ذريته، أو على الإنسان الشامل لكل أفراد النوع وهم من الذر (٣).

العرض: أتريدن أيتها السموات والأرض والجبال أن تحملي الأمانة؟

أتريد أيها الإنسان أن تحملي الأمانة؟

المعروض عليهم: ما هي الأمانة التي نحملها؟

العرض: نجعل لكم إرادة حرة، وسلطة على بعض ما يوضع في ذواتكم من قوى وطاقات وأشياء أمانة عندكم، على سبيل الإعارة للإنتفاع أو الوديعة، ويؤذن لكم بالتصرف فيها بإرادات حرة لكم، والتصرف فيما حولكم من الكون، مما تصل قدراتكم إليه أو إلى مفاتيحه.

المعروض عليهم: هذا تصرف من صفات الخالق المالك وكيف نتصرف وليس لدينا رغبات ولا شهوات، ولا حاجات، ولا أهواء، ولا نستطيع أن تكون لنا صفات الرب الحكيم؟!

العرض: تخلق فيكم رغبات وشهوات، وحاجات وأهواء، ولذات.

المعروض عليهم: وهل يباح لنا أن نتصرف بإراداتنا الحرة، وفق رغباتنا وشهواتنا وحاجاتنا وأهوائنا دون مسؤولية؟

العرض: يُعطى لكم التمكين من التصرف، لكن لا على سبيل إباحة كل شيء.

المعروض عليهم: كيف نتصرف إذن؟

العرض: يوجه لكم التكليف لفعل أشياء وترك أشياء على خلاف رغباتكم وشهواتكم وأهوائكم، ويباح لكم أشياء لتلبية مطالب حاجاتكم وشهواتكم.

المعروض عليهم: فإذا عصينا التكليف وخالفنا الأوامر والنواهي؟

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤.

(٢) الرضواني، محمود، مئة القدير، مكتبة السلسيل، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، الجزء ٢، ص ٥٦٨-٥٧٥، بتصرف.

(٣) تصور هذا العرض والحوار الذي جرى حوله تخيلاً، واستنباطاً من وجيز البيان، حتى يعلم القارئ أن الحوار تخيلي لتقريب مفهوم الأمانة الذي جاء به في الآية، حبكة الميداني، روائع من أقوال الرسول ﷺ، ص ٣٣٧.



العرض: أنتم إذن ملاحقون بالمحاسبة والجزاء على اختياراتكم! المعروض عليهم: هذا تكريم وتشريف، مقرونٌ بتكليف ومسؤولية، وبعدهُ حسابٌ وجزاء، ولكن هل يبقى

في ذاكرتنا هذا العرض وهذا الحوار؟

العرض: يُطوى من ذاكراتكم هذا العرض وهذا الحوار، وتُطوى من ذاكراتكم هذه المعرفة، المعرفة الحاضرة بخالقكم، ويبقى فيكم ما يشدُّكم إلى معرفته والإيمان به إيماناً غيبياً، وإلى معرفة الغاية من وجود الأمانة الكبرى تحت سلطتكم، وتُرسلُ إليكم الرُّسل، وتُنزَلُ إليكم الكتب، لتعرفكم بيان المطلوب منكم، وإنذاركم وتحذيركم، وتبشير من آمن وأطاع منكم، ويخبرونكم بما جرى في هذا العرض.

المعروض عليهم: وما هو نوع الجزاء؟

العرض: عذاب أليم أبدي بالحريق، على الكفر بالخالق والإشراك به ووجود ربوبيته أو ألوهيته، وعذاب دون ذلك بالعدل بحسب المعاصي والإساءات. ونعيم أبدي في جنات نعيم خالدة، على الإيمان بالخالق إيماناً غيبياً، والإسلام له (التسليم له والتوكل عليه)، ودرجات من النعيم بعضها فوق بعض، بقدر ما يقدم كل من صالح الأعمال، مع احتمال غفران وعفو عن السيئات دون الشرك بحسب مشيئة بارئكم.

السموات والأرض والجبال: هذه مُحاطرة مخيفة نأبى قبولها، وما دام الأمر عرضاً، لا جبر فيه، فنحن لذلك نأبى حمل هذه الأمانة.

الإنسان: قَبِلْتُ هذا العرضي، فأنا أحمل هذه الأمانة الكبرى، وأحمَلُ تبعَتَها، وتَحَلو عندي هذه المخاطرة، ويشدُّني إليها الطمَعُ بمقام التكريم، وبلوغ المجد العظيم.

العرض: خُذْ الأمانة أيُّها الإنسان، وستُدخلُ رحلة الامتحان في الوقت المقدّر لدخولك عبر الحياة الدنيا، منذُ بلوغك سنَّ التكليف حتى وفاتك، ثمَّ تكون لك حياة أخرى لمحاسبتك ومجازاتك.^(١)



(١) الميداني، حسن حبنكة، روائع من أقوال الرسول، ص ٣٤٠.



المبحث الثاني:

خلق آدم وحواء من نفس واحدة

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)

عاش آدم في الجنة وحيداً ما شاء الله له أن يعيش، ولا يعلم مقدار تلك المدة إلا الله سبحانه وتعالى، وكان، في تلك الفترة، ذاكراً مسبحاً لله كالملائكة الذين معه وحوله في الجنة ويستمتع بخيرات الجنة ونعيمها.

وكان إبليس في الجنة أيضاً، لكنه يعلم أنه مرجوم ملعون، محكوم عليه بالإخراج من الجنة لكنه لا يعلم متى سيكون ذلك الإخراج.

وكان إبليس خلال هذه الفترة ينظر إلى آدم نظرة حقد، كان يحقد عليه ويكرهه ويبغضه، لأنه - في زعمه - السبب في كل ما أصابه، وكان ينتظر الفرصة المناسبة للأخذ بثأره من آدم، لا سيما أنه كان يعرف نقطة ضعفه، وهي أنه خلق فارغ الأحشاء لا يتألك.

و شاء الله الحكيم سبحانه أن يخلق المرأة الأنثى، لتكون زوجاً لآدم، وليكون آدم بدوره زوجاً لها! وبينما تحدثت آيات القرآن الكريم عن مراحل خلق آدم - عليه السلام - فإنها لم تتحدث عن امرأته، وبقيت تفاصيل خلقها من مبهمات القرآن التي لا نستطيع بيانها، لعدم وجود أدلة معتمدة من الكتاب والسنة^(٢).

أسم أمنا حواء:

الراجع أن هذا الاسم أعجمي، وليس عربياً مشتقاً من الحياة، كما زعم بعضهم، لأن حواء عاشت وماتت قبل أن يوجد أول عربي يتكلم باللغة العربية، والله أعلم^(٣).

أما اسم زوج آدم - عليه السلام - فقد تعرفنا عليه من حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن رسول الله ﷺ قال: (لولا بنو إسرائيل لم يَحْنَز اللحم^(٤))، ولولا حواء لم

(١) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣، ص ٧٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٥.

(٤) خنز اللحم: تغير وأتت وفسد.



تُخْنُ أَنْثَى زَوْجَهَا ..^(١)

ومعنى قوله ﴿ولولا حواء﴾، أي «حواء» النموذج للمرأة الأنثى، وينطبق على بناتها في تاريخ البشرية، وليس المراد بالخيانة هنا الخيانة بالعرض، وارتكاب فاحشة الزنا، فإن أمنا حواء لم تكن كذلك، بل كانت عفيفة طاهرة.
والمراد بالخيانة هنا الخيانة في الدين، وتزيين ارتكاب المعصية^(٢).

خلق حواء عليها السلام:

حواء زوج آدم - عليه السلام - لم يُفَصِّل القرآن طريقة خلقها، ووردت آية قرآنية مبهمة تشير إلى ذلك. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٣) وقد ذهب بعض العلماء والمفسرين إلى أن حواء مخلوقة من نفس آدم، واعتمدوا في ذلك على ظاهر قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي أن حواء مخلوقة من بعض جسم آدم.

يُخْبِرنا الله أنه خَلَقْنَا نحن البشر ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وخلق من هذه النفس الواحدة زوجها. ذكر الشعراوي^(٤) في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٥).

لقد سمى الحق آدم بكلمة ﴿نَفْسٍ﴾ وهي لفظة مؤنثة. إذن فليس معنى التأنيث أنه أقل من التذكير، ولكن التذكير هو فقط علامة لنضع الأشياء في مسمياتها الحقيقية. إن الحق يطلق على كل إنسان منّا كلمة ﴿نَفْسٍ﴾ وهي كلمة مؤنثة وإن الحق قال عن آدم إنه ﴿نَفْسٍ﴾ رغم أنه مذكر، إلا أنه سُمِّيَ بالمؤنث وهي ﴿نَفْسٍ﴾ ولم يقل الحق «خلقكم من نفس واحد» بل قال ﴿وَاحِدَةٍ﴾. والله سبحانه وتعالى حينما تعرّض لقصة آدم - عليه السلام - في سورة البقرة لم يوضح لنا كيف تم خلق حواء الخالق الأعز الأكرم أدخل حواء في خطابه لآدم - عليه السلام - ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦)

(١) رواه البخاري، الحديث رقم: ٣٣٣٠، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، ص ٧٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

(٤) الشعراوي، محمد متولي، قصص الأنبياء، مكتب التراث الإسلامي، القاهرة، لا. ت.، المجلد الأول، ص ٦٥ - ٦٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٥.



وعلى ذلك فليس لأحد منا أن يقول: إن حواء كانت ضلعاً من آدم، إن حواء لو كانت ضلعاً من آدم لقال الحق « جعل منها زوجها »، ذلك أن الجعل يعني الأخذ من نفس المادة وصناعة ما يريد، وهو الحق المالك لكل الكون.

إن قول الحق: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هو تعبير عن خلق جديد مستقل، أي خلق حواء مثلما خلق آدم... ولنا أن نفهم أن كلمة زوج لا تعني الرجل فقط، ولكنها تعني المرأة أيضاً... فالمرأة زوج... والرجل زوج، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)

خلق الرجل والمرأة من النفس الواحدة: (المراد بالنفس الواحدة هنا النفس الإنسانية، التي تتمثل فيها الطبيعة البشرية، هذه النفس المكوّنة من مادة وروح، والمتمثل فيها الكيان البشري بما فيه من أعضاء وأجهزة، يقوم عليها جسمه المادي، وبما فيه من مشاعر وأحاسيس، وصفات وسما، وغرائز وشهوات، وآمال وتطلعات،

وما فيه من قلب وروح وتصور وفكر وخيال... هذا الكيان الإنساني كله هو « النفس الواحدة » التي خلقها الله، وخلق الله من هذه النفس الواحدة المتكاملة الرجل، ثم خلق من هذه النفس الواحدة المتكاملة المرأة.

وأول نموذج عملي للنفس الواحدة هو آدم أبو البشر - عليه السلام -، الذي تمثلت فيه النفس الواحدة بكامل خصائصها وسماها... وثاني نموذج للنفس الواحدة زوجه حواء، التي خلقها الله، وجعلها زوجاً له، وتمثلت فيها النفس الواحدة بكامل خصائصها وسماها، مع فروق فردية جعلها الله الحكيم - بيولوجياً وعاطفياً - بين الرجل والمرأة ليقوم كل منهما بدوره في الحياة.

وهذا معناه أن الرجل نفس إنسانية سوية، بجسمه وروحه وشخصيته، وأن المرأة نفس إنسانية سوية، لها جسمها وروحها وشخصيتها، وهي معززة مكرّمة كالرجل، وليست أدنى أو أخط منزلة منه، وهذا تكريم وتشريف عظيم للمرأة.

وليس المراد « بالنفس الواحدة » في الآية، آدم - عليه السلام - حتى نقول: إن الله خلق له منه زوجه حواء، إنها هي الإنسانية التي خلق الله منها آدم أولاً، ثم خلق منها حواء بعد ذلك، ثم بث منها رجالاً كثيراً ونساء.

وبهذا نرى أن القرآن - والإسلام - قد كرم المرأة تكريماً عظيماً، عندما اعتبرها كياناً بشرياً شريفاً فاضلاً، مخلوقاً من النفس الواحدة التي خلق منها الرجل!!^(٢)



(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، ص ٧٧-٧٨، بتصرف.



المبحث الثالث:

اندفاع المرأة والضع الأعوج

عرفنا من خلال آيات القرآن أنّ حواء خُلِقَتْ - مثل آدم - من النفس الإنسانية الواحدة، لكن رسول الله ﷺ أخبرنا أن حواء خُلِقَتْ من ضلع، فما المرادُ بذلك الضلع؟؟

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: (استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبَتْ تُقيمَه كسرتَه، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)^(١).

يوصي رسول الله ﷺ في هذا الحديث الرجال بالنساء خيراً، ويأمرهم بحسن عشرتهن وتحملهن، ويبين طبيعة النساء العجيبة.

لقد صرح رسول الله ﷺ بأنّ المرأة خُلِقَتْ من ضلع، وإنّ الضلع لا يمكن تقويمه وإزالة اعوجاجه، وكذلك المرأة لا يمكن تقويمها وإزالة اعوجاجها، ولا بُدّ من التعامل معها على هذا الأساس، والاستمتاع بها على عوجها.

اعوجاج المرأة نفسي:

إنّ الحديث الصحيح السابق لا يدلُّ دلالةً صريحة على أنّ حواء خُلِقَتْ من ضلع آدم... وإنّ الحديث لا يتكلّم عن أمنا حواء، وإنما يتكلّم عن المرأة عموماً، ويُعرّفنا على طبيعة كلّ امرأة من بنات حواء.

يُبينُ الحديثُ طبيعة المرأة المعوّجة، وهذا ليس اعوجاجاً مادّياً، وإنما هو اعوجاج نفسيّ معنوي. وهو يُشيرُ إلى التركيب النفسيّ العاطفيّ الانفعاليّ للمرأة بشكل عام، فالله الحكيم خلق المرأة - على الغالب - عاطفيّة انفعاليّة مندفعة، وذلك لتحقيق وظيفتها في الحياة، بينما خلق الله الرجل - على الغالب - متصفاً بالموضوعيّة والتأني والرؤية والتفكير، وذلك لتحقيق رسالته في الحياة، التي تحتاج إلى هذه الطبيعة.

ولتقريب الطبيعة العاطفيّة الانفعاليّة عند المرأة إلى أذهاننا، يُصوّر لنا رسول الله ﷺ هذا التصوير

(١) رواه البخاري، حديث رقم ٣٣٣١، ورواه مسلم، حديث رقم: ١٤٦٨



البليغ المعبر، حيثُ عرض ذلك في صورة ضلع... فمن المعلوم أنّ الضلع أعوج، وأنّ أعوج ما في الضلع أعلاه، وأنّه يستحيل تقويم الضلع وإزالة اعوجاجه، ومن فعل ذلك فسوف يكسره، وعلى الإنسان أن يتصرّف مع الضلع على أساس اعوجاجه.

وهكذا خلق الله المرأة عموماً، عاطفية مندفعة منفعلة، ولما نرى امرأة متأنية في أفكارها، متوازنة في مشاعرها، موضوعية في أحاسيسها، تُحسّن ضبط انفعالاتها، إنها تُغالي وتبالغ إذا أحبّت، وتُغالي وتُبالغ إذا كرهت، وتُغالي وتُبالغ إذا تكلمت أو قومت أو حكمت أو نقدت.

وخلقها الله بهذه الانفعالية العاطفية لتؤدي رسالتها في الحياة، التي تتطلب منها ذلك... وإذا ما أراد الزوج حمل امرأته على التأنّي والموضوعية والتوازن، فإنها لا تتجاوب معه، وإذا ما أصرّ على ذلك فسوف يُطلقها، فلا بُدّ أن يتقبّلها كما هي، ويستمتع بها وياعوجاجها!.

هذا هو مقصود حديث رسول الله ﷺ، والحديث لا يدلّ على أنّ حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر الأعوج!!^(١).

المرأة خلقت من ضلع:

وجاء في كتاب دليلك إلى المرأة تحت عنوان « المرأة خلقت من ضلع » نظرة تفسيرية تحليلية لقول رسول الله ﷺ قال فيها الكاتب: لقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن حقيقة خلق المرأة ومن أي شيء خلقت فقال-عليه السلام: (استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)^(٢).

وقال ﷺ: (إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيّمها كسرتها، وكسرها طلاقها)^(٣).

قوله ﷺ: (إن المرأة خلقت من ضلع) خبر كقول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ۝١٥ ﴾^(٤) وقد أخبر رسول الله ﷺ: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم)^(٥).

فهنا يخبر ﷺ عن المواد التي خلقت منها الملائكة والجان وادم، وهناك يخبر عن خلق المرأة من الضلع، وليس في ذلك أي تعبير أو ذم أو قذح في كون هذه الأنواع من الخلق خلقت من هذه المواد... وكثير من الناس بما فيهم النساء يفهمون خلق المرأة من الضلع على غير

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، ص ٧٩ - ٨٠، بتصرف.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم ٣٣٣١، كتاب: النكاح، باب: الوصية بالنساء.

(٣) رواه مسلم، كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء.

(٤) سورة الرحمن، الآيات: ١٤ - ١٥.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد، باب: في أحاديث متفرقة.



المراد، ويقصدون من ذكره تعبير المرأة وذمها ويصفونها بأنها ضلع أعوج ويذكرون في ذلك بعض الكلمات الشنيعة الضالة.. مع أن خلقها من ضلع أعوج هو من بديع صنع الله و ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

ولو لم تُخلق المرأة من الضلع لما تحقّق المراد من خلقها، فالضلع الأعوج له وظائف ومزايا وصفات وفوائد متعدّدة لا تتحقّق فيها لو كان مستقيماً، أرايت أضلاع قفصك الصدري كيف تكون معوجة لتصون وتحمي أجهزتك الداخلية: القلب، الرتتان، الكبد، وأعضاء الجهاز الهضميه وغيرها؟ ... وهل لو كانت هذه الأضلاع مستقيمة تستطيع القيام بهذه الوظائف المهمة للحفاظ على الحياة؟

وقس على ذلك خلق المرأة من الضلع ليكون لها الميزات والصفات نفسها للقيام بوظائف الرعاية والعناية، والعطف والحنان ليس للأبناء فحسب، بل وللزوج أيضاً ولكل من تتعامل معهم... أرايت ماذا تفعل بيدك عندما تحمل طفلاً صغيراً وتضمه إلى صدرك؟ إنك تُعوجها عليه كالضلع لتحفظه وتحميه من السقوط، ولو مددت يدك مستقيمة لوقع الطفل على الأرض وأصيب وربما يموت... وزد على ذلك أن اعوجاج يدك وانعطافها عليه يحمل معاني العطف والحنان، والرأفة والشفقة...

فمن وظائف الضلع الأعوج: حماية الأعضاء، وحفظها، والتضحية لأجلها بتلقي الصدمات والضربات بالنيابة عنها، وهكذا هي المرأة مع الأعضاء المسؤولة عنهم.

أما صفة العوج التي في الضلع فلها في اللغة معانٍ متعددة اتصفت المرأة أيضاً بها.

فمن معاني العوج: الحِنُو، ومحنية، والانحناء، وحنى يده حناية أي لواها وأظهر عطفه، وحناه حنواً، وحناه أي عطف فانحنى، وحنى انعطف، حنّى وحنايا وحنّت على أولادها حنواً أي عطفت كأحنّت، ومنه الحنان.

وهكذا طبيعة المرأة فهي عاطفية، عطوفة على أولادها، لينة مطواع لزوجها، تعطف على كل من يسألها العطف، وهي أقوى عاطفة من الرجل.

إن جميع هذه الصفات وغيرها من الصفات الحسنة هي جزء لا يتجزأ من طبيعة المرأة وفطرتها وهي الأصل، ولكن الشيطان يستغل طبيعة المرأة وصفاتها خاصة عاطفتها القوية، فيضلها عن الحق ويطمس على صفات الفطرة الحسنة، فتظهر صفات سيئة للعوج وتتجلّى في خلقها وسلوكها وتصرفاتها. وبها أن تقويم الضلع ينتج عنه كسره إلى جزئين فكذلك المرأة إن ذهب تقيّمها كسرتها، وكسرها طلاقها وحدوث الانفصال بين الزوجين مضرة لجميع أفراد الأسرة.

(١) سورة لقمان، الآية: ١١.

ومن أجل أن يكون الرجال على بصيرة من هذا الإنسان الذي يتعاملون معه بصفة مستمرة، أخبر النبي ﷺ بأن المرأة لن تستقيم... لذا فهي تحتاج إلى فن في التعامل معها، ودقة في التقويم، تشبه عمل الصائغ الذي يقوم بصقل قطعة ألماس ويجشى عليها الكسر أو الخدش... فيكون التقويم برفق لا يبالغ فيه فيكسرها ولا يتركها فتستمر على عوجها. ومن طمع باستقامتها بغية الاستمتاع بها فإن الاستمتاع بها لا يكون إلا مع عوجها. والعفو عن زلاتها^(١).

وقفة تأملية مع هذه الآية الكريمة وكشف لمختلف العلماء في تفسيرها:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

بدأت سورة النساء بهذه الآية الكريمة التي استهلكت بهذا الخطاب الموجه للناس جميعاً ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ وكان التوجيه الأول في هذه السورة هو دعوة الناس جميعاً إلى تقوى الله - عز وجل - ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ الناس جميعاً مأمورون بتقوى الله - عز وجل - الذي خلقهم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ هي نفس آدم - عليه السلام - ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هي حواء.

و(من) في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ تفيد التبويض؛ أي تفيد أن حواء خلقت من بعض آدم - عليه السلام - ويجوز أن تكون (من) بيانية عندها تفيد أن حواء خلقت من جنس آدم، وخلقها الله من جنسه لتتحقق الألفة بينهما وكذلك الوثام والموودة، والانسجام؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل.

وفي السنة النبوية ما يدل على أن حواء خلقت من ضلع آدم - عليه السلام:

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المرأة خلقت من ضلع من ضلع لك عن طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها)^(٣).

وصفوة القول أن حواء - عليها السلام - خلقت من ضلع من أضلاع آدم - عليه السلام - بكيفية لا نعلمها، وإنما نفوض علمها إلى الله - عز وجل -، وقد اختلفت طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل نظراً لاختلاف مهمة كل منهما في الحياة. وفي الحديث السابق وصية بالنساء ودعوة إلى الصبر عليهن والترفق بهن، ومراعاة طبيعتهن، ولا يعني خلق حواء من ضلع آدم أن تكون أضلاع آدم ناقصة عن أضلاع حواء - كما ذكر ذلك بعض المفسرين - وإنما الصواب أن عدد أضلاع الرجل مساوية بعدد أضلاع المرأة. ويقول

(١) الطرشة، عدنان، دليلك إلى المرأة، دار الكتاب والسنة، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ط ١، ص ٢٩ - ٣٢، بتصرف.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) رواه مسلم، كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء.



الأستاذ الدكتور محمد متولي إدريس: وليس معنى ماورد في الصحيح أن المرأة خلقت من ضلع، إن جرينا على ظاهر اللفظ، أن تكون أضلاع الرجل قد نقصت ضلعاً من أي ناحية، وإنما يكون المعنى: أن الله خلقها من ضلع والضلوع باقية على حالها، لم تنقص شيئاً، وهذا يدل على عجب قدرته تعالى. أما الدكتور أحمد محمد الشرقاوي فيقول عن خلق حواء:

وفيه يدور الحديث عن خلق آدم -عليه السلام-، بين يدي الحديث عن خلق حواء - عليها السلام -، وهي أم البشر يطيب لي أن أتحدث عن خلق آدم - عليه السلام -؛ فهو أبو البشرية وأصلها، خلقه الله تعالى ثم خلق منه حواء ومنهما كانت البشرية جمعاء.

وقفة مع الآيات التي ورد الحديث فيها عن خلق حواء- عليها السلام:

أولاً: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

• يقول الإمام الطبرسي في تفسيره: وإنما منَّ علينا تعالى بأن خلقنا من نفس واحدة؛ لأنه أقرب إلى أن يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضاً؛ لرجوعنا إلى أصل واحد ولأن ذلك أبلغ في القدرة وأدل على العلم والحكمة.

• ويقول الإمام ابن كثير: ... ولهذا ذكر الله تعالى أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة ليعطف بعضهم على بعض ويحننهم على ضعفائهم، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ حين قدم عليه أولئك النفر من مضر وهم مجتابوا النمار (أي ممزقي الثياب) - أي: من عُرهم وفقرهم؛ قام فخطب بعد صلاة الظهر وقال في خطبته: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ حتى ختم الآية ثم قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِخْدٍ﴾ ثم حَضَّهم على الصدقة.

وقريب من هذه الآية الكريمة في معناها ومقاصدها نجد الآية: الثالثة عشر في سورة الحجرات: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

وفي هذه الآية الكريمة يتوجه الخطاب الإلهي إلى الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وألستهم

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وأجناسهم ببيان أنهم خلقوا من أصل واحد ﴿مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ أي من آدم وحواء-عليهما السلام - وإذا كان الأمر كذلك: فلماذا يتفاخر الناس بأنسابهم وأحسابهم، ويتعالى بعضهم على بعض، وقد خلقوا جميعاً من أصل واحد؟!!

فائدة: يلاحظ الصلة الوثيقة والعلاقة الوثيقة بين الآية الأولى في سورة النساء والآية الثالثة عشرة في سورة الحجرات في المطلع وفي المضمون وفي الختام: فالمطلع فيها ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ﴾ والمضمون فيها: هو الحديث عن أصل الخلق والدعوة إلى تقوى الله عز وجل والتراحم والتآلف بين الناس والختام في الآية الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

ثانياً: وفي سورة الأعراف يقول المولى - عزّ وجلّ - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لِينِءِ آتِنَا صَليحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

قال كثير من المفسرين: النفس الواحدة هي نفس آدم-عليه السلام - و(زَوْجَهَا) هي حواء-عليها السلام - ولكنهم اختلفوا في توجيه الآيات.

• وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عام في جنس الذكر والأنثى وليس في آدم وحواء على وجه الخصوص.

• إن خلق حواء من أحد أضلاع آدم (رأي لم يثبت دليل ولكنه رأي بعض المفسرين) دليل على تبعيتها لآدم، وتفوّعها منه، فأدم-عليه السلام - هو الأصل وحواء فرع منه وفي خلق حواء من جنس آدم حكمة بالغة، فالجنس إلى الجنس أميل وكل منهما لا يستغني عن صاحبه، والصلة التي ينبغي أن تجمعهما هي صلة المحبة ورباط المودة والوئام والانسجام.

• أما عن كيفية خلق حواء من أحد أضلاع آدم. فهذه حقيقة غيبية، يعلمها الخالق - عزّ وجلّ -، ولا علم لنا بها، وصدق الله - عزّ وجلّ - إذ يقول: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذَلُوعًا﴾ (٢).

• **والذين ذهبوا إلى تحديد الضلع الذي خلقت منه حواء لا دليل لهم على ما ذهبوا إليه حيث لم يرد في القرآن ولا في السنة أي تحديد للضلع الذي خلقت منه، والله تعالى أعلم.**

عندما نقرأ القرآن لا نجد ذكراً لحواء أبداً ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥١.



رَوَّجَهَا ﴿ لم يستعرض خلق حواء كما أفرّد لخلق آدم في سبع سور وكل سورة فيها اختلاف. ليس في القرآن شيء عن حواء، وأنا كمسلم من المفروض أن أسلم بهذا الكتاب، وسبق أن نَبَّهنا الناس أنه يجب أن لا نقول: كان المفروض أن يكون كذا ولماذا لم يقل كذا ولماذا قال كذا؟ هذه الألفاظ تُخْرِج عن مناظ الإسلام الصحيح. المسلم الحق يأخذ القرآن نبراساً ويأخذه مثلاً والقرآن هو الذي يبقى وليس أنا الذي أهددُ ماذا يقول، هذا الكلام غير منضبط.

ولو كنت محققاً أو متدبراً أو واعياً يجب أن أعرف لماذا قال الرسول ﷺ هذا الحديث وما هو سببه وما هي مناسبه؟ هل كان يتكلّم عن خلق آدم وحواء؟ أو كان يستعرض خلق آدم وحواء؟ يجب أن نعرف مناسبة الحديث وسببه ولماذا قاله ﷺ؟.

مناسبة حديث رسول الله ﷺ أن الرسول ﷺ يشجع الرجال على حُسن معاملة النساء، ويضرب لهم مثلاً بطبيعة المرأة لا بخلقها فيقول ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»^(١)

أول الحديث يقول استوصوا بالنساء خيراً، إذن الرسول ﷺ يعلم أن طبيعة المرأة تجعل الرجل قد يسيء معاملتها لأنه لا يفهم حقيقة الأمر، فإن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل مع أنها من جنس واحد وهذه الطبيعة التي قد لا تعجب الرجل في المرأة هي الميزة وهي قمة الاستقامة. الحديث ليس له علاقة بالخلقة إنما النقطة التي تكلم فيها الحديث هي التي تكلمت فيها آيات سورة النساء، المضمون العام ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢) أنت كرهته لأسباب، وليس فجأة، لكنّ هذه الأسباب شاء الله أنها لو صبرت عليها سيجعل الله تعالى فيها خيراً كثيراً. آيات الطلاق فيها توصيفات بدعية وفيها مضامين ليس لها علاقة بالطلاق ولكنها تبشر الصابر ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾ ما علاقة هذه الآية بالطلاق؟ لكن إذا تدبرتها تجد أن الرجل المستعجل بالطلاق لو صبر يجعل الله تعالى له مخرجاً. إذن مضمون سورة الطلاق هو مضمون حديث الرسول ﷺ. إذا ذهب رجل ليطلق امرأته يقول له الحديث إنته أنت لم تفهم، استوصي بالنساء خيراً المرأة خلقت من ضلع.

الرسول ﷺ تدرّب على وحي السماء، وتعلّم على وحي السماء فأصبحت مفردات كلماته عالية، لغوية بليغة فقال: فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. هذه تذكرنا بواقعة عيسى وآدم -عليهما السلام- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾^(٤).

(١) رواه البخاري، حديث رقم ٣٣٣١، كتاب: النكاح، باب: الوصية بالنساء.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.



ثم تكلم عن آدم وكيف خلقه، خلقه من تراب. فلغة الرسول ﷺ مستقاة من الوحي وتأثير الوحي جعل الرسول ﷺ يتكلم بلغة القرآن.

القرآن كلام الله تعالى وقال سبحانه ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(١) فهل هناك مادة اسمها عجل خلق منها الإنسان؟ حتى لو لم أعرف المجاز والكناية والاستعارة، وفي آية أخرى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾^(٢). نحن لما سمعنا أنا خلقنا من تراب ذهب ذهننا إلى التراب الذي نعرفه لكن لما نسمع من ضعف فهل هناك مادة اسمها ضعف؟ أو عجل؟ هذه الكلمات كناية أو مجاز أو غيرها. لكن نفهم من ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أنها كناية عن أن الإنسان بطبيعته يحب العجلة فكأنه مخلوق من مادة يوصف بها. وكذلك كلمة من ضعف وكذلك كلمة من ضلع. من ضعف تساوي في الأداء من عجل تساوي عند الرسول ﷺ من ضلع.

أما بخصوص الآية في مطلع سورة النساء، الله تعالى خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ النفس الواحدة خلق منها آدم باتفاق العلماء وخلق منها حواء فهي لم تخلق من آدم وإنما من النفس. للأسف لا أحد ينتبه للتعبير الأدائي فنحن تصورنا أن الله تعالى خلق آدم من نفس ثم خلق حواء من آدم وهذا خطأ. في سورة الأعراف قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣) وكأني بالله تبارك وتعالى يقول للعالمين؛ افهموا أنه ساعة ما أراد خلق آدم كأنه خلقكم أنتم. وساعة ما صور آدم كأنه صوركم أنتم لأنكم أنتم قد تحتاجون لأدوات إذا أردتم أن تفعلوا شيئاً وتحتاجون لزمن لهذا الفعل أما الله تعالى بنص القرآن الكريم قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، فساعة ما يقول أنا سأخلق آدم ليعمل ذرية تكون الذرية قد عملت وانتهى الأمر. الآية صحيحة إلى يوم القيامة (خلقناكم من عهد آدم، وخلق منها- أي من نفس «النفس الانسانية» التي خلق منها آدم - خلق زوجها. آدم ليس هو النفس، وإنما هو جاء منها، وكما خلق آدم خلقت حواء، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

و«الشيء» إذا كان موجوداً في أي وقت أو زمان أو مكان يجب أن يكون فيه زوجان ذكر وأنثى، لأن الخلق مشى. إذن حواء خلقت إما مع آدم جنباً إلى جنب أو بعد إتمام خلق آدم وعلى أي

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١١.

(٤) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٥) ف سورة الذاريات، الآية: ٤٩.



حال فهي خلقت بنفس الكيفية ولا داعي لتكرار طريقة خلقها في القرآن. ولتوضيح معنى ﴿مِنْ نَفْسٍ﴾ سنضرب هذا المثال. قال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾^(١) فهل تعني أنه أخذ قطعة منهم خلق منها محمداً ﷺ؟ كلا وإنما هو توقيع مجازي يدل على أنه من طبيعتهم، ومن جنسهم، ومن أنفسهم، من الخُلقة نفسها، بشر مثلكم لأنكم لستم ملائكة ولو كنتم ملائكة لأنزل عليكم ملكاً رسولاً.

وبهذا يتبين لنا، كباحثات، ان الله تعالى القادر على الخلق من العدم قادر على أن يخلق آدم ويخلق له زوجاً من جنسه لها مواصفات مختلفة عن مواصفاته لأنها مختلفة في المسؤوليات وفي الأعمال عن دوره وعمله ومسؤوليته في إعمار هذا الكون.

وسواء خلقت المرأة من ضلع آدم كما يفسر قول رسول الله ﷺ بعض المفسرين، أو خلقت من النفس الإنسانية لكن بمواصفات فيها ميل واعوجاج يتماشى مع دورها في الحياة، كما شبهها الرسول بالضلع الأعوج، ولقد اختار عليه - الصلاة والسلام - الضلع لتشبيهها به لما في الضلع من أهمية ومكانة في جسم الإنسان وفي حفظ قلبه، حيث يوجد سرّ حياة البشر، وبذلك يحفظ لها مقامها ومركزها ودورها المهم بالنسبة إلى أسرتها، مجتمعها الصغير، وبالنسبة إلى المجتمع الكبير الذي تعيش فيه فلو أن رسول الله ﷺ لم يكن عارفاً وعالماً بأهمية مقام المرأة ودورها في الحياة، لما شبهها بالضلع بل لاختر شيئاً آخر أعوج ولا قيمة له وشبهها به، كغصن الشجرة المائل مثلاً، أو لرسم خطأ أعوج وشبهها به ثم حذفه، كما استعان بالرسم في تفصيله لأمر دينية أخرى. والرّسول ﷺ بدأ حديثه بـ (استوصوا بالنساء خيراً)، وأنها بالكلام نفسه وبالتوصية نفسها، وبالإلحاح نفسه: استوصوا بالنساء خيراً...

ومن هنا نقول: لحكمة من الله تعالى خلق الزوجين الذكر والإنثى وجعل منها ذرية تعمّر الأرض وتسيح بحمد الله. فلمّ التناظر والتحاور؟ هكذا خلقنا وهكذا نحن وهذا دورنا ومن أولى اهتمامات الرجل حسن رعاية المرأة والاهتمام بها ورعايتها. وكفى بالله حسيباً وكفى بالله وليّاً.



(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.





الفصل الثاني: مواصفات جسم المرأة

- المبحث الأول: الهيكل العظمي ووصف أهم أجزائه وأعضائه.
- المبحث الثاني: مما يتكون الإنسان.
- المبحث الثالث: النفس في القرآن الكريم ومنافذها.



المبحث الأول:

الهيكل العظمي ووصف أهم أجزائه

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ ﴾^(١).

يتفق علماء المسلمين على أن المرأة كالرجل تماماً في التكليف، والتشريف، والمسؤولية، ولكن المرأة ليست كالرجل في أشياء أخرى، إذ لها خصائص في بنيتها الجسميّة، ولها خصائص في بنيتها النفسية، ولها خصائص في بنيتها الاجتماعية، ولها خصائص في قوة إدراكها. وفي طبيعة إدراكها؛ كما أن علماء النفس، يقرّون أن الأنثى لها خصائص نفسية غير الخصائص البيولوجية المادية، أضف إلى ذلك، أن جسم الأنثى، وجسم الرجل يختلفان اختلافاً بيناً في التكوين^(٢).

فبعد معرفتنا بخلق حواء، وأهمية وجودها إلى جانب آدم -عليه السلام- لإعمار هذه الأرض، اقتضت حكمة الله أن يُنزل الأبوين (آدم وحواء) من الجنة، ليظهر مقتضى أحكام أسائته وصفاته فيها وفي ذريتهما، فلو تربت هذه الذرية في الجنة لفاتت آثار هذه الأساء، وتعلقاتها؛ والكمال الإلهي يأبى ذلك، فإنه الملك الحقّ المبين، يُثيب ويُعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، فأنزل الأبوين والذرية إلى دار تجري عليهم فيها هذه الأحكام^(٣).

لأجل ذلك، ولحكمة بالغة يعلمها الله تعالى، خلق الله -عزّ وجلّ- المرأة وخصّها بخصائص وصفات في هيكلها العظمي وفي جميع أعضائها الداخلية والخارجية مختلفة عن خصائص وصفات الرجل، إذ لو كانت خصائصها متقاربة أو متقابلة لما كانت الأنثى مخلوقاً رقيقاً لطيفاً مليئاً بالحنان والعطف والمحبة، بل لأصبحت رجلاً أو قريباً من الرجل الإنسان بالطباع وإن اختلف قليلاً بالشكل، وسبحان الله عمّا يصفون. ولكي تظهر هذه الخصائص، ولكي تظهر قدرته في إظهار الفروقات بين جسمها وجسم الرجل حتى يتعرّف الرجل على ما خصه الله -عزّ وجلّ- به من نعم جعل الله شخصية الأنثى مختلفة، في طباعها وأعضاء جسمها ووظائفها، بما في ذلك من تعبيرات جسمية ونفسية؛ ولذلك على الرجل حسن التعامل مع المرأة، وحسن

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) نابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، دار المكتبي، سوريا، دمشق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى، ص ٥٣.

(٣) شفاء العليل، ص ٢٤٣.



معاشرتها كما أمره الله - عزّ وجلّ -، ولتحقيق ذلك يمكنه تعلم فنون التعامل مع المرأة كما أوصاه الله - جل جلاله - ورسوله الكريم ﷺ. وأهمية تعلم فنون التعامل مع المرأة تكمن في ضرورة بناء حياة زوجية متينة، لضمان نجاح وصلاح الأسرة أو فسادها^(١). ولتحقيق هذه الضرورة في تعلم حسن التعامل بين الرجل والمرأة، نرى أنه لا بدّ من استعراض مواصفات جسم المرأة، لإظهار الفروقات بين جسم المرأة وجسم الرجل، والتي تسهم في مساعدة الرجل لفهم طبيعة المرأة وتساعد في إبداء المساعدة لها في الوقت المناسب وفي الطريقة المناسبة والبنّاءة.

أولاً: في الهيكل العظمي^(٢):

يبرز هذا الفصل مواصفات جسم المرأة، وأشكال أهم أجزائه وأعضائه الظاهرة والباطنة... لكي تظهر مزايا صنع الله الذي أتقن كل شيء في جسم المرأة وتظهر الفروقات بين جسمها وجسم الرجل.

الهيكل العظمي:

إن الهيكل للمرأة أقصر من هيكل الرجل، ووزنه أخف، وحجم أجزائه أصغر وأدق، وتركيب الهيكل العظمي عند المرأة يجعلها أقل قدرة على الحركة والانتقال من الرجل. فرأسها أصغر، وعنقها أدق، وصدرها وأكتافها أضيق، ووركها أكبر، وساقها أدق، وكفّها وقدمها ألطف.

صدر المرأة أصغر حجماً من صدر الرجل، وحركات أضلاعها أوسع نطاقاً في حركات التنفس. كذلك صدرها ورئتها أقل سعة من سعة صدر الرجل ورئتيه، والتنفس لديها أسرع ولكنه أنقص من الوجهة الكيماوية، فهي أقل امتصاصاً منه للأوكسجين وأقل إطلافاً للحمض الكربوني، ولذلك نجد المرأة دون الرجل في درجة الحرارة.

الحوض:

يختلف تركيب حوض المرأة عن حوض الرجل بسبب اختلاف وظيفتيهما، وهناك تسعة عشر فرقاً بينهما، فإضافة إلى وظيفة حفظ بعض الأعضاء لكل من الرجل والمرأة، إذ إنّ لحوض المرأة

(١) الطرشة، عدنان، دليلك إلى المرأة، دار الكتاب والسنة، كاراتشي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ١٠.
(٢) مبادئ علم التشريح ووظائف الأعضاء، شفيق عبد الملك، أمراض النساء، أحمد رفعت. ألف بآء الحياة الزوجية، محمد رفعت، المرأة المسلمة، وهي سليمان فاوجي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، الثقافة الجنسية، هاني عرموش.



وظيفة إضافية مهمة هي حفظ الرحم والمبيض وقناتي الرحم والمهبل. وحوضها مُهيأ للقيام بدور مهم هو نمو الجنين نمواً هائلاً، وصيانتته، ثم مروره بتجويف الحوض هو وملتقاته مثل المشيمة والأغشية إلى العالم الخارجي وقت الولادة، وهذا يستلزم بعض التغييرات والتعديلات فنرى تجويف حوض المرأة أوسع وأقصر، ويتطلب أن تكون عظامه أرق وأقل خشونة وأبسط تضاريساً.

وحوض المرأة على متانتته له مفاصل أربعة تسمح بحركات قليلة حتى يزداد اتساعه خاصة في وقت الولادة، وهذا من أعظم الأدلة على عناية الرب تعالى وقدرته ومشيئته. فإن الرحم لا بد أن يفتح الانفتاح العظيم جداً. وقد اعترف فضلاء الأطباء، وقالوا: لا يكون ذلك إلا بعناية إلهية وتدبير تعجز العقول عن إدراكه. وبذلك نُقر للخلاق العظيم بكمال الربوبية والقدرة^(١).

العظام:

عضلات المرأة أضعف من عضلات الرجل بقدر الثلث، ولكن عضلاتها تفضل عضلات الرجل في النسيج الخلوي الذي يحوي كثيراً من الأوعية الدموية واللمفاوية والأعصاب الحساسة.

الجلد:

جلد المرأة أملس وأنعم من جلد الرجل، والشعر النابت في جسمها أقل وأقصر وأنعم من الشعر النابت في جسم الرجل.

العخ:

مخ المرأة ينقص في المتوسط عن مخ الرجل بمقدار مائة غرام، وقد شوهد أن نسبة مخ الرجل إلى جسمه كنسبة ٤٠ / ١ أما نسبة مخ المرأة إلى جسمها فهي ٤٤ / ١ فهناك فرق بين النسبتين. ومخ المرأة أقل ثنيات وتلافيفه أقل نظاماً، وكذلك يوجد اختلاف بين المخين في الجوهر السنجابي الذي هو في النقطة المدركة من المخ، فهو عند النساء أقل منه عند الرجال بدرجة محسوسة. ولكن في مقابل ذلك نجد مركز الإحساس والتهيج عند المرأة أحسن تركيباً وأسرع تفاعلاً ونشاطاً.

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص ٢٢٦.



علم الله عز وجل لإظهار هذه
الرحمة

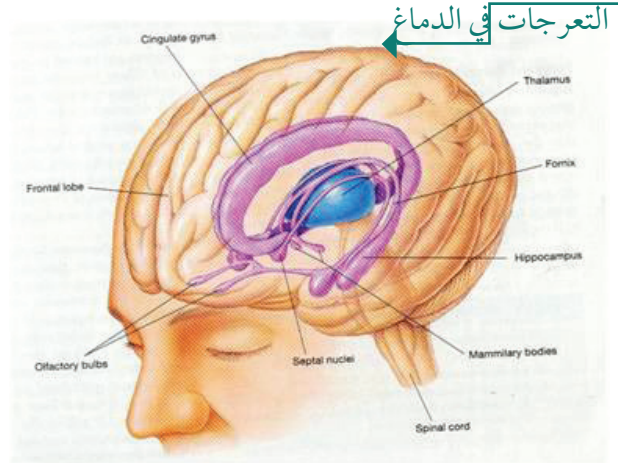
بيأتي علم الله عز وجل لإظهار هذه:
الرحمة في ان الله عز وجل خلق:
تعرجات في الدماغ البشري. كما:
هو موضح في الصورة المشار إليها:
.....
بالسهم

هذه التعرجات تؤدي الى زيادة:
مساحة سطح الدماغ اضعافاً:
مضاعفة مقارنة بسطح لا يحتوي:
على تعرجات.

هذه الزيادة في المساحة الخارجية:
لسطح الدماغ تؤدي الى تصريف:
الحرارة المتولدة بسرعة كبيرة جداً:
وبأقل زمن مما يؤدي الى تبريد:
الدماغ وعدم الشعور بالأم.

متطلبات الرحمة

عند قيام الدماغ البشري بوظائفه الحيوية
إن ذلك يولد حرارة. فتتطلب الرحمة ان
يتم تصريف هذه الحرارة بأقل وقت لكي
لا تتراكم الحرارة في الدماغ وتولد آلام.



القلب:

قلب المرأة أصغر من قلب الرجل، ونبضه لدى المرأة أسرع وأكثر بما يتراوح بين ١٠ - ١٤ مرة في الدقيقة.

غدة الثدي:

ثدي المرأة عبارة عن غدة من الغدد التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأعضاء التناسل، وتتكون غدة الثدي من بروز ظاهر يتخذ شكل نصف الكرة، ويوجد في وسطها إلى الأسفل بروز حلمي، ويعرف بـ (حلمة الثدي) التي لها المقدرة على الانتصاب، وهي من أماكن الإثارة واللذة الجنسية

عند المرأة.

وتتركب غدة الثدي من:

١- ألياف خلوية ليفية.

٢- فصوص دهنية عديدة.

٣- غدّد لبنية كثيرة العدد من النوع العقنودي. ولكل غدة قناة يتحد بعضها مع بعض لتكوين قنوات أكبر منها حتى تنتهي أخيراً بفتحاتها بقمة حلمة الثدي.

وكونها غدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأعضاء التناسل فإنها تعدّ نفسها في كل حمل لتقوم بدورها، فتتفخ غددها، وتحتقن أوعيتها وتتسع، ويشعر الثدي بثقل وربما وصل إلى ألم، قبيل ظهور الطمث، ثم ترجع عادة غدة الثدي إلى حالتها الأولى بعد انقطاع الطمث.

الجهاز التناسلي:

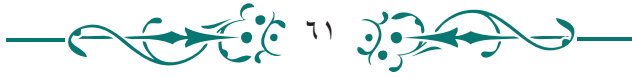
يشمل الجهاز التناسلي في الأنثى أعضاء ظاهرة وأعضاء باطنة.

فالأعضاء الظاهرة هي:

١- **الشفرة الكبيرة:** وهما أكثر أعضاء التناسل الظاهرة ظهوراً، يغطيان جملة فصوص دهنية، يتخللها نسيج خلوي، ويلامس حرفهما الداخليين بعضهما بعضاً فيحجبان بقية أعضاء التناسل الظاهرة عن الرؤية، ويتصل الشفران معاً من أعلى أمام الارتفاق العاني فيكونان بروزاً محدباً واضحاً يعرف (بجبل الزهرة) وهو عبارة عن فصوص دهنية مجتمعة بعضها إلى بعض، وتغطية منطقة من الجلد يعلوها شعر كثيف.

٢- **الشفرة الصغيرة:** وهما بروزان طوليان من الجلد أصغر من الشفرين الكبيرين، جلدهما أملسان رقيقان وورديا اللون ويحتويان على بعض الفصوص الدهنية، ويحيطان إحاطة تامة بفتحة الفرج.

٣- **البظر:** وهو العضو الذي يقابل القضيب في الرجل. ويتركب من قائمتين نسيجهما إسفنجي انتصابي. يتحدان معاً لتكوين جسم البظر الذي يبلغ طوله ستمتراً ونصف ستمتر، وينتهي من الأمام بجزء مخروطي الشكل هو (حشفة البظر) التي تحاكي حشفة القضيب. وظيفته الأساسية هي الإثارة الجنسية. وبسبب أن طول البظر وحجمه يختلف من فتاة إلى أخرى بحيث قد يصل طوله إلى عدة ستمترات في بعض الأحيان خاصة في المناطق الحارة، فلهذا يُجرى للأنثى عملية ختان كالذكر، وقد قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لأم عطية التي



كانت تقوم بختان الإناث موجّهاً إياها إلى كيفية إجراء هذه العملية: « اخفضي ولا تنهكي فإنه أضر للوجه، وأحظى عند الزواج»^(١)، أي إذا ختنت المرأة فلا تبالغي في استقصاء محل الختان بالقطع، بل أبقِ بعض ذلك الموضع لأهمية في نضارة الوجه، ولدوره عند الزواج.

٤- فتحة الفرج أي فتحة المهبل: وهي الطرف الانتهائي لقناة المهبل من أسفل. وتظهر بين الشفرين الصغيرين، وهي محاطة من كل ناحية ببصليتي المهبل.

٥- غشاء البكارة: وهو غشاء رقيق قليل الأوعية الدموية (avascular)، يغلف فتحة الفرج الظاهرة عند البنت البكر، ويفصل الأعضاء التناسلية الخارجية عن الأعضاء الداخلية، وله فتحة طبيعية لمروور دم الطمث كل شهر. وهذا الغشاء يتمزق عند أول اتصال جنسي مع العذراء فتتزل نقطة أو بضع نقط من الدم، لم يخلقه الله عبثاً، فوجوده دليل واضح على محافظة الفتاة على عفتها وعدم ممارستها الجماع قبل زفافها.

٦- بصلتا المهبل: وهما عبارة عن جسمين انتصبيين، واحد على كل ناحية من فتحة المهبل الانتهائية، وهما يقابلان بصلة القضيب عند الرجل.

٧- غداتا بصليتي المهبل: وهما غداتان على جانبي فتحة المهبل، ووظيفتها إفراز سائل لزج عند الشعور باللذة الجنسية، حتى تسهل عملية الاتصال الجنسي.

٨- الصماخ البولي الظاهر: وهو عبارة عن الفتحة الانتهائية الطرفية والظاهرة لقناة مجرى البول، توجد أعلى فتحة الفرج مباشرة وأسفل البظر.

أما الأعضاء الباطنة فهي:

١- المبيض: وهو الغدة التناسلية الأساسية للأنثى... يصنع البويضات ويطلق كل شهر بويضة واحدة... وهو يقابل الخصية في الذكر. وهناك مبيضان واحد على كل جانب... موضوع في حفرة خاصة تعرف بـ (الحفرة المبيضية) من الحوض، وخلاياه الرئيسية تشابه خلايا الخصية عند الرجل، ويحتوي على كثير من حويصلات مبيضية مختلفة الأحجام... وكل حويصلة تحتوي على كثير من الحويصلات المبيضية المختلفة الأحجام... وكل حويصلة تحتوي على بويضة واحدة زيادة على الأنسجة الأخرى التي أهمها طبقتان تحيطان بالبويضة بينهما سائل. ويزيد هذا السائل في الوقت المعين؛ وتتخذ الحويصلة مكانها قرب سطح المبيض حتى إذا حل الموعد المعين انفجرت الحويصلة فتخرج البويضة حرّة طليقة، وتسمى هذه العملية (عملية الإباضة)، فتدخل البويضة راضية إلى القناة الرحمية عبر قناة

(١) صحيح الجامع: رقم ٢٣٦، والخطاب لأم عطية، أي إذا ختنت المرأة فـ (لا تنهكي) أي لا تبالغي في استقصاء محل الختان بالقطع، بل أبقِ بعض ذلك الموضع، (حديث صحيح رواه الطبراني والحاكم في المستند عن الضحاك بن قيس).



فالبوب (Fallopian Tupe)، غير أنه يملأ مكان خروج البويضة نمو الأوعية الدموية لتكوين نسيج أصفر اللون يعرف بـ (الجسم الأصفر) حيث يقوم بإفراز (البروجسترون).

يحتوي المبيض الواحد على بضعة آلاف حويصلة ليست كلها صالحة للإخصاب، بل لا ينضج من بينها إلا حوالي ٤٠٠ أربعمائة بويضة في أثناء الحياة التناسلية لكل امرأة، وتخرج بويضة واحدة كل شهر في غير أوقات الحمل (عند المرأة غير الحامل).

يبدأ عمل المبيض في إفراز البويضة الناضجة في سن البلوغ للأثني لأول مرة في حياتها، والبويضة الناضجة تفوق زميلاتها في النمو وتتغلب عليها ثم تقضي عليها بما تفرزه من هرمونات خاصة. وبمجرد إفراز البويضة من فوق سطح المبيض تتلقفها أهداب قناة فالوب (Fallopian Tupe)، ثم تتحرك هذه البويضة داخل القناة وتنتظر، في الثلث الخارجي منها، وصول النطف المنوية... وهي لا تنتظر فترة طويلة، بل تمكث حية ونشطة لمدة لا تزيد على ١٢ hrs - ٨ ساعة ليتم إخصابها بواسطة إحدى النطف المنوية النشيطة التي تنجح في الوصول إليها.

فإذا حدث الإخصاب فإن رحلة البويضة المخصبة تستغرق ستة أيام لتصل إلى هدفها وهو الرحم، ثم تبدأ وتستقر وتنمو بداخل الرحم في الجدار المبطن له، لتكتمل مرحلة نمو الجنين طوال المدة المعروفة وهي ٢٨٠ يوماً تقريباً.

وإذا لم يحدث الإخصاب فإن البويضة تموت وتتلاشى، ثم يحدث الحيض الذي هو دليل على عدم حدوث حمل.

أ- المبيض والهرمونات: يقوم المبيض بإفراز الهرمونات الجنسية الأنثوية وهي هرمون (الإستروجين) وهرمون (البروجسترون) وكل منهما له وظائفه وتركيبه الخاص.

يُعدُّ هرمون (الإستروجين) الهرمون الجنسي الأنثوي المسؤول عن صفات الأنثى الجنسية والعقلية، كذلك هو المسيطر والمتحكّم في الخطوط والانحناءات في جسد كل أنثى.

بالإضافة إلى الوظائف الأنثوية السابقة، يعمل هرمون الإستروجين على نمو الأعضاء التناسلية الأنثوية كالثديين مثلاً، لكنه لا يسبب إفراز اللبن منها وقت الرضاعة... وهو المسؤول كذلك عن نمو الرحم من حجمه الطفلي وقت الطفولة إلى حجمه الكامل وقت النضوج... وهو الذي يعمل على نمو غشاء الرحم، وكذلك نمو الأوعية الدموية نمواً كبيراً، وزيادة عدد الغدد الرحمية لتصبح على شكل أنابيب طويلة، وكل ذلك استعداداً لاستقبال البويضة الملقحة... كذلك هو المسؤول عن النمو الهائل في حجم الرحم وقت الحمل... ومن وظائف هرمون الأنوثة هذا أنه يقوم أيضاً بتنمية عضلات جدار الرحم... ويؤثر على المهبل فتزداد إفرازاته الحامضية والقاتلة للميكروبات... إنه هرمون الأنوثة الذي يؤثر على كيان المرأة ويدفعها إلى الرجل ويجعله محبوباً في عينيها... إنه هرمون يؤدي وظائفه بكل دقة.



أما هرمون (البروجسترون) فهو الهرمون الثاني الذي يفرزه المبيض، بعد إخراج البويضة مباشرة على عكس زميله الإستروجين الذي يفرزه المبيض طوال الشهر. فبعد انفجار الحويصلة تتحول إلى الجسم الأصفر الذي يرسل هرمون البروجسترون لجعل الرحم يستعد لاستقبال البويضة الملقحة بتجهيز الفراش والأغذية والسماح للمني بالولوج لتلقيح البويضة... وعند حدوث الحمل يتضخم الجسم الأصفر ويبحث برسله (هرمون البروجسترون) تقوية الرحم الذي يضمه... فمن أهم وظائف هذا الهرمون استمرار الحمل وسلامته ومنع الإجهاض... حتى أنه يمكن أن يسمى (BHCG).

وهرمون البروجسترون تأثير مهم على الجدار المبطن للرحم من الداخل الذي سيعيش فيه الجنين فهو مسؤول عن سلامته... كما تنمو الغدد اللبنية لأول مرة في الثدي، وتزداد تغذية الثدي وترويه بالدماء ليخرج بعد حين لبناً سائغاً يخرج من بين فرث ودم. كما أنه يأمر عظام الحوض ومفاصله أن تتباعد قليلاً عن بعضها، لتوسع الحوض لأن الرحم ينمو سريعاً، وأن تزداد مرونة مع الأربطة لتزداد حركته أثناء الولادة والغرض من هذا -بالطبع - تسهيل عملية الولادة.

ب- المخ والعاطفة والمبيض: يتحكم النصف الأمامي في الغدة النخامية بالمخ تحكماً تاماً في عمل المبيض ووظائفه عن طريق ثلاثة هرمونات هي الأخرى ترسم الدور أمام هرمونات المبيض، وأي خلل أو اضطراب في هذه العلاقة يؤثر تأثيراً بالغ الأهمية في حياة الأنثى الغددية والجسمية من وقت البلوغ حتى سن اليأس.

ويسيطر المخ عن طريق العاطفة وتقلباتها على الوظائف المهمة للمبيض، فقد وجد ارتباط قوي بين الحالة العاطفية للأنثى وحساسيتها، وبين زيادة أو نقص عمل المبيض والطمث الشهري (عدم انتظام عملية الإباضة).

٢- الرحم:

هو عضو عضلي أجوف جدرانه ثخين، وهو إحصائي الشكل، موضوع وسط الحوض، بين المثانة من الأمام، والمستقيم من الخلف، وينقسم إلى جسم وعنق، يبلغ طوله سبعة سنتيمترات، وعرضه خمسة سنتيمترات، وسمكه نصف عرضه. أما حجم تجويف الرحم في الأنثى البالغة فلا يزيد عن 10 mm، أما في نهاية الحمل فإن تجويفه يتسع لسبعة آلاف مليمتر، ووزن الرحم قبل الحمل خمسون غراماً أما في نهاية الحمل فيصل وزنه بدون محتوياته إلى ألف غرام، أما مع محتوياته فيصل وزنه إلى ستة آلاف غرام. والرحم مبطن بطبقة سميكة من الغشاء المخاطي الذي يتضخم ويمتلئ بالأوعية الدموية في كل دورة شهرية استعداداً للبويضة التي عسى أن تصله مخصبة عن طريق القناة الرحمية، وإذا كانت مخصبة يقوم الرحم بكل ما يلزمها ويحفظها آمنة نامية إلى أن تكمل جنيناً في الشهر التاسع، ثم يعمل اللازم لإتمام أدوار الولادة في موعدها

على أصلح حال. فعندما يأذن الخالق تبارك وتعالى بخروج الجنين يبدأ الرحم في الانقباض، ويجعل الله انقباضات الرحم متقطعة حتى لا تؤثر على حياة الجنين وليبقى سليماً معافى... فبدلاً من الضغط المباشر على الجنين تتجه الانقباضات إلى أسفل لتوسيع عنق الرحم، لتسهيل ولادة الجنين وخروجه إلى هذا العالم.

وقد أولى الله - عزَّ وجلَّ - الرحم أهمية كبيرة، وذكره في كتابه الكريم، بمعنى المحل الذي ينمو به الجنين. لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِنَّ اللَّهَ الْإِلَهَ الْعَزِيزَ الْحَكِيمَ﴾ (١)، ﴿وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٢)، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٣)، كما ذكره بمعنى صلة الرحم وهي صلة القربى الناتجة عن الرحم وما يجمعه. لقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٤)، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٥)، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٦).

وهناك أيضاً أحاديث قدسية وأحاديث نبوية كثيرة جداً توضح مكانة الرحم من الله وأنه اشتق اسمها من اسمه الرحمن، وأنه يصلُّ مَنْ وَصَلَهَا ويقطع من قطعها، وأنها معلقة بالعرش، مثل: قال رسول الله ﷺ: (قال الله عزَّ وجلَّ: أنا الرحمن، وأنا خلقت الرحم، واشتقت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته) (٧)، وقال عليه- الصلاة والسلام -: (لا يدخل الجنة قاطع رحم) (٨)، وقال ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّدَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (٩).

٣- قناة الرحم: للرحم قناتان واحدة على كل جانب، وهي قناة عضلية مخاطية ضيقة، متناهية في الدقة من الداخل، وتنتهي بانتفاخ يعرف باسم البوق الذي يحيط بالمبيض بمجموعة من الأهداب تشبه زهرة القرنفل، وهي تتلقف البويضة الناضجة وتحملها حملاً رقيقاً إلى داخلها حيث يوجد بغشائها المخاطي جملة أهداب تساعد على حركة البويضة وتدفعها إلى الثلث الأخير من القناة حيث تنتظر البويضة وصول النطفة المنوية التي ستقوم بتلقيحها، فإذا حصل

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٧) رواه البخاري، في الأدب المفرد، باب: فضل صلة الرحم.

(٨) متفق عليه: واللفظ لمسلم، كتاب: البر والصلة والأداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(٩) متفق عليه: واللفظ لمسلم، كتاب: البر والصلة والأداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطعيتها.



التلقيح وبدأت البويضة في الانقسام تقوم الشعيرات الدقيقة في غشاء قناة الرحم بدفع البويضة إلى أن تصل إلى الرحم. وهذه المهمة تستغرق ستة أيام.

٤-المهبل: هو قناة عضلية انتصائية، تمتد من عنق الرحم إلى فتحة الفرج، وطولها من ٨ إلى ١٠ سنتيمتر، فيها يدخل العضو عند الاتصال الجنسي. ومنها أيضاً يمر دم الطمث إلى الخارج، وكذلك يخرج الجنين في حالة الولادة.

والمستقيم من الخلف، وينقسم إلى جسم وعنق، يبلغ طوله سبعة سنتيمترات، وعرضه خمسة سنتيمترات، وسمكه نصف عرضه. أمّا حجم تجويف الرحم في الأنثى البالغة فلا يزيد عن ١٠ mm، أما في نهاية الحمل فإن تجويفه يتسع لسبعة آلاف مليلتر، ووزن الرحم قبل الحمل خمسون غرام.



المبحث الثاني:

مم يتكون الإنسان عموماً؟

يتكوّن الإنسان من الأقسام والأجزاء التالية:

١- **الجسد:** هو ما خلقه الله - عزّ وجلّ - من تراب وماء فكان طيناً وبعدها صار طيناً لازباً ثمّ تركّ ليَجف في الهواء، فكان صلصلاً، ثمّ صلصلاً من حمّا مسنون، ثمّ صلصلاً من فخار.

٢- **الروح:** ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾^(١)، الروح بها تكون حياة الإنسان وبخروجها يكون الموت، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

٣- **الحواس:** هي منافذ للإنسان يتعرّف بواسطتها إلى ما يحيط به من حاجات وأشياء ومخلوقات.

٤- **العقل:** هو ذاك الفكر والإحساس الذي يجعل الإنسان العاقل يحبس نفسه ويردّها عن هواها. والتعقل ضدّ الحماسة وسمّي العقل عقلاً، لأنه يعقل (يحجز ويمنع) صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه، والعقل في اللغة: هو الحجر والنهي وهو ضدّ الحمق والجهل^(٣). أما العقل في القرآن: فقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤).

وقد بين القرآن الكريم أن العقل الفطري هو العقل الذي يميّز الأمر البديهي على مقتضى مدارك اليقين المعروفة.

وقد ورد العقل بمعنى قوّة التمييز التي تقوم بالتعقل والتروي، ففي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: خرج رسول الله ﷺ في عيد الأضحى أو عيد الفطر إلى المصلّى، فمرّ على النساء فقال: (يا معشر النساء تصدقنّ، فإني أرى تكتنّ أكثر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكتنّ اللّعن، وتكفّرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل من

(١) سورة ص، الآية: ٧١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ١١/٤٥٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.



إحداكن، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تُصل ولم تُصم؟ قلن: بلى. قال: فذلك من نقصان دينها^(١).

أما العقل في المعنى الإصطلاحي العقدي فهو غريزة وضعها الله -عز وجل- في قلوب المتحنيين من عباده لا نعرف كيفيتها، ولكن نتعرف على وجودها من قول اللسان وأفعال الإنسان^(٢).

والدليل على أن العقل موجود في القلب قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣)، أثبت العلم لحديث أن العقل كائن في القلب: وقد ساد عند كثير من علماء الطب فهماء مفاده أن القلب عبارة عن مضخة ميكانيكية للدم، وأن مصدر العاطفة والمشاعر هو العقل، والمراد به المخ وليس القلب...

وقد جاءت معطيات العلم الحديث أخيراً لتؤكد أن العقل في القلب، وأن القلب هو المهيمن المتحكم في المشاعر والسلوك، ففي آخر الأبحاث العلمية حول الخلايا العصبية وعلم الأعصاب، ظهرت تفسيرات علمية محضة عن محفزات السلوك الإنساني وبواعثه كمسألة إخلاصه وولائه، والثقة والالتزام، والتغير السلوكي أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية، وكل هذه التفسيرات عادت لتصب في بوتقة الدليل النصي الظاهر من الوحي في نصوص القرآن والسنة.

في القديم، كانوا يقولون إن إشارات حواسنا الخمسة تنتقل عبر الجهاز العصبي بدائرة كهربائية مباشرة إلى المخ، فنفكر فيها ثم نستجيب بسلوك معين، وقد ثبت الآن خطأ هذه الفرضية، فالآن يقولون إننا عندما نقابل شخصاً لأول مرة، أو نواجه تحدياً، أو مشكلة، أو عندما تلوح لنا فرصة، فإن الموقف سواء كان تجربة، أو خبرة لا تذهب مباشرة إلى المخ لكي نفكر فيها، بل تأتي من الحواس المادية وتذهب إلى الشبكة العصبية في القلب وليس إلى المخ، فالمكان الذي تذهب إليه كل مؤثرات المواقف الإبتلائية هو القلب لا المخ.

وهناك اكتشاف آخر أدهش الكثيرين، وهو أن دقات القلب ليست نبضات ميكانيكية لمضخة، بل لديها لغة ذكية بالغة الذكاء، تؤثر على كيفية فهمنا، وتفاعلنا مع العالم الخارجي. إن الدراسات الحديثة في علم الأعصاب توضح أن كل خفقة للقلب يتدفق منها شلال عصبي يرمز له بهرمون التوازن، ويطلق من خلايا عصبية من القلب لترسل فوراً إلى المخ عبر العصب

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٩٨، كتاب: الحيض: باب: ترك الحائض الصوم، ١/١١٦.

(٢) الرضواني، محمود عبد الرزاق، منة القدير، مكتبة سلسبيل، القاهرة، المجلد الثاني، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص ٢٥٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

الشوكي.

ويعتبر هذا الهرمون، من خلال الدراسات الحديثة، الباعث الأساسي للسلوك الداخلي لجميع أعمال القلوب كالإخلاص والنية والمحبة والولاء والقبول والبغض والكره والحسد والحقد وغير ذلك، ومن حكمة الله تعالى أن جعل العقل صهام الأمان وميزانه، يوازن به بين مقدار الخير والشر، وجعله الله في قلب الإنسان يتحسن النظر في الأمور والأشياء فيحرص على ما ينفعه ويصل به إلى محض الإيثار^(١).

وليعلم الإنسان أن الله -عز وجل- حين كرمه على باقي خلقه، حين قبول الأمانة، فاستخلفه في أرضه، وأستأمنه في ملكه في دار الابتلاء والامتحان، هذه المعرفة لا يمكن أن يصل إليها العقل بمفرده، لأن ما يدرك الإنسان بعقله، كما ورد في القرآن أمرين اثنين:

الأمر الأول: وهو معرفة الأسماء، وحدود الأشياء. والعلم وهبٌ تلقائيٌ في حياته إلى يوم مماته. لذلك رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة منهم عن الغلام حتى يحتلم، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٣).

أما الأمر الثاني: والذي يجب على العقل إدراكه، فهو العلم بما جاءت به الرسل السماوية من أحكام شرعية وهداية دينية. فالله -عز وجل- بعد أن علم آدم - عليه السلام - وتحقق فيه الأمر الأول، كلّفه بمنهج شرعي يلتزمه فيما استخلفه واسترعاه واستأمنه، وابتلاه بأن يفعل أموراً محددة، ولا يفعل أموراً أخرى فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٤)

وقال تعالى بعدما أنزلها من الجنة: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾^(٥)^(٦)

فالعقل على هذا المعنى، ينطبق على الإرادة الحازمة القويّة القادرة على ضبط النفس والمستندة إلى نتائج العقل العلمي الواعي.

(١) الرضواني، محمود عبد الرزاق، مئة القدير، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ - ٢٥٧ بتصرف.

(٢) سورة الانسان، الآية: ٢

(٣) سورة النحل الآية: ٧٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٣.

(٦) الرضواني، مئة القدير، ص ٢٥٩ - ٢٦٤ بتصرف.



والعقل ينقسم إلى قسمين^(١):



فالعقلاء هم من استفادوا بنعمة العقل في معرفة ربهم ومعبودهم فوحده، واستدلوا بغناه الذاتي وفقر جميع الخلائق إليه، وأنه لا تكلان إلا على الله، فلا يرجعون بحولهم وقوتهم إلا إليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فأمنوا بقدرته واستقاموا على شريعته فهم حكماء عقلاء صدقوا مع أنفسهم، وصدقوا مع ربهم، وصدقوا مع نبيهم يورثهم الله البصيرة في قلوبهم، قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢)

أ- أمّا القلب من الجانب المحسوس^(٣): فهو الآلة الخارقة، التي لا تعرف التعب، إنها عضلة من أعقد العضلات بناءً، وعملاً، وأداءً، وهي من أمتنها وأفواها، تنقبض وتنسبط ثمانين مرة في الدقيقة. إنه مضخة مزدوجة تضخ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية، ونسيج، وعضو، وجهاز عن طريق شبكة من الأوعية، يزيد طولها على مئة وخمسين كيلو متراً. يضخ القلب ثمانية آلاف لتر في اليوم الواحد، أي ما يعادل ثمانية أمتار مكعبة من الدم، ويبدأ عمل القلب منذ الشهر الثاني من حياة الجنين ويستمر دون توقف حتى الموت.

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ٣، الجزء الأول، ص ٣٢٨-٣٢٩ بتصرف.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٣) الرضواني، محمود عبد الرزاق، منة التقدير، ص ١٢٤-١٢٨، بتصرف.

وينفرد القلب في استقلاله عن الجهاز العصبي، فتأتمر ضرباته، وتتنظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتي، هي أساس تخطيطه، وتتغذى عضلة القلب بطريقة فريدة!! ومن أعجب ما فيه دساماته المحكمة التي تسمح للدم بالمرور باتجاه واحد، وهو مبدأ ثابت بالمضخات.

يتألف القلب في جانبه المرئي من أربع غرف، الأذينة اليسرى، والبطين الأيسر، والأذينة اليمنى والبطين الأيمن. والغرف اليسرى تحتوي الدم الأحمر القاني، واليمنى تحوي الدم الأسود القاتم.

والقلب يتركب كذلك من عدة طبقات، أولها غشاء خارجي يبدو كيساً لصيقاً بالقلب هو الشغاف، وهو مغلف بغشاء آخر يسمى التامور. هذا الكيس يفرز مادة تليّن حركته لئلا يحتك بالقلب نفسه، وهذه المادة هي في الآلات كالزيت تماماً.

وقلب المرأة أصغر من قلب الرجل، لكن نبضها أسرع من نبضه.

ب - أما القلب من جانبه الغيبي: فهو الذي تتحقق فيه مقومات الإختيار في الإنسان فكما وصفنا سابقاً الحكمة من خلق الإنسان للامتحان والابتلاء وأنه عز وجل (خلق فيه مقومات للعيش على الأرض لإعمار الكون ومنها أن جعل لهم إرادة حرة، وسلطة على بعض ما وضع في ذواتنا من قوى وطاقات وأشياء، أمانة على سبيل الإعارة، وأذن لنا بالتصرف فيها بإرادات حرة).^(١)

فمن مظاهر الحكمة الإلهية، ومقومات الحرية والمسؤولية، أن الإنسان له حرية الإختيار، وبناء عليه فإن القلب له في جسم الإنسان المكان الأول، وهو المعول عليه في جميع الأمور، فهو القائد، والجوارح هي الجنود له والخدم، وهو الأمر الناهي، والأعضاء هم أتباع له وحشم، والقلب هو الجانب المدرك من الإنسان، وهو المخاطب والمطالب، والمعاتب، وهو محل العلم، والتقوى، والإخلاص، والذكر، والحب، والبغض، والخطرات، وهو موضع الإيمان والكفر، والإنابة، والإصرار، والطمأنينة والاضراب.

ثم يأتي معنى القلب في القرآن الكريم بحسب قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٢)، وفي حديث رسول الله ﷺ: ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب^(٣).

أما الجانب الغيبي من القلب فهو تابع للروح، وهو أساس كل فعل إرادي في جسم الإنسان،

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٩٦٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٢، ١ / ٢٨.



وينقسم الجانب الغيبي إلى منطقتين:

- ١- مركز الخواطر وحديث النفس.
- ٢- منطقة الكسب والحكمة في خلق مقومات الاختيار في الإنسان.

أولاً: مركز الخواطر وحديث النفس:

وينقسم إلى ركنين:

الركن الأول: نازعان. وهما: نازع الخير والتقوى، ونازع الشر والفجور.

والركن الثاني: هاتفان. وهما: لمة القرين (قرين الشيطان)، ولمة الملك (قرين الملك).
حديث النفس: هذه المنطقة مصدر الخواطر والأفكار، ومحل الإلهام في الإنسان، وهذه المنطقة لا حساب لها على ما يدور فيها من خواطر أياً كانت، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم).^(١)
رقيب عتيد: ملكان حاضران شاهدان، لا يغيبان عن العبد.

(إن صاحب الشمال^(٢) ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطيء^(٣)، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة)^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمْ مَا تَوْسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَحَنَّ آقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۖ﴾^(٥) ﴿١٦﴾ إِذْ نَبَلَقْنَا الْمَلْأَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾^(٦)

لمة القرين (قرين الشيطان): ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ بَوْلًا كَانِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُمُ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ ﴿٣٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٣٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٤٠﴾﴾^(٧)

لمة الملك (قرين الملك): (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال وإيائي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير)^(٨)
وقال تعالى: ﴿الْقِيَامَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَالْقِيَامَ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾^(٩)

(١) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، حديث رقم: ٥٢٦٩.

(٢) صاحب الشمال: أي ملك (رقيب عتيد).

(٣) أي لا يسجل خطاه إلا بعد ست ساعات إن لم يستغفر ويتب إلى الله تعالى.

(٤) رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها وثقوا، وقال عنه الألباني إسناده حسن.

(٥) سورة ق، الآيات: ١٦-١٨.

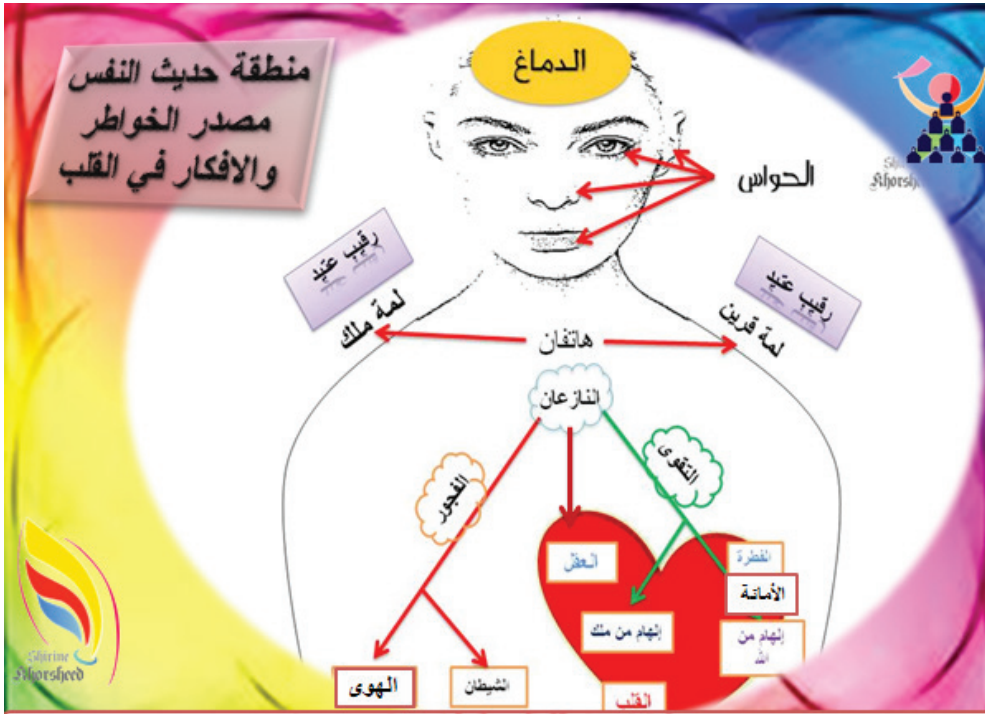
(٦) سورة ق، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٧) رواه مسلم، حديث رقم: ٢١٦٨، ٢٨١٤.

(٨) سورة ق، الآيات: ٢٣-٢٦.



عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة فأما لمة الشيطان، فإيعادٌ بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعادٌ بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء. (١)



(١) رواه الترمذي، وحسنه، حديث رقم: ٢٩٨٨، ٥ / ٢١٩، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة البقرة.



أغلب المفسرين يقولون إن الله ابتلى الإنسان بإيجاد نازعين في نفسه، أحدهما للفجور والآخر للتقوى، والنازعان كائنان (متواجدان) في منطقة حديث النفس، ومركزهما الصدر، أحدهما (نازع الخير) موجود داخل القلب، بينما يتواجد نازع الشر خارج جدار القلب في منطقة حديث النفس. نازع الخير يلهمه الله عز وجل خواطر الخير التي تدعوه إلى الإيثار بالآخره وتحضه على تقوى الله، بينما يتلقى نازع الشر خواطر الشر من هوى نفسه، ومن الشيطان. ونازع الشر هو مصدر خواطر الشهوات في الإنسان وغايته وبغيته متاع الحياة الدنيا، فهو يدفع النفس ونازع الشر فيها إلى التعلق بالحياة الدنيا ومشتياتها حتى يعبد الإنسان هواه، كما قال تعالى:

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَفَلَبِهَ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثْرَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(١)، ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢).

والقلب^(٣) كما يتضمن منطقة حديث النفس، يحتوي أيضاً على غريزة العقل كوسيلة

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٣) الرضواني، محمود عبد الرزاق، مئة القدير، ص ٢٩٠، بتصرف

للمعرفة والتمييز، ويحتوي على منطقة الكسب التي تمثل منبع الاختيارات والإرادات والقصود والنيات وجميع أعمال القلوب التي يحاسب عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١).

وقد وصف الله عز وجل القلب (٢) بأنه يمرض ويقسو بالنفاق، وأنه يصح بالصدق والإخلاص والتوحيد، وقد يغدو القلب كالبيت المففل، فهو لا يفتح لواردات الخير والهداية إلا بمفاتيح خاصة.

وقد يشتد الأمر حتى تختم الأفعال ويطبع عليها، وقد تعمى البصيرة عماء تاماً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣).

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٤).

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥).

وقد يصل إلى القلب وينفذ إلى داخل منطقة حديث النفس، ما يكون شديداً من انفعالات النفس وعواطفها وأحلاقتها، فيكون كسب الإنسان وفق إرادته التي هي أساس الاختيار وسيدة أعمال القلب، فيتحرك البدن تبعاً لهذا الاختيار ونتيجة لهذه الانفعالات ومنها:

١- **الرعب:** الذي يصل إلى عمق القلب، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (٦).

٢- **الوجل:** وهو الخوف الذي يصل إلى عمق القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٢٧٣ - ٢٧٩ بتصرف.

(٣) سورة التوبة، الآيات: ١٢٤، ١٢٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٥) سورة الحج، الآيات: ٥٣، ٥٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.



رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾، هذا الخوف من أوصاف المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، أي: خافت من عظمته وقهره والخوف من عقاب يوم الحساب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ رَّبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴿٦١﴾. (٢)

٣- الوجف: وهو شدة الخوف الذي ترتفع فيه دائرة القلب من عمق الجسد حتى تلبع الخناجر، ولا يبقى بينها وبين الموت إلا اللفظة الأخيرة، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾﴾. (٣)

٤- الإشمئزاز: الذي يصل إلى دائرة القلب ولا يقف عند حدود دائرة النفس الكبرى قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥﴾﴾. (٤)

٥- الغيظ: وفي الغيظ الذي يصل إلى دائرة القلب، قال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾. (٥)

٦- الغل: الذي يصل إلى دائرة القلب لشدته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾﴾. (٦)

٧- وفي عواطف الحب والميل والتواؤم والتألف: قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٨-٦١.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٤) سورة النازعات، الآيتان: ٨، ٩.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٤٥.

(٦) سورة التوبة، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٧) سورة الحشر، الآية: ١٠.

جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

٨- وفي الشجاعة: قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ﴿٢﴾.

٩- الحسرة: الحسرة التي تتغلغل في دوائر النفس حتى تعبر دائرة القلب، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَّوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣﴾.

١٠- التوبة: التي تكون في القلب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿٤﴾.

١١- أما مختلف عوامل الحسد الرغبة والفجور والعناد التي وصلت إلى عمق القلوب، فهذا الكسب الذي في القلب يؤخذ عليه، ويؤخذ الإنسان على أفعال القلب كالحسد والطمع والنفاق والرياء والإعجاب.

والإرادة هي أساس الاختيار وسيدة الأعمال في القلب، لأن البدن وما يتبعه يتحرك تبعاً للاختيار القائم بالقلب صلاحاً أو فساداً، خيراً أو شراً، وسبب اتباع الضلال أو الشر يعود إلى الشهوات والشبهات.

أما الباب الأول: باب الشبهات: فهو مدخل خواطر الشيطان وحزبه من بني الإنسان والشيطان، سبب هذه الشبهات ضعف البصيرة وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بحب الهوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ﴿٥﴾.

وهذه الفتنة مألها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع.

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٣.

(٥) سورة النجم، الآية: ٢٣.



الباب الثاني باب الشهوات: وهو مدخل كل خاطر تعلق بأنواع المشتبهات في الدنيا وأدى إلى معصية الله، قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعْتُمُ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

حقيقة القلب السليم^(٢) و القلب المريض والميت والقاسي:

لما كانت منطقة الكسب في القلب هي المسيطرة على الخواطر في حديث النفس والجوارح في سائر أعضاء البدن، كان القلب لهذه الأركان والأعضاء كالملك المتصرف في الجنود الذي تصدر كل حركاتهم وأعمالهم عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت سلطانه وقهره وتكتسب منه الإستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، فالقلب فيه كالمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، ففي القلب مشيئة العبد ونيته وإرادته وسائر الأعمال، والأعضاء منفذة لما يأمرها به قابلة لما يأتيها من هديه، ولا يستقيم لها شيء من أعمالها حتى تصدر عن قصده ونيته، وهو المسؤول عنها كلها، لأن كل راع مسؤول عن رعيته.

١- القلب السليم: هو القلب الصحيح الذي ينجو يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٣).

والقلب السليم قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، وكل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبوديته لما سوى الله، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإجابة إليه والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد عن سخطه بكل طريق، وهذه هي حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده، فالقلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل خلصت عبوديته لله تعالى وإرادة ومحبة وتوكلاً وإجابة وإخباراً وخشية ورجاء، وخلص عمله لله فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى الله، وإن منع منع الله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من سوى رسوله، فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والإقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال.

٢- القلب الميت^(٤): وهو ضد هذا الميل، وهو القلب الذي لا حياة فيه، فهو لا يعرف ربه، ولا

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٩.

(٢) الرضواني، منة القدير، ص ٣٤٣-٣٤٥ بتصرف.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٤) الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٢٧٤-٢٧٧ بتصرف.

يعبده ولا يعمل بما أمر، ولا يطيع ما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، وقد تعرض هذا القلب لمستويات إلى أن أصبح قلباً ميتاً أقفل عليه كما طبع عليه بالعمى والموت.

فأول الأمر: إصابة القلب بالعشي:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ وَقَرِينٌ﴾^(١). فالعشي هذا عشي البصيرة. (بالعمى الذي يصيب الإنسان مساءً فلا يعود يرى الأشياء ولا يفرق بينها)

ثانياً: إصابة القلب بالعمى:

يستمر القلب في غيبة وضلالة ويعشى عن ذكر الرحمن، حتى تنطمس عنده رؤية الحق فيعمى عن رؤية دلائل الحق والهدى، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).

ثالثاً: صرف القلوب:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

رابعاً: عزل القلوب:

وهو يشبه الأكنة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرَتْ بِكَ فِي الْأَقْرَاءِ أَنْ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَىٰ آذَانِهِمْ يُفَوِّرًا﴾^(٤).

خامساً: تغليف القلب تغليفاً كاملاً:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُّهُمْ مِيثَقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بَيَّانَتْ اللَّهُ وَقَالِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٦).

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٥٥.



وهذا هو الدين الذي يجلل القلوب بما تكسبه من الذنوب الكثيرة، قال تعالى:
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

سادساً: الاقفال على القلوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ آدْبُرِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ
وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾^(٢).

سابعاً: الختم على القلوب والطبع عليها:

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ هَوْنَهُ وَأَضْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ
غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

وبالطبع على القلب الذي يتسبب به الإنسان لنفسه، ويحل فيه ضمن سنن الله الثابتة في كونه،
يُحجب الإنسان عن علم ما ينفعه في آخرته، ويغفل غفلة تامة عن نذر الخطر التي تتكاثر من
حوله حتى لا يسمع أقوال المنذرين بل يستهزئ بها.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(٥) ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾^(٦) ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ﴾^(٧) ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٨).

وقد تصل القلوب بعد الختم والطبع عليها إلى حالة تشبه فيها الميت الدفين في الحنت الذي
يتخذ للموتى^(٩).

وقد شبه الإمام الغزالي، في كتابه إحياء علوم الدين القلب الثالث الذي يتقلب بين العدل
والفضل، قلب ييدو في منطقة حديث النفس، التي يجاسب عليها الشخص، وخواطر الهوى

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.

(٥) سورة الأعراف، الآيات: ٩٧-١٠٠.

(٦) حنكة، الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، جزء الأول، ص ٢٧٣-٢٧٨ بتصرف.



فتدعوه إلى الشر، فيلحقه خاطر الإيمان ونازع الخير، فيدعوه إلى الخير، فتنبعث الإرادة من منطقة الكسب بشهوتها إلى نصره خاطر الشر، فتقوى الشهوة وتحسن له التمتع والتمتع، فينبعث العقل إلى خاطر الخير، ويدفع في وجه الشهوة، ويقبح فعلها، ويبين ألمها على عاقبتها، وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر واندفاعها نحوه ويلومها على قلة اكرائها بالعواقب فتميل النفس إلى نصح العقل، فيحمل الشيطان بخواطر شبهاته حملة على العقل، فيقوى داعي الهوى ويبعث بشهواته، فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه، فيحمل الملك بهتاف الحق حملة على خواطر الشيطان ويدعو إلى النصح والحذر من أتباع لذة في الحال تؤدي إلى عاقبة السوء في المال، أفتقنع بلذة الحنة ونعيمها أبد الأبد، أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتها، ولا تستثقل ألم المعذبين في النار خالدين فيها أبد الأبد؟ فعند ذلك تمتثل الإرادة إلى قول الملك، فلا يزال يتردد بين الجندين، متجاوزاً بين الحزين إلى أن يغلب على القلب ما اختاره صاحبه من أنواع الكسب، فإن لم يستغفر العبد ربه ويتعوذ بالله عز وجل من الشيطان ونزغ، ويطلب من مقلب القلوب أن يقيمه على الحق، ومن مصرف القلوب أن يصرف عن قلبه الكفر والشرك، ومن مثبت القلوب أن يثبت على الدين الحق، تركه الله عز وجل بعدله لنفسه وللشيطان وحزبه^(١).

وهكذا القلوب تتقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن بين معاني القدرة والحكمة ومعاني الفضل والعدل، وكل ذلك ليقع قدر الله عز وجل الذي سبق به القضاء ويتم بعلمه وقدرته ما يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^{(٢)(٣)}.

قال الطحاوي: (ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء، وليس كمثل شيء وهو السميع البصير، خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شيء يجري بتقديره ومشئته، ومشئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئة بين فضله وعدله)^(٤).

٥- النفس:

بمعنى الإنسان كله روحاً وجسداً. قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٥).

(١) احياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٣) الرضواني، المجلد الثاني، ص ٣٦٦.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، من ص ١٠٠-١٠٥ بتصرف.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٢١.



وقال تعالى في سورة الشمس وترتيبها من أسباب النزول ٢٥ وقد تنزلت على قلب رسول الله ﷺ بعد سورة القدر، وموضوع سورة الشمس هو تأكيد قضية الجزاء، الذي هو عاقبة الابتلاء والمسؤولية في الحياة الدنيا، بمقتضى حكمة الرب الخالق العليم الحكيم القدير.

وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا لِلَّهَا ٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤﴾ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ٥﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧﴾.

وهذه الآيات قسم من الله عز وجل ببعض ظواهر خلقه الجليلة، التي تذهب بلبب الإنسان. فيتعرّف بها الإنسان إلى صفاته العظيمة الجليلة. إنّه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وهيمته على كل شيء، وسلطانه دائم، وعلمه محيط بكل شيء، وتدبيره حكيم، وقدرته على ما يشاء إلى ما يشاء.

وبعدها يأتي بقسم ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧﴾. أقسم بالذات، وأقسم بتسوية الله لها. فإن النفس الإنسانية قد سواها الربّ تسويةً مدهشةً لما أعدت له.

إنّ النفس الممتحنة المكلفة في الحياة الدنيا وما فيها من إبداع الخالق في تسويتها، بجعلها كاملة الصفات التي تؤهلها لأداء وظيفتها في الحياة، مخلوق عجيب، يستحق أن يقسم الله عز وجل به، وخصائص النفس الفكرية، وغرائزها ودوافعها وعواطفها وآلامها ولذتها وأمالها وطموحاتها وانفعالاتها وأخلاقها، من أعجب العجب، وهذا الإبداع من أقوى الأدلة في ذات المخلوق على الخالق العظيم.

إنّ من خصائص النفس أنّها موجودة ضمن خلية صغرى، ضمن جسد المخلوق من الإنس والجن. ونفس الإنس أكمل وأعظم إبداعاً.

وبعد تسويتها، ألهمها الله تعالى معرفة سبل فجورها ومعرفة طريق تقواها، قال تعالى:

﴿فَالهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠﴾.

والإلهام هو ما يلقيه الله في النفس فيجعلها تستحسن الحسن، وتستقبح القبيح. وقد جعل الله عز وجل في الإنسان الإرادة لكي يختار دين الخير أو دين الشر فيتحقق في ذلك الابتلاء والامتحان الذي شاءه الله للإنسان في ظروف الحياة الدنيا.

زكّاهَا: من الزكاة. وتعني الطهارة والنماء والبركة والمدح.

واستعملت الزكاة والتزكية في القرآن بمعنى الطهارة والتطهير، وبمعنى النماء والتنمية والبركة، وبمعنى الصلاح والإصلاح.

(١) سورة الشمس، الآيات: ٨ - ١٠.

ودساها: أي دتسها ولم ينمها بالفضائل. دساها: ضد زكاها، أي أغواها وأفسدها وغمسها في أحوال الكفر والشرك، أو كبائر الآثام والمعاصي، وأخفاها عن استقبال أضواء شمس الهداية. فعندما أقسم الله عز وجل بالنفس، كان ذلك لأهميتها في هذه الحياة^(١).

القلب يتعلق بأنواع الشهوات ونازع الشر هو مصدر خواطر الشهوات^(٢):

الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، قال تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرِيَّةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَتَابِ﴾^(٣).

لقد خلق الله تعالى في الإنسان حب الشهوات لحكمة هي ابتلاؤهم في الحياة الدنيا، ومحاسبتهم يوم الميعاد. وجعل تدرج هذه الشهوات بحسب تعلق الإنسان بها وبحسب تقدير حاجته إليها، فأتى ذكرها كالتالي:

١- النساء.

٢- الأولاد.

٣- الذهب.

٤- الفضة.

٥- الخيل.

٦- الأنعام.

٧- الحرث.

ويبرز الاشتهااء عند الإنسان، حين تكون خواطر القلب عنده متعلقة بالدنيا دون الآخرة، وناشئة عن هوى النفس وعن نازع الشر الراغبين في الدنيا والساعين إلى تحصيل أكبر قسط من متاعها. وقد بين الله عز وجل في قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يهيج فتربه مصفراً ثم يكون حطماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾^(٤).

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، ص ٣١٧-٣١٩ بتصرف.

(٢) الرضواني، منة القدير، ١٤٩-١٥٩ بتصرف.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٠.



ولئن كان نازع الشر هو مصدر خواطر الشهوات في الإنسان، وغايته وبغيته متاع الحياة الدنيا، فإن الهوى يدفع النفس ونازع الشر فيها إلى التعلق بمتاع الحياة الدنيا وبمشتهايتها حتى يصبح الإنسان عبد هواه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

ولنعلم أن هوى القلب يتعلّق بأنواع المشتهايات، وعلل الإشتهاء متعدّدة ومختلفة باختلاف الأزمان والأماكن ونذكر منها:

عند العصاة: اللعب واللهو.

اللعب ما تشتغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال ولا منفعة في المآل، وسميت لعب لأنها تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، مثال: لعبة النرد (الطاولة)، ولعبة الزهر (البرجيز)، ولعبة الورق (الشدة) وغيرها.

أمّا اللهو: فلا يزال العبد لاهياً في ماله وأولاده وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساکن والمجالس، والناظر، حتى يمضي عمره وهو في غفلة، وعند لحظة الموت يندم حيث لا ينفع الندم، وقد يقضي عمره متنقلاً من عمل إلى آخر، أو لاعباً في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر وتائه بين البطالة والغفلة والمعاصي.

قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَهْوٍ وَإِلَهُمْ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسُلُ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ فَعَدْلٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٣).

ولما كانت الدنيا ضرورة ووسيلة إلى الآخرة، فإن كل خاطر تعلّق بأنواع المشتهايات وجعلها المؤمن وسيلة إلى الآخرة وعمل في أسباب الطاعة المؤدّية إليها، فهو من نازع الخير، وهو توفيق من الحق إلى التقوى وزيادة الإيمان. وكل خاطر تعلّق بأنواع المشتهايات وجعلها الإنسان وسيلة إلى حبّ الدنيا والتعلّق بها فهو من نازع الشر في الإنسان وأساس الفجور والعصيان.

وأما امتحان الله للإنسان بالهوى من بين سائر البهائم فلئن الله عزّ وجلّ جعل في الإنسان

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

حاكمان: حاكم العقل، وحاكم الدين.

وصاحب الهوى يأمره هواه ويدعوه فيتبعه كما تتبع حركات الجوارح إرادة القلب: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(١).

مذاهب الناس في الشهوات والاشتهاء^(٢):

أولاً: مذهب المغالين الغافلين الجاهلين الذين يتقبلون في الشهوات ويتلوثون بتبعاتها بإرادة منهم واصرار غافلين عما دُعوا إليه من الحق واليقين: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ لَوْ يَعْمُرُونَ لَأَفْسَدُوا مَا هُوَ بِمُرْجَرِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمُرُوا وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وهم الذين أدخلوا إلى الأرض، قال تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤). وهؤلاء رتبهم كرتبة الأنعام أو أضل، وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَكَا لَا نَعْمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٥).

ثانياً: مذهب المغالين في محو الشهوات والقائلين نشتهي ألا نشتهي.

هؤلاء مخالفون للسنة لأن الشهوة ابتلاء وضرورة، ولا يمكن تحقيق الحكم العليا في توحيد العبودية إلا من خلال الأخذ بالأسباب الشرعية التي أمر الله بها وهذه سنته.

ثالثاً: مذهب السلف والإعتدال القائلين نحن نشتهي ولكن نحتمي، ونستغفر ونتوب إليه تعالى فهو غفار الذنوب، فهم لا ينكرون وجود الشهوة والرغبات في أنفسهم، ولكن المسلم يعلم أنها ابتلاء لا بد أن يخضع فيه لشرع الله، روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت في قلبه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مراداً كالكوز مجحياً لا

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٢) الرضواني، منة القدير، ص ١٥٥ - ١٥٧ بتصرف.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.



يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه^(١).



(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٤٤ / ١ / ١٢٨، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً.



المبحث الثالث:

النفس في القرآن الكريم ومنازحتها^(١)

أولاً: النفس:

ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تذكر «النفس» وتبين حقيقة خلق الناس ومصدر هذا الخلق فقد قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

وذكرت «النفس» في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَاللهَ رَبِّهَما لِيَنْزِلَ عَلَيْهِنَّ رِجَالًا مِمَّنْ حَرَّمَ لِيُتَوَكَّفَ بِهِنَّ وَيَصَلِّيَ لِهِنَّ وَيَكْفُرَ عَنْهُنَّ ذُنُوبَهُنَّ لِيُبَدِّلَ لِهِنَّ آيَاتِهُنَّ حَقِيرًا وَكَثِيرًا حِكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٣).

وأكد ذلك في سورة الزمر: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْهَا نَجْمًا فَتُنَبِّئُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَعِلْمِ اللَّهِ كَثِيرًا لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ أَخْبَرُوا رُسُلَهُمْ أَنَّا نَمُوتُ وَأَحْيَاكُمْ لَقَدْ أَخْبَرْنَا نِبْتَاهُنَّ وَضَعَفْنَا لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ إِنَّهُمْ أَجْرٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

وأكد تعالى مصدر نشء الناس في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾^(٥).

(١) الميداني، عبد الرحمن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ٢٢٩-٢٥٥ بتصرف،

باب النفس كاملاً مستوحى من كتاب الأخلاق الإسلامية وأسسها.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.



وهكذا يتبين لنا أن النفوس البشرية كلها قد خلقت من نفس واحدة، هي النفس الإنسانية، ومن هذه النفس خلق الزوج ثم بث منها عن طريق التناسل، رجالاً كثيراً ونساءً.

ثانياً: صفات النفس:

أولاً: الهوى:

أثبت القرآن أن النفس لها هوى، والهوى شعورٌ يميلُ بها إلى تحقيق ما تُحِبُّ من مطالب وحاجات، أو مُتَعٍ ولذاتٍ وشَهَوَاتٍ، أو عواطفٍ وانفعالاتٍ، وقد يكون ما تهواه شراً لها، أو أذى أو ضرراً، مع ذلك تحب وتفضل تحقيقه وتسعى إلى ذلك. قال تعالى في سورة النازعات: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ (٤١)﴾.

وفي سورة النجم قال تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ۗ (٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۗ (٣)﴾.

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۗ (٤)﴾.

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۗ (٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۗ (٦)﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كِفْرٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) سورة النازعات، الآيات: ٤٠ - ٤١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٧٠.

(٦) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥، ١٧٦.



هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ (١)

علق د. عمر الأشقر على هوى النفس فقال (٢):

أكثر الناس تحركهم أهواؤهم، فيكون الهوى هو الدافع والباعث على العمل، وفي الوقت نفسه هو الغاية التي يسعى صاحب الهوى إلى تحقيقها، وبذلك يكون الهوى هو الإله الذي يعبد، ويطوف حوله، قال ابن عباس:

«الهوى إله معبود» ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِبْرِهِ وَحَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَنَسَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣).

فصاحب الهوى متعبد لهواه حباً وخوفاً ورجاء ورضاً، وسخطاً وتعظيماً وذلاً، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، فهو أثر عنده، وأحب إليه من رضا مولاه فالهوى على ذلك مضاد للإخلاص ومناف له، ولا يجتمع في قلب إخلاص وهوى، فالمخلص متوجه إلى الله بكليته، وصاحب الهوى يدور حول نفسه، كما يدور الحمار برحاه.

والهوى عميق الجذور في النفس الإنسانية، ولذلك فإنه إذا تمكّن من الإنسان، سيطر عليه سيطرة المقاتل على أسيره، وقد ضرب الله مثلاً للذي يتبع الهوى يعجز البيان عن أن يأتي بمثله: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (٤٧٥) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمُهُهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤).

والسبب في قوة الهوى وسيطرته على النفس، أن الشهوات التي يهواها العبد مخلوطة بكيانه، وهو يشعر باللذة الحاضرة عندما ينال هواه، وما تشتهي نفسه، فاللذة التي يعرف طعمها، تدفعه دائماً إلى تحصيل المشتهى، والأمور المشتهاة تتراعى للإنسان دائماً، فهي وإن كانت في الخارج إلا إنها تتصور للعبد وتقوم في نفسه، وقد تستولي على قلبه كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُونَ مِمَّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ (٥).

وعند ذلك لا يكون له هم إلا أن يطلب تلك الصورة التي استقرت في نفسه، وسيطرت عليه،

(١) سورة القصص، الآيات: ٤٨ - ٥٠.

(٢) المطوع، نسبة عبد العزيز، أمراض القلوب الهوى مدمر القرار، سلسلة رؤية تربوية، الكويت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. ص ١٧٢ بتصرف.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥، ١٧٦.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٦٣.



وفي سبيل تحصيل ما يهواه يبذل ماله ونفسه، ولقد حمل الهوى أصحابه على الكفر بالله ومعاداة رسله، بل حملهم على قتل الأنبياء والمرسلين: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾^(١).

واتباع الناس لأهوائهم أفسد دنياهم، ذلك أن أصحاب النفوذ والسلطان يقضون عمرهم في الجري وراء الملذات والشهوات، ويجاهدون في حيازة الدنيا، فيؤدي ذلك إلى ظلم الآخرين وحرمانهم من أبسط حقوقهم، فيموت الفريق الأول ويهلك بسبب التخمّة، ويهلك الفريق الآخر، لأنه لا يجد ما يسد به رمقه.

قال أبو الحسن الماوردي^(٢): وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوکاً.

وقال أيضاً: ولما كان الهوى غالباً وإلى سبيل المهالك مورداً، جعل العقل عليه رقيباً مجاهداً، يلاحظ عشرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته، ويدفع خداع حيلته، لأن سلطان الهوى قوى، ومدخل مكره خفى.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا أصبح الرجل إجتمع هواه وعمله وعلمه، فإن كان عمله تبعاً لهواه، فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح^(٣).

فالعاقل من يحكم عقله في هواه، وأعقل منه من يحكم الشرع في عقله وهواه، فعلى منهاج الشرع سير، وبنوره يستضيء.

ولقد بين الله عز وجل أن اتباع الهوى هو طريق الضلال والانحراف، والشقاوة والإجحاف، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤).

وروى أن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب، فأهلكوني بالاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون، فلا يستغفرون.

وعن أبي برزة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم، وفروجكم، ومضلات الهوى)^(٥).

وقال بعض الحكماء: العقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع.

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٠.

(٢) الماوردي، أبو الحسن، أدب الدنيا والدين، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ، ص ١٧ - ٢٣.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٦٨).

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٥) صحيح قال المنذري: رواه أحمد والزار والطبراني في معاجمه الثلاثة.



قال ابن عباس رضي الله عنه: ما ذكر الله عز وجل هوى في القرآن إلا ذمه قال تعالى:

﴿وَاتَّبَعْ هَوْنَهُ فَشَهِدَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾^(٣).

وللهوى مع العقل ثلاثة أحوال:

الأول: أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه، حتى تستولى عليه غلبة الهوى والشهوات، فيكلُّ العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قبورها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقوة شهواتهم، وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم.

وصاحب هذه الحالة أسير الهوى فلا يفكر إلا بهواه، ولا يعادي إلا من أجله، ولا يصادق إلا من أجله، ولا يجتهد إلا لنيله. وربما ذله الهوى واتخذة عبداً: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^(٤).

ومن تحكم فيه هواه قاده إلى الذل والهوان، والخيبة والخسران.

الحالة الثانية: أن تكون الحرب بينها سجالاً، فمرة يجتذبه الهوى، ومرة يعود إلى رشده. فعلى صاحب هذه الحالة أن يكثر من أصدقاء الخير الذين يذكرونه إذا نسى، وينبهونه إذا غفل، ويرشدونه إذا جهل، وينشطونه إذا كسل، ويقوّونه إذا ضعف، ويأخذون بيده إلى الصراط المستقيم، وعليه أيضاً أن يلبس درع الحرب، ويشدّ عليه سلاحه وينزل ميدان النفس؛ ليجاهد جند الهوى.

قال الحسن البصري: رحمه الله: أفضل الجهاد: جهاد الهوى، وقال المصطفى ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب)^(٥).

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟ قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه.

وقال بعضهم: خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه. وعليه أن يستमित في الجهاد لأن الغنيمة ثمينة «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»^(٦).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٥) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢١).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٧٧).



وعليه أن يصبر وإن طال الجهاد، فحري بالمجاهد أن ينتصر، وبالصابر أن يفوز، وبالراغب أن ينال.

وعليه أن يستعين بالله على نفسه وهواه، لأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله. وعليه أن يدعو بدعاء إمام المجاهدين عليه السلام: «نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»^(١) وقوله: (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)^(٢).

الحالة الثالثة: أن يتغلب على الهوى فيكتمه ويقهره، ويكبح جماحه، ويوجهه نحو الشرع فبه يستضيء، وعلى طريقه يسير، وبرسوله يقتدي، وهؤلاء هم المستقيمون الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، الذين تمثلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقَمْنَا) ^(٣)، وهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٤) ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ^(٥).

ونهى النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى وينبوع الشر، وقل أن يؤتى إنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى العنيفة، ومن ثم يجمع بينها السياق القرآني في آية واحدة، فالذي يتحدث هنا هو خالق هذه النفس، العليم بدائها، الخبير بدوائها، وهو وحده الذي يعلم دروبها، ويعلم أين تكمن أهواؤها وأدواؤها، وكيف تطارد في مكائنها ومخابئها.

ولم يكلف الله الإنسان ألا يشتجر في نفسه الهوى، فهو سبحانه يعلم أن هذا خارج عن طاقته، ولكنه كلفه أن ينهها ويكبحها ويمسك بزمامها، وأن يستعين في هذا بالخوف، الخوف من مقام ربه الجليل العظيم المهيّب، وكتب له بهذا الجهاد الشاق الجنة مثابة ومأوى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٥)، ذلك أن الله يعلم ضخامة هذا الجهاد، وقيّمته كذلك في تهذيب النفس البشرية وتقويمها ورفعها إلى المقام الأسنى.

إن الإنسان إنسان بهذا النهي، وبهذا الجهاد، وبهذا الارتفاع، وليس إنساناً يترك نفسه لهواها، وإطاعة جوازبه، إلى دركها، بحجة أن هذا مركب في طبيعته، فالذي أودع

(١) رواه أبو داود، حديث رقم: (٢١١٨) كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٢٢، كتاب: الذكر، باب: ما يقول عند النوم.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ٣٨، كتاب: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام.

(٤) سورة النازعات، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٥) سورة النازعات، الآية: ٤١.



نفسه الاستعداد لجيشان الهوى، هو الذي أودعها الاستعداد للإمساك بزمامه، ونهى النفس عنه، ودفعها عن جاذبيته وجعل له الجنة مأوى حين ينتصر، ويرتفع ويرقى^(١). ومما ذكرته الأستاذة نسبية المطوع^(٢) عن سلبيات الهوى في كتاب أمراض القلوب الهوى مدمر القرار، قالت:

من سلبيات الهوى نذكر:

- ١- إذا كان الهوى هو الإله، كان العقل في حدوده الدنيا معطلاً، وكانت الطامة الكبرى نصيب من عبد هواه في الدارين.
- ٢- صاحب الهوى كالكلب يلهث في كل الأوقات لا يستفيد من المعلومات النافعة المرسله إليه، فهو على حاله لا يتقدم أبداً.
- ٣- اتباع الهوى يؤدي إلى الكبائر والتي من أفضعها تكذيب الأنبياء وقتلهم.
- ٤- الهوى سيطرة على العقل واستعمار أرعن يُرغم العقل على ترك وظيفته التكليفية بالبحث عن الحجج السليمة التي تفيد الإنسان.
- ٥- الهوى دليل واضح على عدم فاعلية العقل.
- ٦- الهوى وسيلة لمعصية الله.
- ٧- الهوى طريق الضلالة ودليلها.
- ٨- الهوى يؤدي إلى الكبر وهو أحد الكبائر.
- ٩- الهوى يبعدك عن الصراط المستقيم المؤدي إلى هدفك.
- ١٠- الهوى في حده الأقصى يؤدي إلى الكفر.
- ١١- اتباع الهوى طريق إلى الظلم وعدم العدل.

(١) بلي، وحيد بن عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، دار ابن رجب، المنصورة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. ص ٢٠٧-٢١٣ بتصرف.

(٢) المطوع، نسبية عبد العزيز، أمراض القلوب الهوى مدمر القرار، سلسلة رؤية تربوية، الكويت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. ص ١٩٩-٢٠١ بتصرف.



- ١٢ - اتباع الهوى يؤدي إلى التفريط والتقصير في حق الله.
- ١٣ - اتباع الهوى ظلم للنفس.
- ١٤ - لا يتبع الهوى إلا جاهل، واتباع الهوى جهل محض.
- ١٥ - الهوى يُحَفِّز النفس الأمانة بالسوء للتوسع في مساحة تجوالها، وتعدّي حدودها القانونية والقيام بمخالفات مرورية تضرّ بصاحبها.
- ١٦ - اتباع الهوى يسبب انحرافاً عن الصراط المستقيم إلى الهدف المنشود لاقرار الهوائي المعاصي وكل ما تأمر به النفس الأمانة بالسوء ومستشارها.
- ١٧ - الهوى يعطل القلب كمحفز قوي لقرارات العقل الصائبة والمحبة لها.
- ١٨ - الهوائي يخرج عن الإيمان لأن الرسول [قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »].
- ١٩ - الهوائي فقير بقدرته على إصلاح الخطأ وحل المشكلات لأنه افتقد تقنيات حل المشاكل من (العفو قيادة الذات تلجيم النفس الأمانة بالسوء طرد الشيطان العدل).
- ٢٠ - يفتقر الهوائي الثبات في مبادئه فهو متقلب بأرائه وقراراته وفق ميوله^(١).

ثانياً: الشهوة:

أثبت القرآن أن النفس لها شهوة، بها تشتهي ما تستمتع به، أو تلذّه. ولذلك وصف الله عز وجل أهل الجنة الذين يخالفون شهوة النفس، ويتبعون الطريق المستقيم الذي يرضي الله تعالى بأنهم المبعدون عن النار والخالدون في الجنة قال في سورة الأنبياء قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(٢).

ثالثاً: الحاجات والمطالب:

كما أثبت القرآن أن للنفس حاجاتٍ ومطالبٍ تسعى لقضائها. قال تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ

(١) مطوع، نسبية عبد العزيز علي، الهوى مدمر القرار/ أمراض القلوب، رؤية تربوية، الكويت، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٢.



يَعْقُوبَ قَضَيْنَهَا ﴿١﴾

رابعاً: الشعورُ بالمشقات:

وصف الله عز وجل النفس في سورة النحل أنها تشعر وتشتقى وتتعب فقال: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِسِقِّ الْأُنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوِّفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢﴾

خامساً: الصبرُ وضدهُ:

وأكد الله تعالى في كتابه على أهمية تحلّي النفس البشرية بالصبر لكي تستطيع تحمل مشقات الحياة العديدة فقال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٣﴾، وضدها الضجر، إذا النفس إما أن تصبر أو تضجر، وبالصبر تفلح وتنال الجنة، ومن ضجر وتضجر من العبادة والطاعة وابتعد عما يريد الله تعالى في الخلق، كانت له جهنم والعذاب الشديد عقاباً له على ضجره وابتعاده عن العبادة التي يريد الله.

سادساً: الجودُ وضدهُ الشحُّ:

قال تعالى: ﴿فَانقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤﴾، تُبين الآية أن النفس في طبيعتها تميل إلى الشح والعصيان، لكن إن جاهدت هذا الميل، وتحلّت بصفات الخير والجود والكرم تفلح في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى في النفس الخيرة المؤثرة للآخرين: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥﴾.

أما الإنفاق في سبيل الله تعالى فقد قال تعالى فيه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.



مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾.

سابعاً: الحسدُ وضدهُ:

والحسدُ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَتَّصِفُ بِهَا النُّفُوسُ الضَّعِيفَةُ، الَّتِي تَتَغَذَى وَتَقْوَى بِوَسُوسَةِ الشَّيْطَانِ أَوْ بِالهُوَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِنَانِ لَوِ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾.

ثامناً: الخوفُ وضدهُ:

والنفس تخاف وتقلق وتحشى المجهول ولكنها تطمئن بذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٣﴾﴾.

تاسعاً: الكبرُ وضدهُ:

ومن النفوس ما هو متكبرٌ جبار، ظالم لنفسه لأنها تتجاهل الحقيقة، وتنكرها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾.

عاشراً: الضيقُ والخرجُ:

والنفسُ قد تعرف صفةَ الضيقِ والخرجِ، وضدُّها الاتساعُ والانشراحُ، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٦٧-٦٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

الحادي عشر: التأثيرُ بالقولِ البليغ:

وقد تتأثرُ النَّفْسُ بالقولِ البليغ، فتستجيب للموعظة ودعوة الحق، وفيهم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (١).

الثاني عشر: مشاعر التمسر والندم:

أما النفس التي تتصفُ بصفة التمسر والندم، فقال تعالى فيها: ﴿فَلَا نَذْهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢).

الثالث عشر: الإدراكُ إلى حدِّ الاستيقان:

ومن النفوس ما يتصف بالإدراك إلى حدِّ الاستيقان، وفيها قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَعْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (٤).

ومن خصائص الإدراكية، معرفة طريق الفجور، وطريق التقوى، ثم تختار النفس بإرادتها. قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٥).

وإذا كانت النفس تعلمُ فإنها تجهلُ أيضاً.

وما تجهله: هو ما تكسبُ غداً والأرض التي قُدر لها أن تموتَ فيها. قال تعالى:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٦).

الرابع عشر: القُدْرَةُ على إخفاءِ المطالبِ والمشاعر:

وأُطلقتُ هذه الصِّفة على طائفةٍ من المنافقين، الذين أخفوا في أنفسهم أشياء يوم أحد، قال

(١) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٥) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٦) سورة لقمان، الآية: ٣٤.



تعالى: ﴿وَمَا يَفْقَهُ قَدَّ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (١).
قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).
وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٣).

أحوال النفس:

عرّفنا الإسلام بأحوال النفس الثلاثة، نأخذها من القرآن والسنة وهي:

١- النفسُ الأمارَةُ بالسَّوء.

٢- النفسُ الْمُطْمَئِنَّة.

٣- النفسُ اللُّوَامَّة.

كيف تتوجّه النفس إلى الاختيار والإرادة الحرة؟

كُلٌّ وَاحِدٌ مِنَّا حِينَ يَعْزِمُ عَلَى أَمْرٍ مَا، يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْإِرَادَةِ، عِبْرَ سِتَّةِ مُسْتَوِيَّاتٍ هِيَ:

١- توجّه النفس.

وهي كالتفاتة إلى شيءٍ للنظر إليه أو البحث فيه والتأمل (وهذا أمرٌ خالٍ من المسؤولية).

٢- الرغبة:

ومع ميل النفس، تأتي أحاديث النفس ووساوسها، وهذا مستوى الرغبة المجردة. ثم يأتي مستوى الهمِّ والسعي الفكري للتنفيذ. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ».

٣- الهمِّ التهيؤ للعمل:

وفوق مستوى الرغبة المجردة يأتي مستوى الهمِّ بالتنفيذ. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

عباس، عن الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل، قال:

« إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعلها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة» .

٤- الإرادة الجازمة:

وهي العمل على تنفيذ ما يريد.

٥- العقل:

بعد العمل على التنفيذ يأتي مستوى العقل والتعقل، والعقل هو حجز الإنسان عن الإندفاع وراء أهوائه وشهوته، والإنزلاق إلى مواطن هلكته العاجلة أو الآجلة.

والعاقِلُ في اللغة: هو الذي يَحْسُ نَفْسَهُ وَيُرُدُّهَا عَن هَوَاهَا.

٦- العزم:

والعزم هو اتجاه النفس في القدرة على التصدي للعقبات والصعوبات. قال تعالى: ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(١).

فالأعمال تحدّد قيمتها الحقيقية بقيمة النيات الباعثة عليها.

كيف تتجه النفس إلى الخطيئة؟

تعرفنا إلى ما فطر الله الإنسان عليه، وكيف جعل له إرادة حرّة ذات سلطان، وما فطر الله النفس عليه من إلهامها فجورها وتقواها، يضاف إلى ذلك العقل الذي يعقل ويميّز بين الحق والباطل وبين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة.

يضاف إلى ذلك، لمة ملك من ملائكة الرحمن يأمره بالخير من داخل نفسه ويحثه عليه. فقد وكلّ الله بكل إنسان قريناً من الملائكة، وقريناً من الجنّ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرين من الجنّ وقرين من الملائكة»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بالخير» .

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.



فالمَلِكُ يأمره بالخير ويحثه على إتباع شريعة الله وما فيها من مواعظ ووصايا، ووعد ووعيد.

أما القرين من الجن فهو نازع مشجّع على الاستقلال وحب الخروج عن الطاعة والتبعية، وأهواءٌ تُلحُّ بِمَطالِب لا تَتِمُّ تلبيتها إلا بالانحراف عن صراط الهداية، وبارتكاب السيئات. ويضاف إلى ذلك شيطان يوسوس من داخل النفس يأمر بالفحشاء والمنكر، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)

الشيطان ومدى تأثيره في حياة الإنسان:

الشيطان فقط يوسوس في صدر الإنسان بالشر، ويزين له ارتكاب الخطيئة، ثم إن الإنسان هو الذي يرتكب الخطيئة بإرادته، لذا يعتبر مسؤولاً عنها مسؤولية تامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾^(٤).

أما الحقيقة الثابتة فهي أن الله تبارك وتعالى جعل الشيطان في حياة الإنسان لإقامة التوازن بين دوافع الخير ودوافع الشر والمحرضات عليهما، وليطرح الإنسان عليه قسماً من مسؤولية الخطيئة التي يقع بها، فيجد لنفسه عذراً بأن فعل الشر ليس من فطرته، وإنما كان بتأثير وساوس قرينه الشيطان الملازم له.

إختلاف الناس في أطباعهم^(٥):

قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والحيث والطيب».

فأصناف الناس تختلف بحسب هذه العناصر، وتتأثر الطباع في اختلافاتها بين الأصناف والأفراد فمن العناصر، الخلقية الطبيعية والمؤثرات فيها ما في التالي:

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٠.

(٥) حبكة، الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، الجزء الأول، ص ١٨٨ - ١٨٩ بنصرف.



الخوف. * الطمع. * الصبر. * الأناة. * السرعة. * الغضب. * الحلم. * الشجاعة. * الجبن.
 * الضجر. * حب العظمة. * العدل. * الأمانة. * حب الحق. * الانفرادية أو الإنعزالية.
 * الاجتماعية. * الاستقلالية. * التبعية. * الكبر. * عجب النفس. * الغرور. * القيادة.
 * الإنقيادية. * الحب. * الكراهية. * السكينة. * الحركة. * سرعة الاستجابة للمؤثرات.
 * بطء الاستجابة للمؤثرات. * سرعة الطرح والرجوع إلى الحالة قبل المؤثر. * بطء الطرح
 والرجوع إلى الحالة قبل المؤثر. * مقدار الذكاء. * نسبة القدرة على التفكير والتوهم والتخيّل
 والتذكر. * شهوة البطن. * شهوة الفرج. * شهوة اللمس. * شهوة السمع. * شهوة البصر.
 * مقدار الإحساس بالألم. * مقدار الإحساس باللذّة. * مقدار إحساس الجملة العصبية
 بالمثيرات. * نسبة الفاعلية. * نسبة الانفعالية. * نصيب الجسد من خصائصه المختلفة كالقوة
 والضعف.

وبحسب إختلاف النَّسب الموجودة في كلِّ فردٍ أو صنفٍ من الناس من هذه العناصر والمؤثرات
 ونحوها يَخْتَلِفُ الطَّبِيعُ، فلكلِّ إنسانٍ أمشاج (أي اخلاط) منها ممتزجة، تنج عنها طبعه، ويتأثر
 بها مزاجه، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١).

منافذ النفس^(٢):

قبل البدء بالتعرف على الأمور الغيبية يجب أن نتعرف إلى منافذ النفس وهي:

في داخل الإنسان قوة إدراكية كبيرة، ولكنّ مدرّكاتها لا تنبع من داخلها وإنما تأتيها من
 العالم الخارجي عنها. ولهذا القوّة الإدراكيّة في الإنسان منافذ تطل منها على العالم الخارجي
 (الحواس الخمس: حاسة البصر، وحاسة السمع، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة
 اللمس). كما لها صلات أخرى تطل منها على عالم النفس وتمثل بحاسة الإنفعالات: كالرضا
 والغضب، والحب والكراهية، وحاسة الألم، وحاسة التوازن، وحاسة الشهوات... إلخ.
 فبمقدار ما تنقل هذه الحواس من حقائق للقوة الإدراكية تستطيع أن تتخيل وتدرك وتحلّل
 وتركّب وتستنتج القواعد العامة، وتقيس الأشباه والنظائر على بعضها البعض ولا تستطيع
 شيئاً غير ذلك.

ونستخلص من ذلك، أنّ النفس إنما تدرك الأشياء المنتشرة في هذا الكون الكبير عن طريق
 منافذها التي تطل على العالم، ولولاها لما أدركت من الوجود الخارجي عنها شيئاً ولبقيت في
 جهل كامل.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٢) الميداني، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية، دار القلم، دمشق، ٦، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٥ - ٢٢ بتصرف.



حدود الحواس:

أما حواسنا التي هي السبيل الوحيد لنا لتتعرف على الوجود من حولنا؛ فهي منافذ محدودة، كَمَا وَكَيْفًا.

مثال النفس بالنسبة للحواس:

سجين وضع في قلعة عالية وأغلق عليه جميع النوافذ والأبواب، ولم يبق له منفذ إلى الخارج إلا بعض الشقوق والثقوب في الجدران. فنظر من ناحية الشرق مثلاً فرأى نهراً ونظر من ناحية الغرب فرأى سهلاً وما شابه ذلك من الأمور. فهو عندما نظر من الثقب ووجد نهراً لم يشاهد جميع النهر ولم يستطع تحديد منبعه ومصبه وطوله وحجمه، إنما رأى جزءاً منه، لذلك هو لا يستطيع أن ينكر بقية النهر، وكذلك هو لا يستطيع أن ينكر وجود بقية هذه الأشياء التي رأى جزءاً منها لأن المكان الذي هو فيه مغلق عليه من جميع المنافذ إلا هذه الشقوق البسيطة. كذلك هي النفس البشرية وضعت داخل سجن هو الجسد. وما هذه الشقوق إلا منافذ الحواس، فلذلك ما تدركه هذه الحواس هو محدود جداً، وقليل قليل بالنسبة لما لا تدركه من الأمور الكثيرة الموجودة حولها.

الخيال وحدوده:

وجعل الله لدينا في مركب (موضع) قدرة الإدراك زاوية خاصة قادرة على تخيل أشياء غير موجودة أمامنا وفق هذا التركيب التخيلي. لكننا مهما حاولنا أن نتخيل صورة ما من الصور الغريبة، أو الجديدة أو الإبداعية، ومهما سبحنا فيها من الأوهام الخرافية، فإننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً جديداً أكثر من أن نضم أجزاء موجودة نعرفها، ونميزها، ونراها فعلاً في الكون نضمها بعضها إلى بعض، لنصنع منها شيئاً جديداً ندعي إنه من ابتكارنا ومن صنعنا واختراعنا، لكن في الواقع هذه الأجزاء قد أدركناها فعلاً عن طريق حواسنا، وبواسطة هذا التخيل الموجود في داخلنا ضمّمنا هذه الأجزاء الموجودة بشكل متباعد فتخيلناها على شكل وحدة متماسكة في صورة جديدة. لذا فإن خيالننا محصور حصراً تماماً فيما تدركه حواسنا، فنحن مهما أوتينا من قدرة خيالية لا نستطيع أن نتخيل حقيقة ما من الحقائق ما لم نلامس أو نرَ أو ندرك نموذجاً عنها بحواسنا، ومن ذلك يستحيل علينا تخيل الأمور الغيبية مهما وصلت بنا القدرة على التخيل.

من أجل ذلك يصعب علينا ويتعذر أن نتخيل حقيقة تكوين الملائكة والجن وأمثال ذلك من مخلوقات بعيدة عن مجال حسنا.

العقل وحدوده:



العقل مقيّد بعالم الحس، ولا عمل له في الحكم على عالم الغيب، ذلك لأن القوة العاقلة فينا والتي تجمع بين المصوّرة والذاكرة والمخيلة والذكاء، تقوم بعملها الجبار عن طريق التحليل والتركيب، والجمع والتفريق واستنتاج القواعد العامة والكلّيات، وقياس الأشباه والنظائر على بعضها، بعد أن تنقل الحواس المختلفة إلى المصورة أشرطة مشاهداتها في الكون: شريط المرئيات، شريط المسموعات، شريط المدوّقات، شريط المشمومات، شريط الملموسات، وشريط الوجدانيات الداخلة في الإنسان، ثم تكون مقيّدة بحدود هذه الأشياء التي جاءت عن طريق الحسّ.

لذلك عالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بإثبات أو نفي استقلالاً ذاتياً، إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده وبصدق ناقله، وعند ذلك تُسلم بمضمونه تسليماً تاماً دون مناقشة أو إعتراض.

وحيث أن عالم الحس فينا محدود فالعقل فينا محدود أيضاً من وجهين:

الوجه الأول: محدود بين شيئين هما الزمان والمكان لذلك يسأل العقل دائماً: متى؟ وأين؟.

الوجه الثاني: محدود حينما يعلن عجزه عن التسليم بواحد من احتمالين في الكون لا ثالث لهما. مثال [هل للكون نهاية أو لا نهاية].

هذا ما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه في بيان أن العقل محدود.

وقال الإمام الشاطبي في كتابه الإعتصام (إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر حداً ينتهي إليه) إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون، وإذ لو كان كيف كان يكون؟ فعلم الله لا يتناهى، وعلم العبد محدود ومرتبب بزمان ومكان وحدث أو فعل معيّن يُرسم في الذاكرة المصوّرة ليحكم عليها العقل.

وقد دخل في هذه الكلّية ذوات الأشياء جملة وتفصيلاً، وصفاتها وأحوالها وأفعالها وأحكامها جملة وتفصيلاً، فالشيء الواحد من جملة الأشياء يعلمه الباري تعالى على التمام والكمال، بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أحواله ولا في أحكامه، بخلاف العبد، فإن علمه بذلك الشيء قاصر ناقص، سواء كان في تعقل ذاته أو صفاته أو أحواله أو أحكامه، وهو في الإنسان أمر مشاهد محسوس لا يرتاب فيه عاقل تخرجه التجربة إذا اعتبرها الإنسان في نفسه.

ومما سبق تتلخّص لدينا الحقائق التالية:



- ١- إن الحواس محدودة.
- ٢- إن قدرة التخيل فينا محدودة.
- ٣- إن عقولنا محدودة لا تستطيع أن تدرك جميع الحقائق.

وبما أن العالم من حولنا مقسومٌ إلى عالم مادي مشهود ومحسوس، وعالم غيبي مجرد لا يمكن أن تراه العيون، ومع ذلك لا يمكن أن ننكرها لعدم رؤيتنا لها ولا يمكن أن نتصورها كما نريد ولا يمكن أن نتفكر بها من خلال الخيال أو العقل لأجل ذلك فإنّ الوحي هو الطريق الوحيد لتعريفنا بحقائق الأشياء الداخلة في عالم الغيب، ومن أجل ذلك أرسل الله جلّ وعلا الرسل، الذين اتصلوا بالوحي من عالم الغيب، فالوحي يبلغهم بعض الحقائق المغيبيّة عنّا، وهم يبلغوننا ما نقلوه عن الوحي بشكل يقيني واضح.

وما علينا إلا أن نصدّقهم بما أخبروا به من عند الله تعالى.

لذا يجب أن نؤمن جازمين ومسلمين بما جاءنا عن الوحي الصادق، دون أن نزيد عليه شيئاً من التخيّلات أو التصورات، ودون أن تتلاعب فيه بتأويلات.

وهذا ندرك أنه لا يمكننا معرفة الأمور الغيبية إلاّ عن طريق الخبر الصادق، المرسل من الله عن طريق الوحي والمثبت في كتاب الله تعالى، والمعاش المؤكّد عن طريق سنّة رسول الله ﷺ.

ما هي طرق الشيطان في إضلال الإنسان (١)؟

ورد في طرق إضلال الشيطان للإنسان ما يلي:

١- تزوين الباطل:

إن الباطل له صورة قبيحة ورائحة نتنّة، ولذلك يعمد الشيطان إلى هذا الباطل فيغطيه بغطاء جميل، ويلبسه رداءً حسناً، ثم يزينه ويحسنه، ثم يبدأ في إغواء العبد به، وما علمنا ذلك إلا من قول الشيطان، نفسه حين قال لربه: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢).

٢- تسمية المعاصي بأسماء محببة:

ومن صور هذا التزوين تسمية الفواحش والمعاصي بأسماء محببة إلى النفوس لكي يخفى

(١) بلي، وحيد بن عبد السلام، وقاية الإنسان، من الجن والشيطان، دار ابن رجب، القاهرة فرع المنصورة، ٤٢٢هـ / ٢٠٠٦م، الطبعة الحادية عشر.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٩.



خبيثها وفحشها، ومثال على ذلك نقول إن الشيطان هو مَنْ سَمِيَ الشجرة بشجرة الخلد: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ﴾^(١).

٣- تسمية الطاعات بأسماء منفرة:

دور الشيطان هو تبيح صورة الحق، وتشويهها وتسميتها بأسماء منفرة لإبعاد الناس عنها. مثال على ذلك حين قال الكفار من قوم عاد لنيهم هود عليه السلام ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٢). وغيرها من الآيات.

٤- دخول الشيطان إلى النفس من أحب الأبواب إليها:

ومما ورد في كتاب إغاثة اللفهان: « وهذا باب كيد الأعمم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم، حتى يصادف نفسه ويخالطه، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان به على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علم إخوانه وأولياءه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة مع بعضهم بعضاً، أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوون، فإنه باب لا يُحذَلُ عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود وهو عن طريق مقصده مسدود»^(٣).

٥- التدرج في الضلال:

إن الشيطان لا يأتي للإنسان ويقول له: افعل هذه المعصية أو ارتكب هذه الفاحشة. وإنما يقربه منها خطوة خطوة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

٦- الصد عن الحق:

أخذ الشيطان على نفسه عهداً، ليضل بني آدم، وليغوِيَنَّهُمْ أجمعين إلا من اعتصم منهم بالله تعالى وتحصن بحصن الإخلاص، فذلك لا سبيل للشيطان إليه. قال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُ مِنْهُمْ مِثْلَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٥).

(١) سورة طه، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٦.

(٣) إغاثة اللفهان، ص ١١٢.

(٤) سورة النور، الآية: ٢١.

(٥) سورة الأعراف، الآيات: ١٦ - ١٧.



٧- إظهار النصح للإنسان:

إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له: أفعل كذا من المعاصي، لكي تنال العذاب الأليم، وإنما يأتيه في صورة ناصح أمين.

٨- الإستعانة بشياطين الإنس:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾^(١).

مداخل الشيطان^(٢):

إن تساءلنا عن مداخل الشيطان إلى النفس الإنسانية وقدرته في السيطرة عليها لإضلالها ولإبعادها عن طريق الحق، نقول إن هناك مداخل عديدة نذكر منها:

١- الجهل: قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾^(٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا^(٤).

الجهل يطمس القلب ويعمي البصيرة، ومن هنا يكون الجاهل للشيطان، غرضاً فيوجه إليه سهام الشبهات وسموم الشهوات، فيرده قتيلاً الهوى أسير الشهوة، فإذا وصل إلى تلك الغاية، اتخذ الشيطان جنداً ينشر به الفساد في الأرض، ويصد به الناس عن الحق، وبهذا يصير من حزب الشيطان: ﴿ أَسْحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوتِيكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٤).

٢- الغضب:

الغضب من مداخل الشيطان الكبرى ومكائده العظمى، لأن الشيطان يلعب بالغضب كما يلعب الأطفال بالكرة، وقد يقوده إلى الشجار مع الناس كما قد يقوده إلى ارتكاب ما لا يحمد عقباه من خراب للبيوت، أو قتل أو سرقة أو ارتكاب فاحشة.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٢) بلي، وحيد بن عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ١٦٥ - ١٩٢ بتصرف.

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٩.



٣- حب الدنيا:

قال تعالى على لسان الشيطان وطريقة إضلاله الناس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرْنَهُ مُمْصِقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٢).

٤- طول الأمل:

إنَّ العبد إذا طال أمله سَوَّفَ (أَجَّلَ) وأخر طامعاً بالغد والمستقبل) في عمله، وعمَّرَ دنياه، وخرَّبَ أخراه.

وبيَّن رسول الله ﷺ للصحابة قصر أجل الإنسان، مع طول أمله مستعيناً في ذلك بالرسم الهندسي. ففي صحيح بخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: (هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأ هذا نهشه هذا، وإن أخطأ هذا نهشه هذا)^(٣).



والمقصود أن على الإنسان أن لا يؤجل العمل المطلوب منه إلى المستقبل طمعاً بالوقت وبتحسُّن الوضع فلا أحد يعرف متى أجله، ولا يعرف ماذا يحمل له الغد من أعمال أو آفات أو مصائب

...

٥- الحرص:

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٣) رواه البخاري، عن عبدالله بن مسعود، حديث رقم: ٦٤١٧، كتاب: الرقاق، باب الأمل وطوله: ٣.



قال رسول الله ﷺ : (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)^(١).

٦- البخل:

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

فالله ينعم على العبد بالعبء ويطلب منه الزكاة والصدقة، فإن بخل خوفاً من الفقر، كما يوسوس له الشيطان يخسر التمتع بهاله في الدنيا ويخسر مغفرة الله ورحمته به في الآخرة.

٧- الكبر:

وهو رفض الحق (رفض الاعتراف بالله الحق الأزلي، ونكران قدرته على الخلق والحساب) والإصرار على الباطل، والمتكبر جاهل لا يعرف حقيقة نفسه ولا حقيقة ربه.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٣).

أنواع المتكبرين:

- ١- من الناس من يتكبر بملكه أو بمكانته الاجتماعية ويقوي هذا الكبر، ويعظمه كثرة مديح المتقربين، وإطراء المتملقين.
- ٢- ومن الناس من يتكبر بما له. كصاحب الجنتين.
- ٣- ومن الناس من يتكبر بقوته وصحته.
- ٤- ومن الناس من يتكبر بجماله وحسن صورته.

ومن مظاهر الكبر:

- ١- ردُّ الحق: ومن مظاهر الكبر أن يتبين للإنسان خطؤه ولا يرجع إلى الحق ولا يقبله.
- ٢- ومن مظاهر الكبر: احتقار الناس وازدراؤهم والتعالى عليهم، قال رسول الله ﷺ: (الكبر بطرُ الحق وغمطُ الناس)^(٤).

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ٢٣٦٧، كتاب: الزهد، باب: ٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: ٩١، كتاب: الإيثار، باب: تحريم الكبر وبيانها.

٨- حب المدح:

عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثنى على رجل ويطريه في المدحة فقال: (أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل)^(١).

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رجلاً ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي ﷺ: (ويحك قطعت عنق صاحبك يقول مراراً إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه)^(٢).

٩ - الرياء:

إن الرياء باب فسيح من الأبواب التي يلج الشيطان منها إلى قلب الانسان، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر» قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عزَّ وجلَّ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!»^(٣).

وقال الرسول ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل إستشهد، فأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت، لأن يقال: جريءٌ. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَّفَهَا، قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت ليقال عالم، وقرأت ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار»^(٤).

١٠ - العجب:

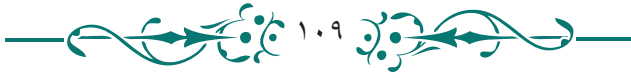
العُجْبُ يختلف عن الكبر، فالكبر له ثلاثة أركان: متكبر، ومتكبر به، ومتكبر عليه، والعُجْب ليس له إلا ركنان اثنان: معجب ومعجب به فقط، ولكن العجب هو الدرجة الأولى في سلم الكبر فنعوذ بالله منها.

(١) رواه البخاري، حديث رقم ٢٦٦٣، كتاب الشهوات، باب ما يكره من الإطباب في المدح، ورواه مسلم، حديث رقم ٣٠٠١، من كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه فرط.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم ٢٦٦٢، ورواه مسلم، حديث رقم: ٣٠٠٠

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٨).

(٤) رواه مسلم، حديث رقم: ١٩٠٥، كتاب الجهاد، باب: من قاتل للرياء السمعة استحق النار.



والعُجب هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم. والعجب أنواع: فمن الناس من يعجب بصحته وقوته وتناسب أعضائه وحسن صورته، فليعلم أن ذلك من نصيب الدود وأن كل من عليها فان.

ومن الناس من يعجب بعقله وفطنته واستكشافه لبطائن الأمور الدينية والدنيوية، وثمره هذا العجب أن تجده مستبداً برأيه مستجهلاً لغيره مُعرضاً عن سماع آراء الآخرين، فليفكر هذا العاقل فيما لو ابتلاه الله بمرض في دماغه لجنَّ عقله، وطار لبُّه، وذهب فكره، فليحمد الله على العافية وليشكره على النعمة.

ومن الناس من يعجب بنسبه ويظن أنه ناج لا محالة، أليس هو ابن فلان المنسب من الحسن أو الحسين؟ فليعلم هذا الغافل أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وأن النبي ﷺ نادى أقرب الناس إليه «يا فاطمة: اعملي، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً»^(١).

ومن الناس من يعجب بكثرة أولاده وأهله وعشيرته وهذا يكفيه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾، فأى عجب بمن يتركك في أشد أحوالك! ويهرب منك في أحوالك!

ومن الناس من يعجب بهاله وغناه فليقرأ قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وقول رسوله ﷺ «بيننا رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مُرَجَلٌ جَمْتُهُ إِذْ حَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

ومن الناس من يعجب بعبادته، وهذا إنما أوتى جهله، لأنه لا يدري أقبلت عبادته أم لا؟

١١ - الجزع والهلع:

إن الجزع من مراكب الشيطان التي يحمل بها الإنسان في بحار الخيالات والأوهام، حتى يكبه في محيط الحيرة والأحزان.

أما المؤمن فإنه يركب مراكب الصبر، ويخوض بها في بحار الرضا والتسليم، حتى يصل إلى محيط الفرج وهناك سيجد بر الأمان.

أما عن أسباب الجزع فيقول أبو الحسن الموردي: منها تذكر المصاب حتى لا يتناساه، وتصوره حتى يعزب عنه ولا يجد من التذكار سلوة ولا يخلط مع التصور تعزية. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تستفزوا الدموع بالتذكر.

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٧٥٣، كتاب: الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب.

(٢) سورة عبس، الآيتان: ٣٤ - ٣٧.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٧٨٩، كتاب: اللباس، باب: من جر ثوبه من الخلاء.



ومنها الأسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفاً، ولا يجد لمفقوده بدلاً، فيزداد بالأسف ولهاً، وبالحسرة هلعاً، ولذلك قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١).

ومنها كثرة الشكوى وبث الجزع، فقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٢).
إنه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث.

وحكى عن أعرابية دخلت من البادية، فسمعت صُراخاً في دار، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان، فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون، وعن ثوبه يرغبون. ومنها اليأس من جبر مصابه، ودرك طلابه، فيقترن بحزن الحادثة، قنوط الإيأس فلا يبقى معها صبر، ولا يتسع لهما صدر.

ومنها أن يغرى بملاحظة من حيظت سلامته، وحرست نعمته حتى التَّحَفَ بالأمن والدعة، واستمتع بالثروة والسعة، ويرى أنه قد خص من بينهم بالرزية بعد أن كان مساوياً، وأفرد بالحادثة بعد أن كان مكافياً، فلا يستطيع صبرا على بلوى، ولا يلزم شكراً على نعمى، ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في الرزية، وسأواه في الحادثة لتكافأ الأمران فهان عليه الصبر، وحن منه الفرج.

ولما كان الجزع والهلع فطرة في الإنسان بها خلق وعليها جُبل، فقد أُرشدنا الله إلى طريق التخلص منها، بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٢٠) ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١) ﴿إِلَّا الْمَصْلِينَ﴾ (٢٢) ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٢٣) ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (٢٤) ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢٥) ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٢٦) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ (٢٧) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ (٢٨) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٢٩) ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٣٠) ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٣١) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ (٣٢) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣٤) ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣٥).

١٢ - اتباع الهوى:

إن الله تبارك وتعالى عندما رَكَّبَ الهوى في الإنسان خلق له عقلاً، ليكون عليه أميراً وله قائداً.

قال بعض الشعراء:

أتجعل العقل أسير الهوى

يا عقلاً أردى الهوى عقله

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٢) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٣) سورة المعارج، الآيات: ١٩-٣٥.



مالك قد سُدَّت عليك الأمور؟ وإنما العقل عليه أمير؟

١٣- سوء الظن:

إن سوء الظن من الفخاخ التي يصطاد بها الشيطان قلوب العباد؛ لأن سوء الظن من عوامل تفكيك الجماعات، وإفساد العلاقات، وتقطيع أواصر المحبة، وفي هذا الجو المظلم يستطيع الشيطان أن يعمل عمله، وينفذ خطته، فيصطاد المسلمين واحداً تلو الآخر؛ لأنهم تفرقوا ولم يجتمعوا، وتفككوا ولم يعتصموا، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب منكم أن ينال بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد)^(١).

ولذلك يجتهد الشيطان في التفريق بين الأحبة، وتشيت الصحبة، ولكن النبي الرحيم صلوات الله وسلامه عليه نبهنا إلى هذا المدخل الخبيث من مداخل اللعين فقال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تبادروا، وكونوا عباد الله إخواناً)^(٢).

١٤- احتقار المسلم:

إن احتقار المسلم والسخرية منه من أعظم الذنوب عند الله تعالى، ولذلك يقول النبي ﷺ: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)^(٣)، حتى وأن وقع من المسلم شيء خارج عن الآداب الاجتماعية يجب أن يلتمس له الأعذار.

ففي صحيح البخاري: عن عبد الله بن زمعة قال: (نهى النبي ﷺ أن يضحك الرجل مما يخرج من الأنفس)^(٤)، يعني الفسء والضراط بدليل الرواية الأخرى للبخاري: من حديث عبد الله بن زمعة أيضاً ثم وعظهم في الضرطة فقال: (لم يضحك أحدكم مما يخرج منه؟!)^(٥).

فيجب أن يكون الاحترام والتقدير متبادلاً بين أفراد المجتمع المسلم ولذلك قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُسَخَّرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقَسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦).

وما قاله القرطبي رحمه الله: في التفريق بين بغض الذنب وبغض المذنب دقيق فعلاً، قلما يتنبه

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٢١٦٥، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٥١٤٣، كتاب: النكاح، باب: لا يخطب علي خطبة أخيه.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٥٦٤، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم.

(٤) رواه البخاري، حديث رقم: ٦٠٤٢، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا».

(٥) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٩٤٢، كتاب: تفسير سورة الشمس.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١١.

إليه كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، ويؤيده قول النبي ﷺ: (فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)^(١).

ولكن ربما استشكل فهم هذا الحديث على البعض، والمعنى والله أعلم أن الرجل يُظهر الأعمال الصالحة للناس وإن قلبه ملئ بالرياء والنفاق، فالظاهر للناس أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن الله يعلم ما خفى عنهم من خبث باطنه، ولذلك يختم له بعمل سيئ، والأعمال بالخواصم! وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار من الذنوب والمعاصي وغيرها، ثم يتوب توبة صادقة خالصة ويبدأ مع الله عهداً جديداً مليئاً بالطاعات والقربات، فيقبل الله توبته، لعلمه بإخلاص نيته، وصفاء قلبه، ويختم له بعمل صالح، والأعمال بالخواصم.

١٥- احتقار الذنوب:

ومن مداخل الشيطان أيضاً أنه يأتي للمسلم ويقول له: هذا ذنب صغير، هذا هين، حتى يوقعه فيه، فبالتهاون ارتكبت كثير من الذنوب، وانتهكت حرمت الله. ولكن المسلم العاقل يجترز من الذنوب صغارها وكبارها، لأن اقتراف الصغيرة يجر إلى الكبيرة، بل إن الصغائر إذا اجتمعت على الرجل أهلكته.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعودٍ، وذا بعودٍ، حتى حملوا ما أنصجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه)^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً سَوْدَاءَ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ، فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣).

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يَصِيْبُهُ)^(٤).

بل إن التهاون بالذنوب من علامات ضعف الإيمان، لأن العبد كلما قوى إيمانه زاد خوفه، واشتد تحرزه من الذنوب، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات قال

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٢٠٨، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٣١).

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم: ٣٣٣٤، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ويل للمطففين.

(٤) رواه ابن ماجه، حديث رقم: ٤٠٢٢، كتاب: الفتن، باب: العقوبات.



البخاري رحمه الله: يعني بذلك المهلكات^(١).

وقد قيل: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظم من عصيت، ولقد بلغ من شدة تحرز الصحابة وهم أقوى هذه الأمة إيماناً، وأتقاها قلوباً أنهم كانوا يخافون النفاق على أنفسهم.

١٦- الأمن من مكر الله:

من الناس من يقيم على المعاصي، فإذا نصحته رد عليك بقوله: «الله غفور رحيم» ولقد نسي هذا المسكين أن عذابه هو العذاب الأليم فقد قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، فالله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، ولكن العاصين لهم عذاب أليم، فلا تغتر أيها العبد برحمة الله ولا تأمن مكره ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣).

فلا بد للنفس من خوف يردعها عن المعاصي ويصدها عن المحارم، بل إن المؤمن كلما ازداد إيماناً، ازداد خوفاً وشفقه على نفسه، ولذلك حكى الله عز وجل عن المؤمنين في الجنة قولهم: ﴿فَمَنْ لَّهِ عَلَيْنَا وَوَقْتَنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾^(٤) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ^(٥).

١٧- القنوط من رحمة الله:

فإذا لم يستطع الشيطان أن يدخل للعبد من باب الأمن من مكر الله شدد عليه الأمر حتى ييأس ويقنط من رحمة الله، فيقول له: إن ذنوبك كثيرة وعظيمة لا يمكن أن تغفر، ولا يمكن أن تدرك رحمة الله، فيظل خلف العبد حتى يقنط، فإذا قنط قال له: إذا فتمتع من الدنيا بما تشاء قبل الموت ما دمت داخلاً النار لا محالة، بهذه الطريقة يستدرج العبد حتى ينطلق في المعاصي والشهوات ليقتضي نهمته منها. فعلى العبد أن يسد هذا المدخل بتذكر رحمة الله التي وسعت كل شيء، فالله يقبل توبة الكافر إذا تاب وأسلم فكيف لا يقبل توبة المسلم الذي أذنب؟!

وقد فتح الله باب التوبة لكل عباده وأطمعهم في رحمته فناداهم، ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥). يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه



(١) فتح الباري (١١ / ٣٢٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٤) سورة الطور، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٥٣.





الفصل الثالث: اختلافات سيكولوجية عامة

- المبحث الأول: حالات المرأة النفسية.
- المبحث الثاني: إختلافات أساسية بين الرجل والمرأة.
- المبحث الثالث: إختلاف المحادثة بين الرجل والمرأة.



المبحث الأول:

حالات المرأة النفسية^(١)

استعرضنا أحوال خلق آدم وحواء، وبيننا ممّا يتكوّن الإنسان عموماً (ذكر وأنثى). بعد استعراضنا للاختلافات البيولوجية بين الذكر والأنثى، وللاختلافات البيئية بينهما نحاول أن نتعرّض للحالات النفسية التي تمرّ بها المرأة والتي تؤثر على طبيعتها وخلقها وتصرفاتها وأسلوب محادثتها للرجل.

تأكّد علمياً، وعن طريق التشريح والبحث والدراسات أن المرأة تمرّ عموماً في أطوار مختلفة في حياتها تترك آثاراً إيجابية أو سلبية على نفسياتها، وعلاقتها بمن يحيطون بها وبخاصة مع زوجها. ومن هذه الأطوار: الحيض، الحمل، الولادة، النفاس، وانقطاع الحيض والتوقف عن الإنجاب، وما يعرف بسن اليأس.

وإن معرفة هذه التغيرات الجسمية والنفسية للمرأة قد تساعد الرجل كثيراً في كيفية التعامل مع المرأة: بنتاً، أو زوجاً، أو أمّاً، أو أختاً...

أولاً: الحيض:

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعِزِّلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٢).

الحيض ويعرف بالطمث، عبارة عن نزيف شهري يستمر بين ثلاثة وسبعة أيام أو حسب ما تعلمه المرأة عن مدة حيضها، ويحصل عادة مرة كل أربعة أسابيع، وقد تقل أو تزيد هذه الفترة يوماً أو يومين في بعض الحالات... ويكون دم الحيض باللون الأسود أو الحمرة أو

(١) الطرشة، عدنان، دليلك إلى المرأة، ص ٩٢ - ١٢٦ بتصرف، الحجاب، أبو أعلى المودودي، حياتنا الجنسية، صبري القباني، أطفال تحت الطلب، صبري القباني، ليس الذكر كالأنثى، محمد عثمان الحشت، أمراض النساء، محمد رفعت، ألف باء الحياة الزوجية، محمد رفعت، الحمل والولادة والعقم، محمد رفعت، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، روعة الخلق، ماجد طيفور، مبادئ علم التشريح ووظائف الأعضاء، شفيق عبد الملك، العناية بالطفل والحامل، تعريب إميل خليل يدرس، هموم امرأة في سن اليأس، أيمن الحسيني.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.



الصفرة كالصديد يعلوه اصفرار، ودم الحيض تعرفه المرأة وله رائحة مميزة... ويتسبب الحيض من تضخم في الغشاء المخاطي المبطن للرحم من الداخل فتتسع أوعيته من شرايين وأوردة، وبامتلاء غده المخاطية، وذلك قبل ظهور الطمث بأيام قلائل، وتشمل تغيرات هذا الغشاء المخاطي أربعة أدوار:

١- **الدور الأول:** ويشمل أياماً قلائل قبل ظهور الحيض، وفي أثناء هذا الدور يتضخم الغشاء المخاطي ويحتقن.

٢- **الدور الثاني:** وهو دور ظهور الحيض فعندما لا يتم إخصاب البويضة الذي يعني أنه لن يكون هناك حمل، تنفجر بعض الأوعية الدموية، وتنفصل بعض الخلايا السطحية المبطنة للبشرة المخاطية لبطن الرحم مصحوبة بإفراز الغدد المخاطية الرحمية، وتكون هذه المواد السائل الطمئي الذي يستمر نزوله من أربعة إلى ستة أيام، ويبلغ مقدار الدم الذي يصحبه من ١٠٠ إلى ٢٠٠ سنتيمتر مكعب.

٣- **الدور الثالث:** وهو دور تجديدي للغشاء المخاطي الرحمي.

٤- **الدور الرابع:** وهو فترة راحة وسكون استعداداً للدور الأول ثانية.

السر في الحيض:

يحدث الحيض عند المرأة البالغة نتيجة لدورة المبيض والرحم الشهرية، وهي مقسمة إلى مرحلتين، كل مرحلة مكونة من أسبوعين:

المرحلة الأولى: وهي تبدأ مباشرة في الأسبوع الأول بعد الحيض وبداية الطهر، حيث تنضج حويصلة من حويصلات المبيض، تحتوي على بويضة الأنثى، وتفرز الحويصلة هرمون الأنوثة المعروف بالاستروجين، أما الغشاء المبطن للرحم فإنه يكون رقيقاً وبسيطاً ولا تزيد ثخائنه عن نصف مليمتر. ثم تأتي مرحلة النمو بواسطة تأثير هرمون الإستروجين الذي تفرزه الحويصلة من المبيض فينمو الرحم وأوعيته الدموية وكذلك تنمو غدد الرحم وتبدو كالأنابيب، ويبلغ ثخانة غشاء الرحم في هذه المرحلة خمسة مليمترات.

وفي الأسبوع الثاني: وغالباً في اليوم الحادي عشر والثاني عشر من بداية الطهر تنفجر الحويصلة وتنفذ السائل الذي بها إلى تجويف البطن كما تقذف البويضة إلى قناة الرحم، حيث تنتظر وصول النطفة المنوية التي ستلقحها إذا قدر الله ذلك لذا فهذه الأيام هي أيام الإخصاب. وتكون جميع أعضاء المرأة وحواسها قد تهيأت واستعدت لهذا الحدث المهم، فتظهر تغيرات جلدية، وتبدل بعض الطباع.



المرحلة الثانية: في الأسبوع الثالث وبعد انفجار الحويصلة وإطلاق البويضة، تتحوّل الحويصلة إلى ما يسمى بـ (الجسم الأصفر)، ويبدأ بدوره في إفراز هرمون من نوع آخر يسمى (البروجسترون) وهو هرمون الحمل. فتبدأ مرحلة الإفراز بواسطة تأثير هذا الهرمون فينمو غشاء الرحم نمواً عظيماً ويبطن بطبقات وثيرة من الدماء والغذاء وتنمو غدد الرحم نمواً هائلاً. وهذا أشبه بإعداد فراش مناسب للبويضة الملقحة التي ستصبح جنيناً فيما بعد. وتبلغ ثخانة غشاء الرحم في هذه المرحلة ثمانية مليمترات، أي أكبر ستة عشر مرة من حجمه الذي كان عليه عند بدء الدورة الشهرية.

وفي الأسبوع الرابع إذا لم يحدث حمل، يحدث الزلزال المدمر للفراش المعدّ للبويضة الملقحة داخل الرحم، فيتفتت الغشاء ويسقط دمّاً سائلاً أسود حاراً كأنه محترق، وتسقط البويضة الميتة معه، وهو ليس دمّاً صرفاً وإنما هو سائل دموي دبق ممزوج بالمخاط لم يُقدر له تغذية بويضة ملقحة. ويستمر سقوط هذا السائل الدموي لعدّة أيام وهذا هو الحيض الذي هو علامة على عدم حدوث حمل وانتهاء الدورة الشهرية. ثم بعد انتهاء الحيض تعود الدورة الشهرية فتبدأ من جديد.

أعراض الحيض:

إن فترة الحيض عند المرأة ليست فترة هدوء وسلام، إنها زلزال وثورّة وغضب عارم للأعضاء الداخلية التي اشتركت في الدورة الشهرية، وينتج عنه تغيّرات متعدّدة وأعراض واضحة، ومن ذلك:

- ١- يبطؤ النبض، وينقص ضغط الدم ويقل عدد خلاياه.
- ٢- تصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوية أيضاً بالتغيّر.
- ٣- يقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم وينحط الاستقلاب الغازي.
- ٤- ويختل الهضم، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيولينية في المأكولات مع أجزاء الجسم.
- ٥- وتضعف قوة التنفس وتصاب آلات النطق بتغيّرات خاصة.
- ٦- ويبلد الحس وتتكاسل الأعضاء.
- ٧- وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار.
- ٨- اضطراب الشهية.
- ٩- ارتخاء الرحم وتضخمه قليلاً.



- ١٠ - تضخم الأعضاء الجنسية، وتغدو أرهاق حساً.
 - ١١ - يزداد نشاط الأمعاء الغليظة.
 - ١٢ - تزداد الغازات البطنية.
 - ١٣ - تضطرب ضربات القلب.
 - ١٤ - تحتقن الأعشية الأنفية.
 - ١٥ - ازدياد وقتي في حجم الثديين ينتج عنه إحساس بالثقل والألم الخفي.
 - ١٦ - حب الشباب في الوجه والظهر.
 - ١٧ - دوالي الساقين.
 - ١٨ - وفي قلة من النساء يزداد السكر في الدم، ويرتفع ضغط الدم، وتزداد سرعة النبض قبل الحيض، ويزداد الوزن في ثلث النساء في الفترة بمقدار كيلو جرام واحد أو أكثر بسبب احتجاز الماء في الأنسجة.. وتظهر هذه الأعراض على الأكثر بعد سن الثلاثين.
- وكل هذه التغيرات تدني المرأة الصحيحة إلى حالة المرض إثناء يستحيل معه التمييز بين صحتها ومرضاها، ففي مائة من النساء الحوائض، لا تحيض إلا ثلاث وعشرون بلا وجع أو ألم.
- ويكتب الطبيب (إميل نورك) الذي هو محقق كبير في هذا الفرع من العلم: إن ما يعهد في الحوائض عامه من الأعراض هي: الصداع والتعب والخلج^(١).
- وضعف الأعصاب وتخلف المزاج واضطراب المثانة وسوء الهضم.
- وهناك نساء لا يستهان بعددهن يحسسن في صدورهن وجعاً خفيفاً، يشتد أحياناً فيشعرن له بضربات عنيفة، وكثيراً ما يصبن بفتور الهضم وجهد التنفس.
- وتظهر عند بعض النساء اضطرابات في المزاج وزيادة في الحساسية وسرعة التهؤور والانتقال من رأي إلى آخر دون تدبّر وتبصّر، وهي أسرع تهيجاً وتأثيراً منها في أيام الطهارة، فتغضب لأتفه الأسباب، وتتوهّم أن رفيقاتها يأكلهن الحسد منها.
- ويقول الطبيب (جب هارد) قلّة من النساء من لا تعتلّ بعلة في المبيض، فأكثرهن يشتكين الصداع والنصب والوجع تحت السرة وقلّة الشهوة للطعام، ويصبحن شرسات الطباع مائلات إلى البكاء، فظراً لهذه العوارض كلها يصح القول: إن المرأة في مبيضها تكون في الحق مريضة. ويتنابها هذا المرض مرة في كل شهر، وهذه التغيرات في جسم المرأة تؤثر لا محالة في قواها الذهنية وفي أفعال أعضائها.

(١) الخلج: أن يشتكي المرء عظامه من عمل أو طول مشي وتعب.



وفي سنة ١٩٠٩ م استتج الطبيب (فواستفسكي) من مشاهداته الدقيقة أن المرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلي والتركيز الفكري أيام الحيض. كذلك الأستاذ (كرشي شكسفسكي) من اختباره النفسية أن المرأة يلتهب فيها المجموع العصبي في هذه الأيام، ويولد الحس ويختل، ويضعف الاستعداد لقبول الانطباعات المرتبة.

ومحصل القول أن الجهاز العصبي والذهني في المرأة يعود في غالبه متراخياً غير منظم في هذه الأيام، فلا تكون أعضاؤها تابعة لإرادتها تماماً، بل تنبعث من تداخلها حركة اضطرابية تملك عليها إرادتها وتعطل قوة حكمها واختيارها، فتصدر منها الأفعال بغير إرادة. وهناك تغيرات أخرى نفسية ترمي كلها إلى الميل إلى السكون والراحة والعزلة.

كل هذه التغيرات تحصل في امرأة سليمة، وتدرج فيها بسهولة إلى أن تكون مرضاً. وقد دَوّن كثير من الحوادث التي تدل على أن المرأة في حالتها هذه تكاد تكون مجنونة، تثور ثائرتها لأدنى بادرة، فترتكب الحماقات ووحشي الحركات.

حتى قبل أسبوع من الحيض فإن المرأة تكون سهلة الاستثارة. وفي إحصائية حديثة أن نسبة الطلاق ترتفع في أسبوع ما قبل الدورة الشهرية، فهناك نسبة كبيرة من السيدات يصبن بالقلق والتوتر والعصبية في هذه الفترة فيشرن لأتفه الأسباب وفي هذه الحالة لا تتورع السيدة عن هدم حياتها، ولكنها تندم وتتعجب من نفسها بعد ذلك.

ويكتب الطبيب (كرافت إيننج) إن نجد في حياتنا اليومية أن النساء اللاتي يكن لينات العريكة ودمثات الأخلاق صُنْع الأيدي، تتغير طباعهن بغيته من فور دخولهن في أيام الحيض، وكأن هذه الأيام تمر بهن كمر العاصف المزعزع يصبحن فيها متفجرات سليات اللسان شديداً الخصام، يشكو سوء خلقهن كل من الخدم والأولاد والأزواج، حتى الأجانب أيضاً لا يسلمون من سوء معاملتهن.

تلکم كانت الأعراض التي تصاحب الحيض، وهي لا تجتمع كلها في المرأة الواحدة، وإلا لتحولت معظم البيوت إلى مستشفيات وعيادات، ولترك الأزواج أعمالهم ليقوموا بدور المرضى، بل هذه الأعراض موزعة بين النساء، وكل منهن تأخذ نصيبها. كذلك تتفاوت هذه الأعراض في شدتها من امرأة إلى أخرى، بل تتفاوت هذه الأعراض في شدتها عند المرأة الواحدة باختلاف فصول حياتها، فقد تكون الآلام خفيفة لا تكاد المرأة تحس بها، وقد تصل إلى درجة مرضية، وبعض النساء لا ينتابهن أي شعور بالضيق بل يشعرن أنهن خاليات من أي أعراض سيئة حتى أنهن لا يدركن قدوم فترة الحيض إلا حين خروج الدم.

الحمل:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾



فَرُخَلِقْنَا الطُّفَّةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقَاءَ آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١﴾.

وقال رسول الله ﷺ: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات: فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح...) (٢).

ومن قصة الخلق التي أجمعها الخالق تبارك وتعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ إلى تفصيل هذه القصة كما بينها الطب بأجهزته الحديثة من مجاهر وآلات تصوير دقيقة جداً وغيرها. تبدأ قصة الحمل عندما تنضج نطفة (بويضة) في أحد مبيضي المرأة داخل حويصلة يبلغ حجمها حجم حبة الكرز الصغيرة وتمتلئ بزيادة سائلة ولا تحتوي إلا على بويضة واحدة فقط، ثم في الأسبوع الثاني من بداية الطهر، وغالباً بين اليوم الحادي عشر والرابع عشر، تنفجر الحويصلة تحت ضغط السائل المتوتر في داخلها، ويتم هذا الانفجار قرب فوهة قناة من القناتين المتصلتين بالرحم فتتلقف القناة البويضة حيث تمكث فيها ٢٤ ساعة تقريباً بانتظار قدوم واحد من نطف الرجل المنوية الذي عن طريقه سيحدث الإخصاب، وإلا ماتت. ويُقذف مع البويضة عدد هائل من الخلايا التي تحيط بالبويضة وتتولى مهمة توفير الغذاء والحماية لها طوال فترة رحلتها..

أما الحويصلة فإنها تتحوّل بعد قذف البويضة إلى غدة منتجة للهرمونات تعرف بـ (الجسم الأصفر) الذي يقوم بإفراز كمية كبيرة من هرمون الحمل (البروجسترون) على مدى الأسبوعين القادمين، ويسري هذا الهرمون في الدم ويؤثر في الجسم كله تأثيراً شديداً. كما يؤثر في الغشاء المبطن للرحم لبدء الاستعدادات اللازمة لاستقبال البويضة الملقحة؛ فينمو الغشاء وتكثر الغدد الرحمية كثرة بالغة وتنمو نمواً كبيراً ويمتلئ تجوفها بالإفرازات، كما تنمو الشرايين المغذية للرحم وتزداد كثرة ووفرة... الخ.

وفي هذه الفترة يصبح كيان المرأة بأكمله جسدياً ونفسياً وتناسلياً راغباً في التلقيح، فتشتد رغبة المرأة في لقاء زوجها.. فإذا حدث وجامع الرجل زوجته في هذه المرحلة وقدر الله حدوث الحمل، فإن الرجل يقذف المنى عند عنق رحم زوجته في هذه المرحلة... والمنى يتكون من السائل الذي يتجمع من إفراز البربخ والحويصلة المنوية وغدة البروستاتا إضافة إلى النطف المنوية التي تسبح في هذا السائل الذي يشبه البحر المتلاطم الأمواج... وهنا يبدأ السباق بين احوالي ٥٠٠ مليون متسابق من النطف المنوية، وهو العدد التقريبي الذي يكون في القذفة الواحدة.

(١) سورة المؤمنین: الآية: ١٢-١٤

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته.

حيث يحاول كل واحد من هؤلاء المتسابقين الوصول إلى البويضة ليلقحها قبل الآخرين. وهناك نوعان من النطف المنوية، أحدها مذكر (ص) والثاني مؤنث (س) وكل واحد منهما له رأس وعنق وذنب، وهو يشبه القديفة الصاروخية، فالرأس يحتوي على ٢٣ صبغياً أو جسماً ملوناً (كروموسوم) فيها نصف الجينات التي سوف ينالها الجنين بما فيها الجسيم المؤنث (س) أو الجسيم المذكر (ص) التي تحدد جنس الطفل.. فإذا لقح واحد من المنى الذي يحمل شارة الذكورة (ص) بويضة المرأة كان الجنين ذكراً بإذن الله، وأما إذا لقح البويضة أحد الذين يحملون شارة الأنوثة (س) فإن الجنين يكون أنثى بإذن الله. ويلاحظ أن بويضة المرأة لا تحتوي إلا على الجسيم الملون (س) فقط من بين الـ ٢٣ جسماً ملوناً التي ستجتمع مع جسيمات النطفة المنوية ليصبغا خلية واحدة (نطفة أمشاج) مكونة من ٤٦ جسماً من الأب والأم بالتساوي ... وهي مجموع الجسيمات في الخلية الواحدة من خلايا جسم الإنسان. فتحديد جنس الطفل ذكراً أم أنثى يكون بواسطة منى الرجل وليس بواسطة بويضة المرأة؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

وتقدير الذكر أو الأنثى أو العقم إنما هو بيد الخالق تبارك وتعالى أولاً وأخيراً؛ قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

وتعد الصبغات أو الجسيمات الملونة أهم ما في نواة الخلية، لأنها تحمل كل العوامل الوراثية، والصفات الجسمية، والعقلية، والفكرية، والنفسية، والخلقية، التي تستمدها من جسيمات الوالدين متحدة معاً، وذلك وفق قانون الوراثة، ويغطي رأس النطفة المنوية كساء أشبه بـ (الطاقية) ويشتمل هذا الكساء على أنزيمات تساعد على اختراق هالة الخلايا حول البويضة، وهو يحافظ على هذا الكساء للحظة اقتراب من البويضة، ثم ينزعه بمساعدة محبوبته البويضة التي على الأرجح تفرز مادة كيميائية لتساعده على نزاع كساء رأسه حتى يسهل عليه الولوج إليها.

أما ذنب النطف المنوية فإنه يتصل بالرأس بواسطة عنق صغير، وهو طويل بالنسبة إلى حجم الرأس ويعمل عمل المجداف أو زعنفة السمكة، وهو سبب حركتها وسيرها. وتقوم النطف المنوية في رحلة سباق لمسافة ١٥-١٨ سنتمراً، ويستغرق هذا السباق عدة ساعات (ست ساعات تقريباً).

أولاً يتجمع المتسابقون في المهبل ولا يبدؤون رحلتهم إلا بعد نصف ساعة تقريباً بسبب ظروف

(١) سورة النجم، الآيات: ٤٥-٤٦.

(٢) سورة الشورى، الآيات: ٤٩-٥٠.



تتعلق بطبيعة المهبل، ومن ذلك قيام المخاط المهبلي بفحص المنى والقيام بعملية انتقاء أولية، ثم على المتسابقين أن يقطعوا المخاط المهبلي سباحة صعوداً.

ثم عليهم الآن أن يتسلقوا الرحم وكل منهم يسير على قاعدة (البقاء للأقوى)، ثم يدخلون إلى الرحم يضيع كثير منهم في تشعبات الرحم والطرق المسدودة فيه ويموت عدد منهم فينجح عدد منهم في الخروج من الرحم والدخول إلى قناة الرحم التي تنتظر فيها البويضة.

ولنتصور الآن أن خمسمائة من هذه النطف قد وصلوا إلى الهدف وهو البويضة المطوقة بغلاف نفاذ من الخلايا المغذية وكما لو أنهم قد تلقوا تدريباً للعمل كفريق، فإنهم يمضون في مهمتهم بثبات مخترقين طبقة من الخلايا وراء الأخرى، وبعد مضي بضع ساعات، يكون هذا الفريق الباقي قد نجح بإزالة بعض الطبقات الخارجية، مما يجعل البويضة معرضة أكثر من قبل للإخصاب. وكما هو البيض الذي تضعه الطيور فإن البويضة البشرية أيضاً تملك نوعاً من القشرة الخارجية القاسية والمطاطة.

وفي الوقت الذي يصل فيه عدد صغير من النطف إلى جدار البويضة ويشرع في اختراقه، تكون البويضة قد اختارت بإذن الله زوجها البطل الذي قام بالسلام عليها بإفراز مادة خاصة لإذابة جزء من المنطقة الدائرية المشعة (التاج المشع) المحيطة بالبويضة... فتهدس له وترد له التحية بأحسن منها بإفراز مادة أخرى لزجة على جدارها فينفذ فجأة في الثقب في غفلة من الآخرين، وعندها فقط يحدث أمر مثير للدهشة، إذ يتغير التركيب الكيماوي لجدار البويضة بسرعة، ويوصد نفسه كلياً في وجه باقي المنى فيجعل من المستحيل على نطف أخرى أن تحصب البويضة.

وبعد دخول الفائز إلى البويضة يكون ذنبه قد انفصل عن رأسه ولا يدخل في البويضة سوى الرأس فقط وهو نواة نطفة الرجل وفيه (الحامض النووي) الذي يحتوي على خارطة الرجل الوراثية، إضافة إلى باقي الخصائص التي تتوزع بين الطول، ولون البشرة، والعيون، والشعر والعيون وتكاوين الوجه،... وغيرها.

وفي اللحظة الحاسمة وهي لحظة الانصهار، تقترب نواة نطفة الرجل من نواة نطفة المرأة فتتجذب النواتان بقوة من بعضهما البعض ثم يحصل الحدث العظيم وهو انصهار النواتين... وفي اللحظة نفسها تتحدد الخصائص الوراثية للمخلوق الجديد ويتحدد جنسه ذكراً أم أنثى... وتصبح النواتان نطفة أمشاج أي خليط نطفة الرجل ونطفة المرأة... والله تعالى أعلم.

بعد انصهار النواتين بساعات تنقسم البويضة المخصبة (النطفة الأمشاج) للمرة الأولى بقوة كبيرة، وبذلك تصبح هناك خليتان تحملان جينات من كلا الزوجين. وأثناء تقدم البويضة ببطء باتجاه الرحم، مدفوعة بملايين الهدب في القناة، وتستمر في الانقسام مجدداً كل ١٢ - ١٥ ساعة، وتمكث البويضة في القناة على هذا الحال حوالي ستة أيام إلى أن تخرج منه فتدخل في



الرحم، وحالما تصبح البويضة الخصبية بداخل الرحم تكون قد تجاوزت إحدى أدق مراحل نموها. والآن تواجه البويضة التي تحولت إلى ما يشبه ثمرة التوت، مهام جديدة تتمثل في ربط نفسها ببطانة الرحم، وفي إعطاء إشارة الحمل إلى الأم.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝﴾^(١).

لقد سبق لبطانة الرحم أن تهيأت لاستقبال البويضة المخصبة عن طريق هرمونات المبيض البورجسترون الذي يفرزه الجسم الأصفر الذي هو بمثابة الأم للبويضة... فبعد أن تعلق البويضة الملقحة بالرحم بسلامة الله ورعايته وبمساعدة الملك الذي وكله الله بهذه المهمة، وتجرها بأنها بحاجة إليها وإلى هرمونها... فتستمر في إفراز هرمون الحمل البورجسترون فيتولى الهرمون مساعدة البويضة الملقحة في عملية الاستقرار.. وكذلك يتولى مهمة إيصال الرسالة إلى الغدة النخامية في الدماغ بأن المرأة حامل ونأمل قطع الحميض.

وما إن تستقر البويضة المخصبة وتقيم اتصالاً ببطانة الرحم، حتى يحصل تبادل معلومات كيميائية بين جسم الأم الحامل وبينها، وعلى هذا فإن البروتينات التي تتشكل في البويضة تدخل مجرى دم الأم. وباكتشاف هذه البروتينات في دم الأم يمكن التأكيد من وجود الحمل حتى قبل ملاحظة انقطاع العادة الشهرية...

أطوار الحمل تحمل في كل لحظة منها دلائل على عظمة الخالق تبارك وتعالى القائل:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ الْاٰهُوَالْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ ۝﴾^(٢).

بل إن كل ما ورد ذكره في رحلة النطفة المنوية والبويضة داخل بطن المرأة فهو بإذن الله وبقدرته تعالى... قال رسول الله ﷺ: (إن الله وكل في الرحم ملكاً فيقول: يارب نطفة، يارب علقة، يارب مضغة، فإذا أراد أن يخلقها قال: يارب أذكر أم أنثى؟ يارب أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه)^(٣).

ويكفي أن بروز كائن بشري جديد إلى الحياة يكون طفلاً ثم يصبح رجلاً ثم يصبح شيخاً مسناً هو معجزة وآية من آيات الله تعالى بحد ذاتها... وقد قال خالقنا عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن رُّبَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ تُرْتَبُونَ شَبَابًا وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ مِن قَبْلٍ وَلِيُبْلِغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى وَعَلَّامٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾^(٤).

(١) سورة الإنسان، الآية: ١، ٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٧.



وصلنا الآن إلى اللحظة التي ستبدأ فيها التغيرات بالظهور على جسم المرأة ونفسها، وهذا هو هدفنا ومقصودنا، من أجل أخذ هذه التغيرات في الحسبان عند التعامل معها ومعاشرتها خلال فترة حملها التي ستبلغ تسعة أشهر.

أعراض الحمل:

إن مهمة الرجل في الحمل تنتهي بقذف المنى في مهبل المرأة... أي يزرع البذرة ثم يمضي. بينما مهمة المرأة تبدأ من هنا وسوف تستغرق مهمتها في الحمل تسعة أشهر مع ما يصاحب الحمل من أعراض وتغيرات مهمة في الجسم داخله وخارجه.

وفي النفس والعقل أيضاً، حيث تتعرض المرأة في هذه الفترة الطويلة من الحمل لتحويلات وتبدلات هرمونية في الدم يظهر تأثيرها عادة في المخ فتخلق اضطرابات نفسية وعصبية، وقد تكون هذه الاضطرابات خفيفة أحياناً، وعنيفة أحياناً أخرى إلى درجة قصوى... ثم بعد الولادة تبدأ المرأة مهمة أخرى هي الرضاعة والحضانة...

فليس الحمل مسألة سهلة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَوَفِصْلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

أي أن أمه قاست بسببه في حال حملة جهداً على جهد، وضعفاً على ضعف، ومشقة وتعباً من وحم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة... ووضعته بمشقة أيضاً من الطلق وشدته^(٣).

والغريب أن المرأة تشعر غريزياً بأن شيئاً ما حصل بداخلها، والأعراض والتغيرات تبدأ عقب التبييض وتختلف شدتها وخفتها باختلاف صحة الأنثى وحساسيتها وانتباهاها، ومن هذه

الأعراض:

- آلام رأسية خفيفة.
- آلام في الناحية القطنية (الصلب).

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ص ٤٥٤ / ٤ / ١٦٩.

- شعور بالضيق.
- تضطرب بعض السيدات وتشتد حساسيتهن، فيصبن بالنزق والعصبية أو يشعرن بالضجر.
- ترتفع حرارة كل أنثى عقب انفجار المبيض وحدوث التبويض. وتبدأ علامات الحمل في الظهور لتظهر بعض المتاعب التي تعد طبيعية في فترة الحمل:
- انقطاع الحيض.
- انتفاخ في الجسم.
- تضخم الرحم.
- تبدلات في الثديين: يصبح كل ثدي أكبر حجماً، وأكثر ثقلاً، وأشد صلابة، وقد تشعر المرأة بألم خفيف بالثدي والحلمة. كما تبدو حلمة الثدي أكبر حجماً وأكثر ظهوراً، وتتسع الهالة الأصلية، وهي الدائرة الداكنة اللون حول الحلمة مباشرة، وتظهر غدها وتكبر مع تقدم الحمل وهي على شكل حبيبات صغيرة (غدد الحليب).
- ونظراً لازدياد نشاط الثدي ونموه فإن كمية الدم تزداد فيه، فتتضخم الأوعية الدموية، وتصبح الأوردة الموجودة تحت جلد الثدي أكثر بروزاً ووضوحاً.
- غثيان خفيف: يصيب بعض النساء غثيان خفيف في الصباح خاصة في الفترة الأولى من الحمل.
- حساسية قوية للروائح والنكهات .
- يصل الامر عند بعض النساء الى حد الاحساس بالإرهاق الشديد، والصعوبة في التركيز على أي عمل .
- الوحام: في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل تبرز ظاهرة من أهم ظواهر هذه الفترة المهمة وهي ظاهرة الوحم التي تصيب نسبة كبيرة من الحوامل، وتختلف أعراضه شدة ولينا بين أنثى وأخرى.
- لا يعرف في الواقع سبب قاطع للوحم، فمن يقول أن السبب هو نوع من الحساسية، ومن يقول أن السبب هو ارتفاع نسبة بعض المواد الكيميائية في الدم، وخاصة هرمونات الحمل، ومن يقول بأن أسبابه عصبية ونفسية . ويمثل القيء مظهراً من مظاهر هذه التغيرات. ويصاحب الوحم اضطراب في مزاج المرأة ونفسها، وإرهاق في أعصابها وجسدها، وهي حالات تنعكس على ذوقها وعواطفها، بل وعلى علاقتها بزوجها في كثير من الأحيان ... فهي قد تكره رائحة الرجل وتشمئز منه حين يقترب منها، لا لأنها تكره زوجها، بل لأن مزاجها كله



مضطرب، قلق، متزعج، فهي في هذه المرحلة، لا تملك عواطفها، ولا تتحكم بنفسها .

- تغيرات القلب والجهاز الدوري : ان الجزء الأكبر من عبء الحمل يقع على القلب والدورة الدموية، لأنه إذا كان القلب يضخ الدم للأم فقط قبل الحمل بمعدل ٦٥٠٠ لترًا فإن عليه طوال الحمل، ولا سيما الفترة الأخيرة منه، أن يضخ كمية مضاعفة من الدم تكفي الأم وجنينها مجتمعين، فيضخ ١٥٠٠٠ لترًا يوميًا. ولأجل هذا العمل الإضافي، يقوم القلب بزيادة سرعة نبضاته فيكبر حجمه قليلاً، ونتيجة لكون الجنين يأخذ من دم أمه ما يلزمه من العناصر الضرورية لتكوين دمه، فإن الأم قد تصاب بفقر الدم الذي له تأثير على القلب والدورة الدموية.

- الغدد الصماء: تضطرب بعض وظائف الغدد الصماء في فترة الحمل، مثل الغدة الدرقية التي تزداد حاجتها إلى اليود.

- العظام والأسنان: تصاب بعض الحوامل بلين العظام أثناء الحمل وبعده، كما تصاب أسنانهن بالالتهابات المتكررة، والسبب في ذلك أن الجنين لكي يبني عظامه يسحب من دم أمه وعظامها الكالسيوم والمواد الضرورية لبناء عظامه.

- كثرة عدد البول في أول الحمل وآخره، وفي أحيان كثيرة يضاف إلى ذلك التهابات المجاري البولية التي تزداد زيادة كبيرة أثناء الحمل.

- السيلان المهبلي: فمن الطبيعي ظهور كمية معتدلة من السيلان المهبلي نتيجة لشرح السوائل من المهبل المحتقن ومن عنق الرحم.

- اضطرابات هضمية: خاصة في بدء الحمل، وأبسط مظاهرها الغثيان ويرافقه أحياناً سيلان اللعاب الغزير أو القيء.

- انتفاخ البطن مع تقدم الحمل.

- خطوط محمرة اللون تشبه الجروح المندملة في أسفل البطن، وقد تشاهد هذه الخطوط أحياناً على الأجزاء السفلى من الثديين وعلى الفخذين.

- انتفاخ المعدة والأمعاء بالغازات.

- الإمساك: من جراء ضغط الرحم الكبير على الأمعاء والمستقيم.

- البواسير: وهي مجموعة من الأوردة الدموية الكبيرة الموجودة في المستقيم والشرج، حيث يساعد الحمل على ظهورها بسبب إعاقة الرحم الكبير لدوران الدم في منطقة الشرج والمستقيم ويؤخر عودة الدم وإفراغ هذه الأوردة.

- دوالي الساقين: إن الرحم الكبير يعيق دوران الدم في الأطراف السفلية ويسبب احتقاناً



في الأوردة فتتفخ في الساقين.

- التقلصات العضلية: وهي تظهر في الظهر والفخذين في الأسابيع الأخيرة من الحمل، وتسبب ألماً شديداً بسبب انحراف الجذع إلى الوراء تحت تأثير الرحم النامي ليطم توازن الجسم.
- ضيق التنفس: كثيراً ما يحدث خلال الشهرين الأخيرين من الحمل ضيق في التنفس خاصة عند الاستلقاء على الظهر.

- الأرق: يقول الطبيب (فشر) إنه لا تسلم حتى المرأة الصحيحة من الاضطراب الشديد في زمان الحمل، فتصاب في مزاجها بالتلون وفي أفكارها بالتشوش وفي عقلها بالشرود.

أما في تأثير الجنين على حالة أمه الصحية فيقول عدد من أساتذة طب النساء والولادة: يعتبر معظم الأطباء وهذا صحيح أن الجنين داخل الرحم متطّّل على أمه لأن المواد الغذائية كالأمحاض الأمينية والجلوكوز وكذا الفيتامينات والأملاح كالحديد والكالسيوم والفسفور وغيرها، تنتقل من الأم إلى الجنين خلال المشيمة .. والمعروف أن طلبات الجنين تلبى بصفة إلزامية حتى وإن كان هناك نقص في كل أو بعض هذه المواد الحيوية عند الأم.

تلکم كانت الأعراض والتغيرات التي تصاحب الحمل عند المرأة الصحيحة، وهي لا تجتمع كلها في امرأة واحدة، كما أن هناك تفاوت من حيث الشدة، فقد تكون الآلام خفيفة لا تكاد المرأة تحس بها، وقد تصل إلى درجة مرضية، وعموماً هذه التغيرات الطبيعية سرعان ما تزول بمجرد انتهاء الحمل عند المرأة الصحيحة.

الولادة:

إن الولادة أو المخاض يعني قذف محصول الحمل: الجنين والمشيمة والغشاء مع السائل الأمنيوسي، من الرحم إلى خارج الجسم، تضغط التقلصات الرحمية على الجنين وجيب المياه وتدفعها إلى النزول تدريجياً إلى عنق الرحم، وبذلك يتم انفتاح الممر وتمدد عنق الرحم.

والأسباب المباشرة لإثارة الألم في أثناء الطلق هي:

- ١- تمدد عنق الرحم في أثناء الولادة، وهي عملية عالية التوتر شديدة الحساسية.
- ٢- تقلص الرحم (الطلق) الذي يصاحبه تقلص في أربطة الرحم الجانبية وتورم الغشاء البيريتواني الذي يغلفه.
- ٣- توتر أربطة الرحم الخلفية.
- ٤- تمدد وتقلص شرايين الرحم الرئيسية والأعصاب التي تغذيه.
- ٥- التغيرات الكيميائية في الأنسجة الرحمية.



كل هذا يسبب توتراً في الأعصاب، فترتفع حساسيتها، وتسبب الشعور المعروف بالألم في أثناء المخاض.

وللدلالة على ذلك يكفي القول أن تمدد الرحم منذ بداية الحمل حتى يحين موعد الوضع يبلغ نحو ٥٠٠ مرة، كما يصبح وزنه في هذه الفترة نحو ستة كيلو غرامات بعد أن كان هذا الوزن لا يتعدى الخمسين غراماً قبل الحمل.

خلال ولادة الطفل يتمدد المهبل إلى درجة كبيرة تتخيل الأم معها أنها قد سببت لها جروحاً كبيرة وتمزقات شديدة. والتغيرات الكبيرة التي تحدث في المهبل طيلة فترة الحمل تسبب ازدياد مرونته وقدرته على التمدد إلى درجة يستطيع معها في آخر الحمل أن يتمدد أضعاف سعته الأولى. فإذا حدثت بعض التمزقات فإنها تكون سطحية وسهلة الشفاء وذلك بخياطتها.

وبعد ولادة الطفل يتم إخراج المشيمة أو الخلاص ولا يرافق ذلك أي ألم. ومن الطبيعي أن ينزل مع الخلاص كمية من الدم لا تزيد على كوب واحد. وبعد تدليك الرحم، الذي يصبح في هذا الوقت كتلة مستديرة قاسية تحت سرة البطن، تقلص عضلات الرحم بشدة وبذلك تغلق الأوعية الدموية الموجودة بينها ويتوقف النزيف.

النفاس وأعراضه الجسمية والنفسية:

تسمى فترة ما بعد الولادة بـ (النفاس) .. فبسبب الولادة يخرج من المرأة دم ليس أقله مدة محددة: فقد ينقطع بعد الولادة مباشرة وقد يستمر أربعين يوماً وهي مدة أكثر النفاس. لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: (كانت النفاس تجلس على عهد الرسول ﷺ أربعين يوماً^(١))، وقد قال الترمذي: إنه أجمع أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم على أن النفاس تدع الصلاة أربعين يوماً، إلا إن ترى الطهر قبل ذلك، فإنها تغتسل وتصلي، فإذا رأت الدم بعد الأربعين: فإن أكثر أهل العلم قالوا: لا تدع الصلاة بعد الأربعين، وهو قول أكثر الفقهاء.

كما أنه من الضروري مرور فترة من الزمن تتراوح بين ستة وثمانية أسابيع حتى يرجع الرحم والأعضاء التناسلية إلى طبيعتها الأولى.

-الرحم: ينكمش الرحم بعد انتهاء وظيفته بصورة رشيقة وماهرة في فترة قصيرة تبلغ ستة أسابيع حتى يصبح وزنه ٥٠ غراماً، وتدعى عملية انكماش الرحم على نفسه هذه ونقصان حجمه ووزنه حوالي عشرين مرة (انطمار الرحم)؛ وهي تنتج عن انكماش الخلايا العضلية نفسها مع امتصاص أكثر محتوياتها بواسطة الدورة الدموية.

(١) رواه الترمذي، كتاب: الطهارة، باب: كم تمكث النفاس.



-الثديان: أما الثديان فإنهما يفرزان الحليب بعد ثلاثة أيام من الولادة، وبظهور الدرة يصبح الثدي أكبر حجماً وأكثر امتلاءً ويصبح الجلد فوقه مشدوداً بينما تكون الأوردة الدموية تحته محتقنة ومتورمة وبارزة بوضوح خلال الجلد. وقد تشعر الأم بالآلام في الثديين في اليوم الذي تحدث فيه الدرة خصوصاً عند (الحروس) التي تقوم بالإرضاع لأول مرة. ولا تنتج هذه الحالة عن امتلاء الثدي بالحليب ولكنها تنتج عن احتقان الأوعية الدموية حولها عندما تبدأ غدد الحليب إفرازها.

الكآبة بعد الولادة:

إن لعلاقة الجهاز العصبي بالولادة أساساً عملياً متيناً، ذلك أن الجهاز العصبي يكون أكثر حساسية وإثارة بعد الولادة، فكثيراً ما نشاهد الأم تبكي بكاء حاداً، دون سبب ظاهر، في الوقت الذي نظن أن كل شيء يسير في مجراه الطبيعي أثناء النفاس، وأن الأم والطفل تغمرهما السعادة الكاملة، ولا يوقف الأم عن بكائها شيء، بل إن محاولة إقناعها بأن لا سبب لذلك، تجلب لها مزيداً من الدموع الغزيرة. ولا تستطيع الأم، حالما تنتهي من نوبة البكاء هذه، أن تعطي أي تفسير لسبب بكائها إلا أنها تشعر بعدها براحة نفسية عميقة. وكل ما تحتاجه الأم في هذا الوقت بالذات، هو قلب عطوف يفهمها ويحنو عليها.

فالجسم والنفس دون شك هما وحدتان متحابكتان متمازجتان، ورد الفعل النفسي والبدني للأُم يختلف بعد الولادة عما كان عليه قبلها. وفي غضون الأيام المعدودة التالية للوضع قد تخالجهما أحاسيس من الكآبة، هي كآبة ما بعد الوضع. فتشعر باليأس والانطواء النفسي، وأقل كلمة تنم عن الانتقاد وتبطن شيئاً من الانتقاص، تثيرها وتستفزها، وقد تنفجر باكية من غير سبب.

ويؤكد الأطباء أن ردود الفعل هذه هي تفريغ عن غموم ساورتها أثناء الحمل، وهموم استبدت بها عندما حان وقت المخاض والوضع، وبها تبدو وكأنها تخرج من صدرها زفرات مكتومة طال انحباسها، فلما وضعت وانتهى الألم ارتفعت إلى السطح وانبثقت كآبة وعبرات.

فقد اتضح أن كآبة ما بعد الولادة هي ردّ الفعل الذي يبدر من امرأة لا تقوى على الشدائد مثل ما تقوى عليها المرأة القوية. وما من شك في أن الكآبة الخفيفة تلم بكل امرأة موشكة على الولادة أو التي ولدت حديثاً ولكن مداها يختلف لدى كل امرأة.

الاستحاضة:

هي أن ترى المرأة دمّاً في غير أيام الحيض ... أو بعد مضي أكثر أيام النفاس ... ويكون لون دم الاستحاضة في الغالب أحمر مشرقاً ولا رائحة له... سمّاه رسول الله ﷺ عرقاً فقال: (إذا كان دم الحيضة فإنه دم أسود يعرف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي



وصليّ فإنما هو عرق^(١).

ويسميه الطّبُّ نزيفاً، وهو على هذا دم مرض عارض، وليس نظاماً شهرياً كالحيض، أو قاعدة بعد الولادة كالنفاس...

ومن نعمة الإسلام على المرأة المستحاضة أنه لم يعاملها كما يعاملها اليهود، الذين لا يفرقون بين الحائض والمستحاضة في المعاملة ويجعلون المستحاضة نجسة كما في أيام حيضها.

أما الإسلام فقد ساوى بين المرأة المستحاضة والمرأة في أيام الطهر... فجعل الاستحاضة غير مانعة من الصلاة والصيام وسائر العبادات... كذلك أجاز جماع المستحاضة في الفرج كما تكون في أيام الطهر إلا أن عليها أن تغسل فرجها من أثر الدم قبل الجماع.

سن اليأس:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَبْسُنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ﴾^(٢).

إن اليأس من المحيض هو من التغيرات الطبيعية التي تحدث للمرأة، وهي الفترة التي تتوقف فيها المرأة عن الإنجاب، حيث يتوقف المبيضان عن إفراز البويضات. وتعدّ مرحلة سن اليأس مرحلة عصبية في حياة المرأة، وهي تبدأ ما بين السنة الخامسة والأربعين والخمسين من العمر. ويقول الأطباء أن المرأة عموماً لا تنجب بعد تجاوزها الحادية والخمسين إلا نادراً جداً. ولكن هذه ليست قاعدة لا تشذ عنها أي امرأة... فكم سمعنا عن نساء أكبر من هذا السن وقد أنجبن أطفالاً إذ أن ذلك ليس على الله بعزيز.

فهذه سارة زوجة إبراهيم عليها السلام بعد أن بلغا من العمر عتياً جاءتهما الملائكة وبشّرتهما بالحمل والولد، قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾^(٧١) قَالَتْ يَتُوبَلِّغُنِيَ الْإِلَهَ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ^(٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٧٣).

وقد تعجبت سارة لأنها كانت عقيماً وهي شابة فكيف تحمل وقد أصبحت عجوزاً إضافة إلى العقم؟!

ولا شك أن هذا التحول أمر ليس بالهين على جسم المرأة وكيانها... فيصحب ذلك تغييرات نفسية وجسدية ولكنها سرعان ما تزول بعد أن تستقر في مرحلتها الجديدة.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الطهارة، باب: إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٣) سورة هود، الآيات: ٧١-٧٣.

فأول ظاهرة تلاحظها المرأة لدى بلوغها سن اليأس هو عدم انتظام الدورة الشهرية، وتقل كمية الدماء النازفة وتقتصر مدتها على يوم أو يومين، ثم تتناول الفترات بين الدورات وأخيراً تنقطع الدورة نهائياً.

بعد ذلك يطرأ على الرحم ضمور في عضلاته وينكمش حتى يصل إلى ثلث حجمه الأصلي بعد مرور عشر سنوات من انقطاع الدورة الشهرية، وكذلك الحال يضمّر المبيضان ويصغر حجمهما بعد توقفهما عن طرح البويضات.

أما المهبل فتصاب جدرانه بالضعف ويقل سمكها وتفقد تعاريجها المميزة، ورغم ذلك يظل المهبل في معظم الأحيان قادراً على استيعاب عضو الرجل بارتياح ومسيرة النشاط الجنسي القائم. بالإضافة إلى ذلك يتعرض المهبل إلى حالة من الجفاف قد ينتج عنها من ناحية أخرى زيادة حساسية الجلد بهذه المنطقة وتعرضه للالتهابات الجلدية.

ومع تغير شكل المهبل يفقد كذلك رطوبته فيصبح جافاً مما قد يؤلم المرأة أثناء الجماع ويضعف من ميلها للجنس فتظن خاطئة أن شهوتها بدأت في الزوال، وبأنها ستصبح غير قادرة على الاستمتاع أو الإمتاع. وهذا اعتقاد خاطيء ويتنافى بشدة مع رأي العلم ومع الوقوع وما أثبتته الدراسات والتجارب حول هذا الموضوع. حيث يقول الباحثون في علم الجنس: إن المرأة يمكنها أن تستمر في الاستمتاع بالجنس بدرجة عالية رغم تقدمها في السن. . وذلك بافترض اعتدال حالتها الصحية بصفة عامة...

ولكن تطراً على عملية الجماع بعض التغيرات الملحوظة؛ حيث يحتاج المهبل إلى فترة أطول من الإثارة الجنسية لخروج الإفرازات المليئة له استعداداً لاستقبال عضو الرجل. كما يحدث انخفاض في كمية الدم الواردة إلى الأعضاء التناسلية فيقل تدفق الدم إلى المهبل والبظر وغيرهما من الأنسجة الحساسة مما يعوق إنطلاق الشهوة والاستجابة السريعة للإثارة الجنسية...

وتتعرض المرأة كذلك بعد بلوغ سن اليأس لضعف العظام؛ وهذه الحالة تنشأ نتيجة لفقد بعض مكونات العظام مما يؤدي إلى نحافتها وضعفها في غياب هرمون الإستروجين.

والمرأة بعد سن اليأس كثيراً ما تتعرض للسمنة أو اكتساب الوزن الزائد؛ وذلك لحدوث انخفاض في قدرة الجسم على حرق الطاقة. وهذه الزيادة في الوزن بعد سن اليأس قد تُعرض المرأة أو تجعلها تعاني بالفعل من أمراض مزمنة. مثل مرض ارتفاع ضغط الدم ومرض السكر وأمراض الحوصلة المرارية وأمراض القلب، ومرض السرطان. بالإضافة إلى واحد من أكثر الأمراض شيوعاً في الوقت الحالي وهو مرض التهاب المفاصل (التهاب العظمي المفصلي).

وبسبب عدم التناسق بين عمل الغدد في مرحلة سن اليأس واضطراب كمية الهرمونات المفترزة من كل غدة نتيجة لذلك، تتعرض المرأة خلال هذه المرحلة لموجات من الهبات الساخنة التي



تجتاح جسمها، حيث تستمر الموجة لمدة قد تصل إلى دقيقتين، وربما رافقها شيء من التعرق. كما تبدأ علامات نتيجة علامات الخوف من المستقبل بالظهور في هذه المرحلة، وتشعر المرأة بضغط عصبي نتيجة إحساسها بأنها أصبحت كبيرة في السن، مما يجعلها عصبية المزاج ميّالة إلى المشاكسة والشجار، وقد تصاب بصداع وأرق مريرين.

ودخول المرأة في سن اليأس لا يعنى أنها تصاب باليأس من الحياة وتبدأ في انتظار المصير المحتوم، بل هو توقف عن الإنجاب فحسب وفيها عدا ذلك فإنها تبدأ حياة جديدة وبإمكانها أن تستمتع أستمتاعاً واسعاً طيباً. وإذا استطاعت أن تهتم بقوامها وأن تتجنب الأكل الزائد عن حاجتها لكي لا يزيد وزنها كثيراً، فإنها بذلك تحافظ على جمالها وأنوثتها وتبقى معطاءة لا ينقصها شيء. أما إذا استسلمت لمصيرها معتقدة أنها قد انتهت كأنثى فإنها ستتحطم نفسياً وجسدياً وستصاب بعدة أمراض مختلفة.



المبحث الثاني:

اختلافات أساسية بين الرجل والمرأة (١)

اختلافات بيّنة وظاهرة بين الرجل والمرأة:

بعد معرفة الهدف الرئيسي لخلق الإنسان وما هي مهمته على الأرض، وما سخر له من مخلوقات وكائنات كثيرة جداً لسبل العيش، والاستمرار وديمومة الحياة للذكر والأنثى، لم يشأ العليّ القدير، أن يجعل الإنسان كغيره من المخلوقات، فيدع غرائزه الجنسية تنطلق دون وعي، ويترك إتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له. بل جعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً مبنياً على رضاها، وقد دعى الإسلام إلى الزواج ورغب فيه وسهّل ووضع الأحكام المنظمة له، ولا شك أن الزواج هو الصورة المثلى للعلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة، وقد حثنا تعالى على الزواج في مواضع كثيرة جداً في كتابه المحفوظ، فذكر تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ بِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٢).

وحتى يتم اللقاء بأمر الله ويتم معرفة كل من علاقة الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل نستعرض الاختلافات البيّنة بين الرجل والمرأة.

أولاً: اختلافات عضوية بين الرجل والمرأة:

أسهل طريقة للتعرف على الاختلافات بين الرجل والمرأة هي أن نبدأ بالنظر إلى الاختلافات العضوية بينهما، فمن الواضح جداً أن الاختلافات الأساسية هي في الشكل العام، اختلافات في الأعضاء التناسلية. إلا أن الدراسات والأبحاث العلمية تشير إلى أن هناك اختلافات عضوية كثيرة، ولنأخذ على سبيل المثال الجلد.

جلد الرجل أشخن من جلد المرأة ولهذا السبب نرى ظهور التجاعيد على جسد المرأة بشكل أسرع وأكبر مما عند الرجل.

(١) النعيمي، طارق كمال، سايكولوجية الرجل والمرأة، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ٢٠٠٣م. ص ٢٢ - ٣٤ بتصرف.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.



إختلاف آخر هو أن الحبال الصوتية عند النساء أقصر مما عند الرجل، وهذا هو السبب في كون صوت الرجل أكثر خشونة وعمقاً من صوت المرأة. وإختلاف آخر في الدم، فدم الرجل أثخن من دم المرأة ونسبة الكريات الحمر في دم الرجل أكثر من نسبتها في دم المرأة بحوالي ٢٠٪، وهذا يعني أن الرجال يحصلون على نسبة أوكسجين أكثر من النساء وكذلك تكون الطاقة عندهم أكثر مما عند النساء، كذلك فالرجال يتنفسون بصورة أعمق من النساء، بينما يكون عدد مرات التنفس عند النساء أكبر مما عند الرجال.

إختلاف آخر هو تركيبة العظام فالعظام عند الرجل أكبر حجماً من العظام عند المرأة، وعظام المرأة ليست فقط أصغر من عظام الرجل بل إنها تختلف أيضاً في التركيب وطريقة مشي المرأة التي يراها الرجال غريبة وذلك لاختلافها عن طريقتهما ما هي إلا نتيجة لذلك الإختلاف في التركيب، فخطى المرأة أقصر من خطى الرجل ولذلك على المرأة زيادة عدد خطاها للحاق بالرجل، وكذلك منطقة الحوض عند المرأة أعرض مما عند الرجل وهذا التصميم الإلهي هو أفضل حماية لحمل الجنين.

إختلاف آخر وهو أن نسبة العضلات في جسم الرجل أكثر من الشحوم، وهذا التركيب يسهل على الرجل عملية التخلص من الوزن الزائد بشكل أسرع من المرأة، وعلى الجانب الآخر فإننا نرى عند المرأة وجود طبقة شحمية تحت الجلد مباشرة، وهذه الطبقة الشحمية تساعد المرأة على البقاء أكثر دفئاً من الرجل في فصل الشتاء وأكثر برودة في فصل الصيف، كذلك فإن هذه الطبقة تساعد المرأة أيضاً على الاحتفاظ بالطاقة في داخل جسمها أكثر من الرجل.

الفرق بين دماغي الرجل والمرأة:

حقيقة علمية تقول: يصعب على دماغ الرجل التحول بسرعة من حالة التفكير والتركيز إلى حالة الإحساس والعواطف، بينما يكون ذلك في منتهى السهولة بالنسبة لدماغ المرأة.

قد يتصور البعض أن هناك فرق بين دماغي الرجل والمرأة، هذا التصور صحيح، إلا أن الفرق ليس في الحجم فقط بل يتعدى ذلك إلى التركيب والوظائف، فدماغ الرجل فيه صفة التخصص. فهو وإن كان يحتوي على فصين مثل دماغ المرأة إلا أن كل فص يكون مسؤولاً عن أمور معينة، فالجزء الأيمن مسؤول عن الأمور النظرية المرئية مثل الإنجاز في الألعاب الرياضية بينما يسيطر الجزء الأيسر من الدماغ على المهارات والأمور الشفوية مثل التعبير عن المشاعر والأحاسيس، الفهم والتعامل مع المشاكل. وقد اكتشف الطب أن الجزء الأيمن يكون نموه أسرع عند الذكر لذلك نرى الأطفال الذكور أقل مهارة من البنات في مجال الأمور الشفوية بينما نراهم أُميز في مجال الإنجازات والألعاب الرياضية، وحتى عند الكبر نلاحظ ذلك الفرق بين الجنسين.



أما دماغ المرأة وبالرغم من كونه يحتوي على فصين مثل دماغ الرجل إلا إنه يختلف عن دماغ الرجل إذ إنه يتصف بصفة التعميم، وبمعنى آخر فهو وحدة واحدة وكلا الفصين فيه يعملان سوية وبنفس القدر وليس هناك تخصص في الجزئين مثلما عند الرجل.

وها هي الدكتورة Jan Barr Stump تصف الفرق بين الدماغين وتقول: (بسبب هذا الاختلاف بين دماغي الرجل والمرأة يذهب الكثير إلى الاعتقاد بأنه هو السبب الذي يجعل النساء أفضل من الرجال في قوة الملاحظة والإدراك وسعة الأفق إضافة إلى ذلك فعند حصول أي تلف لأي جزء من أجزاء دماغ المرأة (مثل حصول جلطة دماغية) فإن ذلك لن يؤثر كثيراً على فعالية المرأة حيث أن الفص الثاني والذي هو مشابه تماماً للفص الأول التالف سيتولى القيام بالمهام. أما بالنسبة للرجل فإن أي تلف يحصل في الفص الأيسر من دماغه فقد يفقد عندها القدرة على الكلام، وهنا لا يمكن للجزء الأيمن التعويض عن الجزء الأيسر ولذلك لا يمكن له القيام بأعمال الجزء الأيسر. قد يكون هذا التركيب الطبيعي لدماغ كل من الرجل والمرأة له علاقة مباشرة في قدرة المرأة على التحول السريع في أسلوب تفكيرها بينما يصعب ذلك على الرجل).

عالم الرجل والمرأة الخارجي:

يختلف عالم الرجل الخارجي عن عالم المرأة الخارجي اختلافاً كلياً، فحياة الرجل في الخارج وتعامله مع الأشياء التي حوله ومع الأحداث تتسم بالصراع والمنافسة، إنها معركة حامية الوطيس إذ أن المجتمع بالنسبة له عبارة عن تركيبة هرمية والإنسان فيه إما في القمة أو في الأسفل. وطبعاً فإن القوي هو الذي يكون في القمة والضعيف في الأسفل والرجل بطبيعته يجب أن يكون دائماً في الأعلى ولا يقبل لنفسه أن يكون في الأسفل. فالقمة معناها النجاح والأسفل معناه الفشل، لذلك نرى الرجل يحاول النجاح دائماً فيما يقوم به من أعمال ليحافظ على مكانته المرموقة في ذلك الهرم ونراه كذلك يحاول أن يحقق ذلك النجاح بمفرده وذلك بعدم طلب المساعدة إذ أن طلب المساعدة دليل على الضعف وتضعفه في المرتبة السفلى. حياة الرجل في الخارج ترى المساعدة دليلاً على الضعف وتضعفه في المرتبة السفلى. حياة الرجل في الخارج تتطلب منه بذل مجهود عظيم إذ يتوجب عليه أن يتكلم كثيراً ويتنافس مع الآخرين ويثبت إنه على صواب وإن الآخرين على خطأ وإنه أفضل منهم، وكذلك فعليه أن يبذل مجهوداً كبيراً في العمل إما مجهوداً ذهنياً أو مجهوداً عضلياً، وأيضاً عليه أن يحمي نفسه من محاولات الآخرين للنيل منه، فالمجتمع مليء بالوحوش المفترسة والتي لا تعرف معنى الرحمة، هذا هو مجتمع الرجل في الخارج ولذلك فإنه عندما يعود للبيت بعد قضاء يوم مثل هذا نراه قد استنفذ كل طاقاته ويكون منهك القوى.



نظرة الرجل والمرأة إلى العالم الخارجي:

عندما ينظر كل من الرجل والمرأة إلى العالم الذي يحيط بهما، يظهران وكأنهما يلبسان نظارات مختلفة. نعم، والسبب في ذلك هو كون الرجل ينظر إلى العالم من منطلق التركيز بينما تنظر المرأة إلى نفس العالم من منطلق التوسع. وكلا المنطلقين وبالرغم من الاختلاف الكبير بينهما فأنهما يعتبران صحيحان.

يتميز أسلوب التفكير عند الرجل بربط الأمور ببعضها البعض بشكل حلقات متواصلة، وهكذا وبطريق التدرج يقوم الرجل برسم صورة واضحة للموضوع الذي هو بصده.

بينما يتميز أسلوب التفكير عند المرأة بالتوسع، وهذا الأسلوب هو عبارة عن رسم صورة كاملة للموضوع في البداية وذلك عن طريق الحدس. بعد ذلك تقوم المرأة بمحاولة اكتشاف كل الأجزاء المتعلقة بذلك الموضوع ومن ثم تقوم المرأة بربط تلك الأجزاء ببعضها البعض.

يؤثر هذا الفرق في النظرة بين كل من الرجل والمرأة على الكثير من الأمور في الحياة، مثل القيم، إعطاء الأولويات، تصرفات اللاوعي المواهب الطبيعية، المصالح، والسبب في كل ذلك هو اختلاف الرجل والمرأة في النظر إلى العالم الخارجي ومجرباته، فالمرأة التي تتسم بالتوسع تنظر إلى جانب العلاقات المتبادلة بين الناس، لذلك نرى المرأة تهتم كثيراً بجانب الحب، العلاقات، مواصلة المحادثة، المشاركة، التعاون، الحدس، والهدوء النفسي الداخلي.

وعلى الطرف الآخر فإن الرجل الذي يتسم بالتركيز فإنه ينظر إلى جانب ربط الأمور ببعضها البعض بطريقة حلقات متواصلة وبعد ذلك يقوم برسم صورة واضحة. وهذا الأسلوب يدفع بالرجل إلى التفكير في إحراز نتائج، تحقيق أهداف، القوة، المنافسة، العمل، المنطق والكفاءة.

ثانياً: اختلافات سيكولوجية بين الرجل والمرأة:

لوصول إلى معرفة سيكولوجية المرأة (الطبيعة النفسية لها) لا بد من معرفة مفاتيح بسيطة:

أ- التكشف البيولوجي مقابل التستر النفسي:

لا يمكن فهم المرأة نفسياً إلا من خلال فهمها بيولوجياً فعلى الرغم من غموض المرأة نفسياً فهي شديدة الوضوح بيولوجياً بمعنى أن التكوين البيولوجي فاضح لها مهما حاولت إخفاءه فهي أضعف عضلياً من الرجل على وجه العموم. اكتشف «علماء نفس»^(١) بعد عدة أبحاث أجروها بسبب كثرة الطلاق بين الزوجين وبسبب المشكلات الزوجية، ومحاولة منهم لمعالجة هذه المشكلات أو لاكتشاف طرق علاجها، وبما أننا نعرفنا على أهم أعضاء الهيكل العظمي وعلى أجزائه، وتعرفنا على نفسية المرأة واطلعنا على أسباب التغيرات التي تتعرض لها، ومنها

(١) دكتور محمد المهدي، استشاري الطب النفسي، نشرت على الموقع محاضرة بعنوان سايكولوجية المرأة، بتاريخ ٨ / ٠٢ / ٢٠٠٤.



ما تسببه هرمونات المبيض التي يفرزها طوال الشهر، والتي تسبب عند المرأة تغيرات جسدية ونفسية، لا يمكن اخفاؤها مهما حاولت ذلك، وكرد فعل طبيعي لهذه الظاهرة البيولوجية تميل المرأة إلى التستر، وما الخجل الفطري لدى المرأة إلا رغبة في الابتعاد عن العيون الفاحصة المتأمللة لكل الظاهرة البيولوجية، وربما يكون التستر قناعاً يخفي حقيقة حياء المرأة وخوفها من أن يكتشف سرّ تغيراتها، كل من يحيط بها فهي الصفة المناقضة للتستر، فتشعر المرأة أحياناً أنها تريد أن تزين مظهرها وتجمّله ليتلّهى به كل ناظر إليها، فلا يستطيع الولوج إلى داخلها وباطنها بسهولة، [ومن هنا نرى ولع المرأة الفطري بأدوات الزينة والتجمل واستعمال الروائح العطرية].

والمرأة لا تحتاج فقط إلى ستر تكوينها البيولوجي والتظاهر بخلافه، وإنما تحتاج أيضاً إلى مواجهة مشاعرها وعواطفها، فقد خلقت طبيعة جياشة لتكون مناسبة لمواكبة حاجات الأب والزوج والأبناء وهذه الطبيعة تتسم بالسيولة العاطفية، التي تتبدى في التغيير السريع في المشاعر وفي حرارة هذه المشاعر. وهذه السيولة العاطفية يكمن خلفها تركيبات عصبية وإفرازات هرمونية تجعلها قوة دافقة، تخشى المرأة خطرها، ولذلك تحاول جاهدة إخفاء جزء كبير من مشاعرها الحقيقية، فهي تحاول مثلاً إخفاء حبها حتى لا تتورط في علاقة حرجة، وتحاول إخفاء كرهها حتى لا تتعرض لغضب الرجل. فإحساسها بضعفها، وإحساسها بأنوثتها يجعلها تفضل موقف الانتظار والتريث فلا تسمح لرغباتها بالظهور الفجّ أو بالتعبير الصريح كما يفعل الرجل غالباً.

فأفضل تشبيه لحالة المرأة ولتقلباتها العاطفية هو موج البحر، فالمرأة تشبه موجة البحر عندما تشعر بأنها محبوبة ومرغوب بها، فإن روحها المعنوية ترتفع، ونرى على وجهها آثار الفرح، والابتسامة العريضة الدائمة، وتكون حالتها النفسية في القمة. إلا أن الموجة بعد الارتفاع تنخفض، ويصاحب ذلك الانخفاض تدهور في حالة المرأة النفسية، إذن، تصل تلك الموجة إلى القمة وذلك عندما تكون المرأة سعيدة ومبتهجة، وإذا ما تغيرت نفسياتها تتحطم موجة البحر وتصل إلى القعر، وحين نرى نفسية المرأة بدأت بالتحسن، وعادت الابتسامة إلى وجهها ثانية، وعندما ترتفع هذه الموجة، تشعر المرأة بالسعادة، وتبدأ بتقديم الحب بسخاء. وبعد ذلك بفترة من الزمن تهبط تلك الموجة، ويتولد عند المرأة شعور أشبه بتصفية حساب عاطفي، وتحاول في داخلها البحث عن وجود أي احتياج أو رغبة، في الحديث مع الآخرين المقربين في هذه الحالة تشعر المرأة بحاجة ورغبة شديدة للكلام عن المشاكل، تبدأ بشكاوٍ لا تنتهي، وتبحث عن مستمع لها يفهم ويقدر ما تقول وما تشتكي منه.

ما ردّة فعل الرجل اتجاه هذه الموجة من التغيرات والانفعالات؟

دون المعرفة الحقيقية لطبيعة المرأة، يصعب على الرجل فهم المرأة وطبيعتها، وبجهله للحقيقة فإنه لا يتمكن من تقديم ما يجب عليه تقديمه للمرأة، ولن يتمكن من مساندتها وتقديم الحب



والعاطفة لها. حيثما يكون هناك علامات تدل على كسر موجة المرأة وانحدارها إلى القعر. فقبل ذلك تكون المرأة في حالة طبيعية، وتتعامل مع من حولها بحالة طبيعية إلى أن يجين نزولها إلى القعر وهنا تبدو عليها التغيرات، وتتدهور حالتها النفسية وتستاء، وتصبح حساسة جداً وتكثر من الشكوى، فعلى الرجل أن يدرك في هذا الوقت أن المرأة في طريقها إلى النزول وعليه أن يساندها ويقف بجانبها.

ويمكن للرجل الحاذق أن يتعرف على حالة المرأة النفسية من خلال كلامها. ولتقريب وتوضيح ذلك ندرج أدناه بعض ما قد تقوله المرأة أثناء غضبها وشكواها، والحالة النفسية للمرأة أثناء قولها لذلك الكلام^(١):

ما تقوله المرأة: حالتها النفسية:

- لا ينتهي العمل، فدائماً هناك أعمال مقهرة عليّ أن أقوم بها.
- أحتاج أكثر إلى...
- لا تشعر بالأمان.
- أنا التي تقوم بجميع الأعمال.
- متضايقه.
- ولكن ماذا عن...
- قلقه.
- أنا لا أفهم السبب لماذا...
- محتارة.
- أنا لا أستطيع القيام بأي عمل آخر.
- مرهقه.
- لا أدري ما العمل.
- يائسه.
- أنا لا أهتم. إفعل ما تشاء.
- غير عابثة.
- عليك أن...

(١) النعمي، طارق، سايكولوجية الرجل والمرأة، ص ٢١٨-٢١٩



- مطالبة.
- أنا لا أريد أن ...
- مبتعدة.
- ما تقصد بقولك ...
- عديمة الثقة.
- طيب هل قمت ب ...
- مسيطرة.
- كيف ينسى ...
- عدم الموافقة.

في مثل هذه المواقف وكلمة شعرت المرأة بمساندة الرجل أكثر فأكثر، عندها تبدأ المرأة بالوثوق به وبالعلاقة التي تربطها ببعض أكثر من السابق، وعندها ستشعر بحرية وأمان أكثر في النزول إلى البئر والخروج منه، تشعر إنه يمكنها أن تنزل وتخرج بدون حدوث أية مشاكل أو كفاح في علاقتها بالرجل أو في حياتها.

هذه إحدى نعم العلاقة المبنية على الحب والاحترام والتفاهم.

وكذلك تفهم الرجل لما تتمر به ورؤية اهتمامه بها وحبه ومساندته لها، فإنها لن تنسى هذا الصنيع للرجل وسيزداد حبها له.

وإضافة إلى ذلك فإن موقف الرجل المتفهم هذا يساعدها على التخلص من عقد الماضي في حياتها، سواء في مرحلة الطفولة أو في سن الشباب.

وأخيراً، وبعد أن تتأكد المرأة من حب ومساندة الرجل، وتفهمه لتلك الحالة الطبيعية التي تحصل لها من فترة لأخرى، فإنها وعند نزولها إلى ذلك البئر في المستقبل ستكون بحالة نفسية أفضل مما لو لم يتفهم الرجل موقفها وحالتها، وسيخف عندها الشعور بالتعاسة والضجر وذكر المشاكل، سيخف كل ذلك إلى درجة يكاد يكون معدوماً أو أنه سوف لن يؤثر على مظهر المرأة وتصرفاتها العامة، ستتخلص هي من ذلك الشعور المقرف، وسيرتاح جميع من حولها^(١).

مع ذلك، نجد أن هذه المفاتيح تتبعها مفاتيح أخرى للتعرف على المرأة ومنها التبعية.

(١) النعيمي، طارق كمال، سايكولوجية الرجل والمرأة، ص ٢١٩-٢٢٠.

ب - التبعية^(١):

إذ مهما تظاهرت المرأة بالقوة، ومهما تزعمت الحركات النسائية، فهي في أعماق نفسها تشعر أن الرجل يعلوها قدرة، وإدراكاً لحقائق الأمور ولأبعادها، كما تشعر ضمناً أنها تابعة له ومتعلقة في رقبته، إذ تشعر معه بالأمان والقوة، والقدرة على مواجهة الحياة بأمل وجرأة.

قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)

وقال أيضاً: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالضَّرِيفَةُ قَدِيفَتُ حَفِيفَتُ لِلْعَيْبِ بِمَا حَفِيفَ اللَّهُ وَالنِّيفَةُ نَشُورُهُنَّ فَعَطُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ إِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَكِيفًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾^(٣).

وهذا الواقع ليس عيباً في تكوين المرأة، وليس انتقاصاً من شخصية المرأة وكيانها، كما أنه ليس مبرراً لاستعبادها وقهرها، وإنما هو احتياج وظيفي أوجده الله فيها، لكي تكتمل مسيرة الحياة بتوازن.

وكرّد فعل نفسيّ لهذا الشعور العميق بالتبعية وبالْحاجة إلى سند وقوة، نجد أن المرأة تميل إلى الدهاء والحيلة لتفادي بطش الرجل، وتلجأ إلى الإغراء عن طريق الزينة والتبرج، متعرضة للرجل، منتظرة سعيه إليها، فإن لم يكن ذلك كافياً لجأت إلى الإغواء بالتنبيه والحيلة والدلال، فهي تسعى إلى تحريك إرادة الرجل نحو الفعل، بمعنى أن المرأة تملك الإرادة المحركة والمشجعة، في حين يملك الرجل الإرادة الفاعلة والمنفذة، والمرأة بوعيتها الفطري لقوة الرجل، تسعى لموازنة ذلك بجمال أنوثتها وهي تستطيع أن تصل من خلال جمال الأنوثة عندها، إلى قهر قوة الرجولة عنده، وبذلك تشعر أنها حققت مرادها. وتفوّقت عليه، وجعلته يعترف بأهمية وجودها لكمال سعادته.

إن المرأة تعلم في قرارة نفسها أنها الوعاء الذي يحافظ على بقاء النوع، وهذا أحد المفاتيح الذي يحتم على الرجل التعرف عليها، فهي منتجة للحياة بإذن ربه، وراعية لها، لذلك تشعر من هذه الناحية أنها أقوى من الرجل. والمرأة هي وعاء اللذة الجنسية، وهي الوعاء العاطفي الذي يشعر

(١) دكتور محمد المهدي، استشاري الطب النفسي، نشرت على الموقع بتاريخ ٨ / ٢ / ٢٠١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

الرجل بالسكّن والمؤدّة والراحة، والمرأة وعاء الحياة ووعاء البقاء ووعاء اللذة ووعاء العاطفة والسكن ووعاء القوة أي أن المرأة تضرب بجذورها في أعرق نوازع الحياة، فكيف لا تغلب على الرجل بالرغم من أنه الأقوى؟

ت- الوفاء للطبيعة:

وهي إحدى الصفات المحيِّرة جداً للرجل. فهو يريد المرأة وفيّة له دائماً، والمرأة السوية تفعل ذلك غالباً، وبخاصّة إذا كان وفاؤها للرجل يتماشى مع وفائها للطبيعة؛ أما إذا كان هناك تعارض بين الإثنين فإنها تختار الوفاء للطبيعة، وهذه فطرة أصيلة في المرأة، للمحافظة على القوّة والجمال في النوع البشري. فالمرأة أكثر ميلاً نحو الأقوى، بكل معاني القوة، والأجمل، بكل معاني الجمال وهي مدفوعة لذلك بالفطرة، ولو كانت غير ذلك، لانقلبت واختارت الأضعف بكل معاني الضعف ولتدهورت السلالات البشرية وانحدرت نحو الخضوض. وهذه الصفة رغم انتهازيتها الظاهرية؛ على الأقل في نظر الرجل، إلا أنها تدفعه ليكتسب مصادر الجمال في المظهر والأخلاق والسلوك وهذا يصب في النهاية في مصلحة الجنس البشري ككل، حتى وإن كان على حساب الضعفاء من الرجال، وهناك بعض الاستثناءات التي تقبل فيها المرأة الاستمرار مع الأضعف أو الأقيح، ويكون ذلك بدافع الشفقة أو الأمومة أو أي دوافع فطرية أخرى، أو تكون مضطرة لذلك، لكن هذه الاستثناءات لا تنفي القاعدة الفطرية العامة. والمرأة حين تقاوم فطرتها مضطرة، فإن ذلك يظهر عليها في صورة اضطرابات نفسية وجسمانية متعدّدة، كاحتجاج على مخالفة الدافع الفطري لديها وهو الوفاء للطبيعة التي تدعم بقاء الأقوى والأجمل.

ج - الجمع بين النقيضين:

وقد نحكم حكماً صحيحاً إن قلنا لا يفهم الرجل المرأة إن لم يفهم هذه الصفة الفطرية فيها. فهي تجمع بين اللذة والألم بحيث لا يستطيع التفرقة بينهما في لحظة بعينها، ويتجسد ذلك في حالة الحمل والولادة والرضاعة وتربية الأولاد، فعلى الرغم من شكوى الأم من آلام الحمل والولادة والرضاعة والتربية إلا أنها في ذات الوقت تشعر بلذّة عارمة في أثناء هذه المراحل، ويمتزج الحب بالكره لدى المرأة، فهي تكره شقاوة الأبناء وتحبهم في ذات الوقت، وتحقد على الزوج ولا تطيق ابتعاده عنها، وتضيق من الأب وتدعو له بطول العمر، وهي تجمع بين الضحك والبكاء، ويساعدها تكوينها العاطفي وسيولة مشاعرها على ذلك كما يساعدها التكوين البيولوجي فتسغفها الغدد الدمعية بما تحتاجه من دموع وبمتهى السرعة والسهولة.

د- مفتاح القلب:

والتقلّب صفة بيولوجية ونفسية أصيلة في المرأة. فالمرأة منذ بلوغها لا تستقر على حال،



فأحداث الدورة الشهرية و ما يسبقها وما يصاحبها وما يتبعها من تغيّرات؛ يجعلها تتقلب في حالات انفعالية متباينة، والحمل وما يواكبه من تغيّرات جسديّة وهرمونيّة ونفسية يجعلها بين الشوق والرفض، وبين الرجاء والخوف طيلة شهور الحمل، ثم يتبع ذلك زلزال الولادة الذي ينتج عنه تعتعة ما تبقى من استقرار لدى المرأة، ومع قدوم الطفل تصبح الأم مسؤولة عن كائن كثير الاحتياجات شديد التقلّب، ولا بد أن تكون لديها قابلية لمواكبة كل هذا، وغيره كثير في حياتها. ومن لا يفهم صفة التقلّب لدى المرأة، يحار كثيراً أمام تغيّر أحوالها ومشاعرها وقراراتها وسلوكياتها.

وبالتالي فإن الصفات التي ذكرناها تمثل غالبية النساء وتبقى هناك استثناءات تخرج عن هذه القواعد ولكن الاستثناءات لا تنفي بل تؤكد القاعدة.

وأخيراً نقول هذه هي المرأة اللغز، شديدة الغموض، شديدة الوضوح، بالغة الضعف، بالغة القوة، فاستوصوا بالنساء خيراً...

أما بالنسبة إلى الرجل^(١):

فالاختلافات الخلقية بين الرجل والمرأة تقدّر فسيولوجياً، وذلك عن طريق الاختلافات في نظام الحمض النووي DNA داخل جسم الإنسان. وبما أن المرأة تحمل صفة الأنوثة فقط، فالرجل تطغى عليه القوى الرجولية بشكل أكبر.

فمن متابعة الدراسات والأبحاث والملاحظات وتاريخ الرجل عبر العصور، نجد أن هناك سمات مشتركة ومفاتيح محدّدة تميّز جنس الرجال، وتسهّل فهم طريقة تفكيرهم وسلوكهم، ويبدو أن هذه السمات المشتركة لها جذور بيولوجية، وجذور التركيب التشريحي، والوظائف الفسيولوجية، وبخاصة نشاط الغدد الصماء، تتصل بدور الرجل في المجتمعات المختلفة، فمما لا شك فيه أن الجسمانية العضلية للرجل وما يحويه جسده من هرمونات ذكورة، وما قام به من أدوار عبر التاريخ مثل العمل الشاق، وحماية الأسرة، والقتال وممارسة أعمال الفكر والإدارة، وقيادة أسرته ورعايتها، كل هذا جعله يكتشف صفات مميّزة يمكن الحديث عنها كسمات رجولية تميّزه عن عالم النساء، وهذا لا ينفي وجود فروق بين الرجال أنفسهم (كما هي بين النساء) تستدعي الانتباه إلى الفروق الفردية بينهم.

١- التميز الذكوري:

في بداية التاريخ الإنساني كانت الآلهة غالباً تأخذ الشكل الأنثوي في التماثيل التي كانوا يصنعونها، وكان هذا التقديس للأنثى قائم على قدرتها على الإنجاب وإمداد الحياة بأجيال

(١) د. محمد المهدي، استشاري الطب النفسي، نشر على الموقع بتاريخ ٣١ / ٢ / ٢٠٠٧ محاضرة بعنوان سيكولوجية الرجل.



جديدة. ولكن مع الزمن اكتشف الرجل أن الأنثى لا تستطيع الإنجاب بدونه، إضافة إلى أنه هو الأقدر على دفع الحيوانات والوحوش، عنها وعن أسرتها، وهو الأقدر على قتال الأعداء،

لذلك بدأ التحوّل تدريجياً. ففي بعض المراحل التاريخية نجد أن تمثال الرجل تساوي مع تمثال المرأة، ثم تحوّل الأمر بعد ذلك، ليعلو تمثال الرجل على تمثال المرأة، حيث اكتشف الرجل أدواره المتعدّدة، وقدرته على السيطرة والتحكّم وتغيير الأحداث، في حين انشغلت المرأة بأمور البيت وتربية الأبناء.

ومن هذه المرحلة بدأت فكرة التمييز الذكوري وترسّخت مع الزمن، وكان يسعد بها الرجل السويّ وتسعد بها المرأة السويّة، التي تعرف أنها تمتلك هي الأخرى في المقابل تميّزاً أنثوياً من نوع آخر يناسب تكوينها ودورها. ولكن الرجل في بعض المراحل التاريخية وبخاصة في فترات الاضمحلال الحضاري راح يبالغ في «تميّزه الذكوري» حتى وصل إلى حالة من «الاستعلاء الذكوري» وفي المقابل حاول وأد المرأة نفسياً واجتماعياً وأحياناً جسدياً، فحطّ من شأنها واعتبرها مخلوقاً، من الدرجة الثانية، وأنها مخلوق مساعد جاء لخدمته ومتعته، وأنها مخلوق تابع له، وهذا التصوّر العنصري المخالف لقواعد العدل والأخلاق والمخالف لتعاليم السماء في الدين الصحيح دفع المرأة لأن تهبّ دفاعاً عن كيانها ضدّ محاولة السحق من الرجل.

[ومن هنا نشأت حركات التحرّر في البداية لتعيد للمرأة كرامتها وحقوقها من أيدي الرجال المستبدين. لكنّ بعض هذه الحركات بالغت في حركتها ومطالبها، وسعت عن قصد أو عن غير قصد، لأن تجعل المرأة رجلاً، ظناً منها أن هذه هي المساواة. وقد أفقد هذا التوجه المرأة تميّزها الأنثوي الذي هو سرّ وجودها]، وأصبح الأمر معركة وجود ونديّة مع الرجل، فخسر الاثنان (الرجل والمرأة) تميّزهما الذي منحهما الله إياه ليقوم كل بدوره. وبما أن المرأة والرجل مخلوقان لله سبحانه وتعالى، فلا نتصوّر أن يتحيّز الخالق لأحد مخلوقاته ضد الآخر، ولكنها الأدوار والمهام والواجبات، والعدالة في توزيع التميّز في جوانب مختلفة لكي تعمّر الحياة. والرجل بطبيعته يكمن في داخله الشعور بالتميّز الذكوري، وهذا الشعور يجعله حريصاً على القيام بدور القيادة والرعاية للمرأة وللأسرة وينبني على هذا الشعور مفهوم القوامة، وهو مفهوم عميق في نفس الرجل.

جاءت الشرائع السماوية، تؤكده كشيء فطريّ لازم للحياة، فما من مشروع أو مؤسسة إلا وتحتاج لقيادة حكيمة وخبيرة وناضجة، ولما كانت مؤسسة الأسرة هي أهم المؤسسات الاجتماعية عبر التاريخ الإنساني كان لابد من الاهتمام بقيادتها، وقد ثبت عملياً أن الرجل (في معظم الأحيان) جدير بهذه القيادة بما تميّز به من صفات القوة الجسدية والقدرة على العمل الشاق وكسب المال ورعاية الأسرة والتأني في اتخاذ القرارات الحاسمة.



٢- القوامة:

وهي روح الرجولة في جسم الرجل، وإذا حاولت المرأة انتزاعها (غيرة أو تنافساً) فإنها في الحقيقة تنتزع رجولة الرجل ولا تجد فيه بعد ذلك ما يستحق الإعجاب أو الاهتمام، بل تجده إنساناً ضعيفاً خاوياً لا يستحق لقب فارس أحلامها ولا يستحق التربع على عرش قلبها.

والمرأة السوية لا تجد مشكلة في التعامل مع قوامة الرجل السوي الذي يتميز فعلاً بصفات رجولية تؤهله لتلك القوامة لأن القوامة التي وردت في الآية القرآنية الكريمة مشروطة بهذا التميز، يقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فلكي يستحق الرجل القوامة عن حق في نظر المرأة يجب أن يكون ذا فضل وذا قدرة على الكسب والإنفاق، أما إذا اختلت شخصيته فكان ضعيف الصفات، محدود القدرات ويعيش عالة على كسب زوجته فإن قوامته تهتز وربما تنتقل لأيدي المرأة الأقوى بحكم الأمر الواقع وقوانين الحياة.

والقوامة ليست استعلاءً أو استبداداً أو تحكماً أو تسلطاً أو إلقاءً للمرأة كما يفهم بعض الرجال، وإنما القوامة رعاية ومسؤولية، وقيادة منطقية عادلة، واحترام لإرادة المرأة وكرامتها كشريك حياة ورفيق طريق، والمرأة السوية تشتاق من أعماقها لتلك القوامة الرشيدة والتي تعني لها قدرة رجلها على رعايتها واحتوائها وحماتها وتلبية احتياجاتها واحتضانها كي تتفرع هي لرعاية واحتواء وحماية واحتضان وتلبية احتياجات أطفالها.

والمرأة التي تنتزع القوامة من زوجها تصبح في غاية التعاسة (في حالة كونها سوية وليست مسترجلة) لأنها تكتشف أنه فقد رجولته وبالتالي تفقد هي أنوثتها.

٣ - تعددية الرجل مقابل أحادية المرأة:

والتعددية في الرجل مرتبطة بتكوين بيولوجي ونفسي واجتماعي، فالرجل لديه ميل للارتباط العاطفي وربما الجنسي بأكثر من امرأة، وهذا لا يعني في كل الأحوال أنه سيستجيب لهذا الميل، فالرجل الناضج الرزين يضع أموراً كثيرة في الاعتبار قبل الاستجابة لإشباع حاجاته البيولوجية والنفسية، وربما يكمن خلف هذه الطبيعة التعددية طول سنوات قدرة الرجل العاطفية والجنسية مقارنة بالمرأة حيث لا يوجد سن يأس للرجل، ولا يوجد وقت يتوقف فيه إفراز هرمونات الذكورة ولا يوجد وقت يتوقف فيه قدرته على الحب والجنس، وإن كانت هذه الوظائف تضعف تدريجياً مع السن ولكنها تبقى لمراحل متقدمة جداً من عمره، وهذا عكس المرأة التي ترتبط وظيفية الحب والجنس لديها بالحمل والولادة والاندماج العميق في تربية أطفالها، ثم انقطاع الدورة في سن معينة (مبكرة نسبياً) وهبوط هرمونات الأنوثة في هذا السن مع تغيرات بيولوجية ملحوظة.



هذا الموقف يجعل المرأة السويدية أكثر ميلاً لأحادية العلاقة كي تضمن استقراراً تتمكن فيه من رعاية أطفالها، إضافة إلى تقلبات حياتها البيولوجية والتي تستدعي وجود راع ثابت ومستقر يواكب مراحل حياتها ويتحملها حين تفقد بعض وظائفها.

ونحن نؤكد هنا أننا نتكلم بشكل علمي موضوعي قائم على الدراسات والملاحظات بعيداً عن المدهانات السياسية أو الاجتماعية.

٤ - الرجل طفل كبير:

كنا نظن أن هذا القول « الرجل طفل كبير » من الكلمات التي يستخدمها الناس بلا وعي في مزاحهم، ولكن تأكد معنا أكثر من دراسة واستطلاع رأي للرجال والنساء، ويبدو أن هناك شبه اتفاق على صحة هذه الصفة في الرجل، فعلى الرغم من تميزه الذكوري، واستحقاقه (غالباً) وليس دائماً) للقوامة، ورغبته في الاقتران بأكثر من امرأة، إلا أنه يحمل بداخله قلب طفل يهفو إلى من تدلله وتداعبه، بشرط أن لا تصارحه بأنه طفل، لأنها لو صارحته فكأنها تكشف عورته، ولذلك تقول إحدى النساء بأن من تستطيع أن تتعامل مع الأطفال بنجاح غالباً ما تنجح في التعامل مع الرجل. والمرأة الذكية هي القادرة على القيام بأدوار متعددة في حياة الرجل، فهي أحياناً أم ترعى طفولته الكامنة، وأحياناً أنثى توظف فيه رجولته، وأحياناً صديقة تشاركه همومه وأفكاره وطموحاته، وأحياناً ابنة تستثير فيه مشاعر أبوته... وهكذا.

وكلمة تعددت وتغيرت أدوار المرأة في مرونة وتجدد فإنها تسعد زوجها كأى طفل يسأم لعبه بسرعة ويريد تجديداً دائماً، أما إذا ثبتت الصورة، وتقلصت أدوار المرأة فإن هذا نذير بتحول اهتمامه نحو ما هو جذاب ومثير وجديد (كأى طفل مع الاعتذار للزعماء من الرجال).

٥ - الطمع الذكوري:

هو أحد صفات الرجل حيث يريد دائماً المزيد ولا يقنع بما لديه خاصة فيما يخص المرأة وعطاءها، فهو يريد الجمال في زوجته ويريد الذكاء ويريد الحنان، ويريد الرعاية له ولأولاده، ويريد الحب ويريد منها كل شيء. ومع هذا، ربّما تتطلع عينه ويهفو قلبه لأخرى أو أخريات، وهذا الميل للاستزادة ربما يكون مرتبطاً بصفة التعددية لدى الرجل والتي سبق الحديث عنها.

وربما تكون هاتان الصفتان (الميل للتعددية والطمع الذكوري) خادمتان للطبيعة الإنسانية ولا استمرار الحياة، فنظراً لتعرض الرجل لأخطار الحروب وأخطار السفر والعمل نجد دائماً وفي كل المجتمعات زيادة في نسبة النساء مقارنة بالرجال، وهذا يستدعي في بعض الأحيان أن يعدد الرجل زوجاته أو يعدد علاقاته بحسب قيم وتقاليد وأديان مجتمعه وذلك لتغطية الفائض في أعداد النساء.



والمرأة الذكية هي التي تستطيع سدّ همّ زوجها، وذلك بأن تكون « متعة للحواس الخمس » (كما يجب أن يكون هو أيضاً كذلك)، وهذه التعددية في الإمتاع والاستمتاع تعمل على ثبات واستقرار وأحادية العلاقة الزوجية لزوج لديه ميل فطري للتعدد، ولديه قلب طفل يسعى لكل ما هو مثير وجديد وجذاب .

٦ - الرجل يحب بعينيه غالباً، والمرأة تحب بأذنها وقلبها غالباً:

وهذا لا يعني تعطيل بقية الحواس، وإنما نحن نعني الحاسة الأكثر نشاطاً لدى الرجل، وهي حاسة النظر، وهذا يستدعي اهتماماً من المرأة بما تقع عليه عين زوجها فهو الرسالة الأكثر تأثيراً على نفسه، والأكثر تأثيراً على مشاعر قلبه. كما يستدعي من الرجل اهتماماً بما تسمعه أذن زوجته، وما يشعر به قلبها تبعاً لذلك ومن هنا نستطيع أن نفهم ولع المرأة بالزينة على اختلاف أشكالها، دليلاً على قوة جذب ما تراه عين الرجل على قلبه وبقية كيانه النفسي ثم يأتي التأثير على بقية الحواس كالأذن والأنف والتذوق واللمس لتكتمل منظومة الإدراك لدى الرجل، ولكن الشرارة الأولى تبدأ من العين، ولهذا خلق الله تعالى الأنثى وفي وجهها وجسدها مقاييس عالية للجمال والتناسق تلذبه الأعين، ولم يحرم الله امرأة من مظهر جمال يتوق إليه رجل .

والرجل شديد الانبهار بجمال المرأة وبمظهرها وربما يشغله ذلك، ولو إلى حين، عن جوهرها وروحها وأخلاقها، وهذا يجعله يقع في مشكلات كثيرة بسبب هذا الانبهار والانجذاب بالشكل . وهذا الانبهار والانجذاب ليس قاصراً على البسطاء أو الصغار من الرجال وإنما يمتدّ ليشمل أغلب الرجال على ارتفاع ثقافتهم ورجاحة عقولهم .

٧ - الرجل صاحب الإرادة المنفذة والمرأة صاحبة الإرادة المحركة:

فكثيراً ما نرى المرأة تلعب دوراً أساسياً في التدبير والتخطيط والتوجيه والإيحاء للرجل، ثم يقوم الرجل بتحويل كل هذا إلى عمل تنفيذي وهو يعتقد أنه هو الذي قام بكل شيء، خاصة إذا كانت المرأة ذكية واكتفت بتحريك إرادته دون أن تعلن ذلك أو تتفاخر به .

وفي علاقة الرجل بالمرأة نجد أن في أغلب الحالات المرأة هي التي تختار الرجل الذي تحبّه، ثم تعطيه الإشارة وتفتح له الطريق وتسهل له المرور، وتوهمه بأنه هو الذي أحبّها واختارها وقرّر الزواج منها في حين أنها هي صاحبة القرار في الحقيقة، وحتى في المجتمعات التقليدية مثل صعيد مصر أو المجتمعات البدوية نجد أن المرأة، رغم عدم ظهورها على السطح إلا أنها، تقوم غالباً بالتخطيط والاقتراح والتوجيه والتدبير، ثم تترك لزوجها فرصة الخروج أمام الناس وهو « يبرم » شاربه ويعلن قراراته ويفخر بذلك أمام أقرانه من رؤساء العشائر والقبائل .

٨ - بين الذكورة والرجولة:

ليس كل ذكر رجلاً، فالرجولة ليست تركيباً تشريحياً أو وظائف فسيولوجية، ولكن الرجولة مجموعة صفات تواتر الاتفاق عليها مثل: القوة والعدل والرحمة والمروءة والشهامة والشجاعة والتضحية والصدق والتسامح والعفو والرعاية والاحتواء والقيادة والحماية والمسؤولية. وقد نفتقد هذه الصفات الرجولية في شخص ذكر، كما قد نجد لها أو نجد بعضها في امرأة، وعندئذ نقول بأنها امرأة كالرجال، أو امرأة بألف رجل لأنها اكتسبت صفات الرجولة الحميدة، وهذا لا يعني أنها امرأة مسترجلة فهذا أمر آخر غير محمود في المرأة وهو أن تكتسب صفات الرجولة الشكلية دون جوهر الرجولة.

٩- الرجل يهتم بالعموميات خاصة فيما يخصّ أمور الأسرة (في حين تهتم المرأة بالتفاصيل):

نجد أنّ الرجل لا يحيط بكثير من تفاصيل احتياجات الأولاد أو مشكلاتهم وإنما يكتفي بمعرفة عامة عن أحوالهم، في حين تعرف الأم كل تفاصيل ملابسهم ودروسهم ومشكلاتهم. وهذا الوضع ينقلب في الحياة العامة حيث نجد الرجل أكثر اهتماماً بتفاصيل شؤون عمله والشؤون العامة. أي أن الاهتمام هنا انتقائياً، وربما يكون هذا كامناً خلف الذاكرة الانتقائية لكل من الرجل والمرأة، تلك الظاهرة التي جعلت شهادة الرجل أمام القضاء تعدل شهادة امرأتين، وهذا ليس انتقاصاً من ذاكرة المرأة، وإنما يرجع لذاكرتها الانتقائية الموجهة بقوة داخل حياتها الشخصية وبيتها، في حين تتوجّه ذاكرة الرجل التفصيلية نحو الحياة العامة.

١٠- العمل والنجاح بالنسبة للرجل يعادل الأمومة بالنسبة للأنثى:

ولهذا لا تستغرب المرأة إعطاء الرجل (السوى) كثيراً من وقته وتفكيره وانشغاله لعمله وطموحه ونجاحه، لأن كل هذا يحقق له كمال رجولته، فتعلو مكانته في عين زوجه ومجتمعه.

١١- الغيرة المعقولة صفة أصيلة في الرجل السوي:

الغيرة تزداد وتصل إلى درجة الشك والاثام في حالة الشخصية (البارانوية الجنسية المثلية الكامنة)، وتضعف إلى درجة الانعدام في حالة الجنسية المثلية الظاهرة.





المبحث الثالث:

المحادثة بين الرجل والمرأة^(١)

من الأمور التي تسبب الكثير من المشاكل بين الرجل والمرأة عدم تمكن الرجل من فهم المرأة، أو من فهم قصدها في الكلام، وعدم ادراكه أسلوب تفكيرها في الحياة.

بعد ملاحظة التكوين الهيكلي للمرأة، وعرض نفسية المرأة وسيكولوجيتها نجد أن أسلوب تعاملها مع المجتمع المحيط بها يقوم على العاطفة (الود والمحبة والتفهم). فعندما تشتكي المرأة من موضوع ما، تعترضها عدة عقبات أولها:

عدم إصغاء الرجل لكلامها أو لشكواها.

والإحصائيات تثبت أن أكثر شكاوى شيوخنا بين النساء هي عدم إصغاء الرجل إليها. فالرجل غالباً ما يتجاهل المرأة تماماً عندما تكلمه في موضوع ما أو تعرض عليه مشكلة ما؛ أو إنه يسمع جزءاً قليلاً مما تقوله، وبعد ذلك يبدأ بطرح الحلول، ويعرض وتوضيح الأسلوب الأمثل لمعالجة الموقف، حتى قبل أن يدرك أو يحاول أن يفهم تفاصيل وأبعاد الموضوع الذي تحدّثه فيه.

فهو دائماً على حقّ فيما يعرض، وزوجه دائماً كثيرة التأفف والتذمّر من كلّ شيء، وهي فعلاً نتيجة هذا الموقف تتذمّر وتنزعج، وتغضب من عدم وقوف زوجها معها للتخفيف عنها. بالمقابل نجد الرجل عليه علامات الحيرة والإستغراب، لم لا تأخذ زوجه بنصيحته! والحقيقة هي أن المرأة في ذلك الوقت لا تريد أي حلّ للمشكلة، ولا تطلب من الرجل تقديم أية مساعدة، بل كل ما تريده هو الاستماع إليها، وإبداء المشاركة الوجدانية من قبل الرجل الذي تحب، أما إذا لم تجد ما تريده من تعاطف الرجل الوجداني معها فإنها تتحوّل إلى امرأة عصبية وتحاول أن تبتعد بعداً تاماً عن الرجل.

فالحوار بالنسبة للمرأة هو شيء أساسي، وإصغاء الرجل إليها مهم جداً بل هو أكثر أهمية من تحقيق هدف ما، أو النجاح في عمل ما، أو موضوع ما. الحوار المستمر مع الرجل يشبع رغبة المرأة ويروي غليلها، ويسعد قلبها، ويهدئ روعها. هذه هي النقطة الحساسة جداً والمهمة جداً بالنسبة للمرأة وعلى الرجل أن يتذكر دائماً أنه لن يستطيع فهم المرأة ما دام لا يولي هذه النقطة أيّ اهتمام منه، وما دام همّه الوحيد هو اشباع رغبته بالشعور بالنجاح في عمله، وبالتفوق

(١) النعيمي، طارق كمال، سايكولوجية الرجل والمرأة، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية، ص ٤٤ بتصرف.



بين أهله ورجال مجتمعه متجاهلاً أن نجاحه في علاقته مع زوجته جزء مهم جداً في حياته، ودافع أساسي ومعين له في تحقيق نجاحاته المختلفة.

ونظرة تفحصية لعالم الرجال تكشف كم هو مليء بالمشاكل والمصاعب والمنافسة والمضاربة، والمشاحنة فعليهم أن يجِدُوا ويكافحوا لأجل تحقيق تلك الأهداف المثلى للبقاء على قيد الحياة بعزّة وكرامة. بينما عالم النساء مليء بالعلاقات الإجتماعية وبالحب والعواطف الجياشة والإهتمام بالعائلة وبالرعاية للأولاد وللأهل.

وطبيعة المرأة العاطفية، والحاضنة للجميع والراعية لأبنائها تجعل المرأة تؤمن بالمشورة، والمشورة وتقديم الاقتراح وهذا دليل على طبيعة المرأة القائمة على العطف والاهتمام والرعاية، وهذا ما لا نجده عند الرجل الذي لا يهتم إلا بتفاصيل عمله، والمحيط الخارجي الذي يتعامل معه.

وإذا لم يعرف الرجل طبيعة اختلاف المرأة عنه في تفكيرها وتصرفها، فمن الممكن جداً أنه عندما يحاول مساعدتها يقوم بتعقيد الأمور بدلاً من تيسيرها ويجوّلها من سيء إلى أسوأ، لأنه يواجه بتذمر المرأة وبعدها عنه.

فعلى الرجل أن يدرك أن المرأة عندما تبدأ بالكلام عن مشاكلها وتبدي تذمرها من لا مبالاته، فهي تلفت نظره إلى أنها بحاجة إلى مشاركته الوجدانية المتعاطفة معها، والمخففة من ثورتها، والمطفئة للهب شعورها بالوحدة وبالتعب نتيجة اهتمامها بالجميع دون شعور الشريك بما تشعر به أو تحسه. فهي في تلك اللحظات لا تريد ولا ترغب أبداً أن يقوم الرجل بإلقاء محاضرة تتضمن حلولاً لتلك المشكلة أو المشاكل، بل تريد أنيسأ لها، مصغياً لكلامها، مشاركاً لمشاعرها، مطيباً لخواطرها الثائرة بالكلمة الحلوة وبالبسمة الشافية الباعثة للأمل من جديد، والمؤكدّة للمرأة أن لديها شريكاً يساعدها في حياتها. إلا أن ذلك الموقف من المرأة يسبب للرجل حالة انزعاج والسبب بكل بساطة هو جهل الطرفين للفروقات الخلقية بين الجنسين. وقد يتخذ الرجل موقف الصمت أمام محادثتها، غير أن ذلك الصمت يزعجها كثيراً ولا تقبله من الرجل أبداً. وإن كانت المرأة لا تعلم ما الذي حصل للرجل في الخارج، ولا تستطيع قراءة أفكاره، وهي تنتظر منه أن يسرّ إليها لتعاطف معه، ولكنه بصمته المبهم هذا يزعجها كثيراً ويجعلها تشعر أنه يحاول تجاهلها وتجاهل وجودها أو أنه غاضب منها لسبب ما؟؟؟

قد لا يعلم الرجل أن المرأة حين تتكلم وتتذمر من المتاعب والمشاكل تعتبر ذلك مجرد وسيلة لإيجاد الراحة في نفسها، وهي لا تقصد أبداً أن تضع اللوم عليه، وهو لا يعلم كذلك أن المرأة بعد انتهائها من الكلام عن المشاكل والمتاعب ستشعر بالراحة. فعلى الرجل إذاً أن يتحلّى بالصبر على الإصغاء، وعدم فهم الموضوع على أنه محاولة من المرأة لإثبات تقصيره ومن ثم إدانته، فالمرأة لا تقصد ذلك أبداً، لأنه لا يزال بالنسبة إليها ذلك الرجل الذي أحبت ووافقت



على الزواج منه.

الأسباب الرئيسية التي تدفع المرأة إلى الكلام^(١):

تتكلم المرأة لأسباب عديدة ومختلفة، ومن المهم جداً أن نعرف أن بعض الأسباب التي تدفع المرأة إلى الكلام هي نفس الأسباب التي تدفع الرجل إلى التزام جانب الصمت! وهنا نورد أهم أربع أسباب لكلام المرأة وهي:

- ١- لإيصال معلومات أو لجمعها « وهذا السبب هو الوحيد الذي يشترك به الرجل والمرأة ».
 - ٢- لتعرف ما تريد قوله « يفكر الرجل بما يريد قوله بصمت، بينما تفكر المرأة بصوت عالٍ ومسموع ».
 - ٣- عندما تكون في حالة غضب الكلام يساعدها على التركيز ومن ثم تشعر بالراحة بينما « في حالة غضب الرجل فإنه يتوقف عن الكلام ويدخل صومعته أملاً في إيجاد الراحة ».
 - ٤- بث روح المودة. « تتكلم المرأة بإسهاب وإطالة بينما شعار الرجل هو خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالإطالة مضيعة للوقت والجهد ولا داعي لها ».
- بدون معرفة هذه النقاط المهمة فإن العلاقة بين الرجل والمرأة يعترها الكثير من سوء الفهم والكثير من المشاكل والسبب دائماً هو (الاختلاف الطبيعي بين الجنسين).

دخول المرأة صومعة الرجل^(٢):

يحصل الكثير من المشاكل بسبب محاولة دخول المرأة صومعة الرجل فهي لا تعلم أن الرجل فعلاً يحتاج إلى العزلة عندما يكون غاضباً أو مجهداً، وهي لا تعلم ما يجري داخل الرجل عندما يكون في تلك الحالة. والأدهى من ذلك هو محاولتها أن تكلمه وتجره إلى الكلام، تقول المرأة متسائلة: هل هناك مشكلة؟

يجيب الرجل: كلا.

هذا الجواب غير كافٍ للمرأة، فهي ترى حالة الرجل وتحاول معرفة مشكلته، وبدلاً من أن تترك الرجل وحده وتعطيه الفرصة اللازمة لكي يتعامل مع حالته هذه بطريقة الخاصة، طريقة الصمت والتفكير، تقوم المرأة بمقاطعة تلك العملية النفسية، وتساءل: أنا أعلم أن هناك ما يضايقك، فما هو؟

يجيبها الرجل « والذي لا يود الكلام » لا شيء.

(١) النعيمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ١٣٨.

(٢) النعيمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ١٣٩.



تسأل مرة أخرى: لا تقل لي « لا شيء» أنا أعلم أن هناك شيئاً يضايقك، أخبرني عن ذلك.
يجيبها الرجل: اسمعيني جيداً، أنا (بخير)، والآن اتركيني لوحدي.

تستاء المرأة من جواب الرجل الجاف هذا وتقول: كيف تعاملني هذه المعاملة، أنا حاجر في هذا البيت؟ لم لا تشاركني في أفكارك؟ ويدبّ الخلاف والسبب جهل الطرفين لطبيعة كل منهما.

وإذا، ما شعر الرجل بعدم قدرته على الاستماع لزوجته، والتركيز على ما تقول، عليه اتباع الخطوات الثلاث التالية^(١):

١- على الرجل أن يتفهم حالته النفسية، فأول ما يحتاج الرجل إليه هو أن يعترف لنفسه أنه بحالة نفسية تتطلب منه الانسحاب والابتعاد إذ لن يتمكن من الاستماع والإصغاء والتركيز، فعليه أن يتعد كلياً عن محاولة إجبار نفسه على الاستماع.

٢- على الرجل أن يفهم شكوى المرأة، نعم ما تتطلبه شكوى المرأة أكثر مما يمكن أن يقدمه في ذلك الوقت. فشكوى المرأة لها قيمتها وعلى الرجل أن لا يحاول إهمال المرأة أو التقليل من أهمية كلامها. لذلك عليه الابتعاد عن تخطئة المرأة وإفهامها أنها غير محقة فيما تقول. يجدر بالرجل أن لا يحاول أبداً الاستخفاف بالمرأة أو بكلامها، فما يؤدي المرأة هو إهمال الرجل لها وخصوصاً عندما تكون بحاجة إلى التحدث إليه.

٣- على الرجل أن يتفهم موقف المرأة، فتفهم الرجل لموقف المرأة يساعده على الابتعاد عن إيقاع اللوم على المرأة والنفوه بكلام جارح يؤدي المرأة ومشاعرها. يساعد الرجل على تجنب خلق مشكلة جديدة، فعندما لا يستطيع الرجل تقديم ما تحتاج المرأة إليه. عندها يمكن للرجل الابتعاد عما يزيد الأمور سوءاً، يمكن له أن يتعد عن الشجار والمجادلة، وما على الرجل فعله هو إفهام المرأة وبصریح العبارة بأنه يحبها ويحترمها ويقدر شعورها ويود أن يستمع لما تقول إلا أنه في حالة يحتاج فيها إلى الهدوء والراحة والاختلاء بنفسه، وإنه بالتأكيد سيعود إليها، وعندها سيكون كله آذان مصغية وسيقدم لها كل ما تحتاج إليه.





الفصل الرابع: احتياجات المرأة العاطفية

المبحث الأول: الإحتياج إلى الحب.

المبحث الثاني: البعد عن الجدل.



المبحث الأول:

احتياج المرأة إلى الحب^(١)

الاحتياجات العاطفية لا تتشابه عند الرجل والمرأة وإن كان للرجل وللمرأة إحتياجات عاطفية لا بد من وجودها وأهمها الحب. نجد في داخل كل منهما أحاسيس ومشاعر وعواطف تعتريه وتؤثر على تصرفاته تأثيراً بالغاً فيأتي تصرفه تبعاً لهذه الأحاسيس والمشاعر.

إلا إن الإحتياجات العاطفية عند الرجل تختلف تماما عن الإحتياجات العاطفية عند المرأة، وللأسف فإن معظم الرجال والنساء لا يدركون حقيقة هذه الإختلافات في الإحتياجات العاطفية لدى الجنسين، ونتيجة لذلك الجهل في الإحتياجات، فإنهم لا يتمكنون من معرفة الكيفية والطريقة المثلى في فهم بعضهم البعض، وفي تقديم المساعدة والمساندة المطلوبة، وتجنب المشاكل وسوء الفهم فعندما يحاول الرجل القيام بعمل ما، وذلك لأجل إسعاد المرأة وإدخال البهجة والفرحة إلى قلبها، فإنه يقدم لها ما يحتاجه « رجل » آخر وليس ما تحتاجه المرأة.

وكذلك فعندما تحاول المرأة القيام بعمل ما، يكون الهدف منه إسعاد الرجل، فإنها تقدم للرجل ما يحتاجه « امرأة » أخرى وليس ما يحتاجه الرجل.

وهكذا وبطريق الخطأ يتصور كل من الرجل والمرأة أن احتياجات الطرف الآخر العاطفية هي طبقاً لاحتياجاته هو أو لاحتياجاتها هي، فالرجل يقدر ويحاول أن يسد احتياجات المرأة العاطفية من منطلق احتياجاته هو شخصياً، وكذلك المرأة تقدر وتسد احتياجات الرجل العاطفية من منطلق احتياجاتها هي شخصياً!

ونتيجة لذلك التقدير الخاطيء، فإننا نرى وبدلاً من السعادة المرتقبة والمتوقعة، نرى الإثنين غير سعداء ويكون الجفاء وتوتر الأعصاب سيّدا الموقف.

ومن هنا، وبحسب تفكير الرجل، فإنه يشعر بأن كل التضحيات والجهود التي بذلها من أجل سعادة المرأة، التي يجبها، لم تعد بأية نتائج طيبة، وقد ذهبت أدراج الرياح، وكذلك المرأة، وبحسب تفكيرها، فإنها قدمت وقدمت وقامت بتضحيات كثيرة من أجل إسعاد الرجل الذي تحب، إلا أنه لم يقدر أياً من تلك التضحيات وأن مجهودها ذهب سدى، والنتيجة هي عدم

(١) النعيمي، طارق كمال، سايكولوجية الرجل والمرأة، ص ٢٤٨ - ٢٦٠ بتصرف



الاعتراف بالجميل من قبل أي من الطرفين.

والحقيقة هي، إن كلاً من الرجل والمرأة يقوم، وبكل حسن نية، بتقديم الحب والحنان والمودة والمساعدة والمساندة، ولكن بأسلوب خاطيء وبطريقة تجعل كل تلك التضحيات تنقلب إلى منغصات يتضايق منها الطرف الآخر وفي بعض الأحيان يتصوّر أنها مضايقات متعمّدة.

فعندما ترى المرأة زوجها في حالة نفسية قلقة وغير مرتاحة مثلاً تقوم هي، ومن منطلق المساعدة والمؤازرة بحسب تفكيرها بطرح أسئلة عديدة على الرجل تحاول من خلالها واهمة مواساة زوجها وتهدئة أعصابه وإراحته.

غير أن طرح المرأة للأسئلة العديدة وهو في حالة الانطواء والصمت والابتعاد تكون مزعجة جداً له وتثير أعصابه أكثر فأكثر، وقد يشعر الرجل، في ذلك الوقت، بمحاولة المرأة السيطرة عليه، والتحكّم به، فنراه وبصورة تلقائية يتعد عنها أكثر من السابق، وهنا تختار المرأة المحبة، ولا تدري ما الذي يحصل وما العمل؟!.

وتضع المرأة نفسها مكانه وتبدأ تتصوّر لو أنها هي التي كانت منزعجة وفي حالة نفسية قلقة، مثل الحالة التي عليها الزوج في ذلك الوقت، فإذا قام الرجل بمواساتها بنفس أسلوبها (وهو التحدث إليها وطرح الأسئلة) فما الذي يحصل آنذاك؟ الجواب هو بالطبع أن أعصابها ستهدأ وترتاح نفسياً وتعود إلى حالتها الطبيعية، فما الذي دهى الرجل إذا؟ لقد فعلت بالضبط ما تصورته هي بالنسبة إليها إلا أن النتيجة كانت معكوسة، لقد ازداد الرجل غضباً وابتعد أكثر، ماذا أصابه؟ لم لا يقدر على الأقل الجهود التي بذلتها في محاولاتها لمساندته والوقوف إلى جنبه؟ ولم نكران الجميل هذا؟.

وهكذا يحدث بالنسبة إلى الرجل فهو إن لاحظ انزعاج المرأة وسوء حالتها النفسية، يهّب، ومن منطلق الحب والرعاية والاهتمام، ويقوم بإطلاق عبارات سحرية، عبارات يتصوّر الرجل أن لها مفعولاً عجباً وإنها بالتأكيد ستهدىء من روع المرأة، وتساعدتها على الخروج من الحالة المزرية التي هي عليها وستنقلها إلى عالم الفرحه والبهجة. يحاول الرجل تطيب خاطر المرأة وذلك بالتقليل من شأن المشكلة التي تعاني منها المرأة. فقد يقول (لا تهتمي، فالموضوع ليس بذلك الحجم الذي تصوره).

أو قد يحاول الرجل تجاهل الموقف وتجاهل حالة المرأة التي هي عليها اعتقاداً منه أن المرأة تحتاج إلى بعض الوقت للانفراد بنفسها وبعد ذلك ستهدأ وتعود إلى حالتها الطبيعية، تصرف الرجل هذا يزيد من غضب المرأة ويثير أعصابها ويجعلها تشعر أن الرجل لا يهتم بها ولا بمشاعرها ولا يکن لها أي تقدير أو احترام. وهنا وبدلاً من أن تكون المرأة متضايقة بسبب مشكلة واحدة، تصبح عندها مشكلتان، المشكلة الأساسية التي كانت تضايقها والمشكلة الجديدة وهي تصورها أن زوجها تجاهلها ولم يعبأ بمشاعرها وبمشكلتها.



مع العلم أن الرجل هنا تصرّف من منطلق تفكيره وما يمكن أن يساعده ويخفف عنه لو أنه هو الذي كان في ذلك الموقف.

فما هي الاحتياجات العاطفية الكامنة لدى كل من الرجل والمرأة؟

احتياجات الرجل والمرأة العاطفية كثيرة جداً ومعقدة وهي تكاد تختلف من شخص لآخر، إلا أن هناك احتياجات أساسية للجميع ويمكن تلخيص معظمها على أنها الاحتياجات للحب، ويمكن أن نقول أن لكل من الرجل والمرأة ستة احتياجات فريدة وخاصة للحب وهذه الاحتياجات متساوية في القدر والأهمية.

وتعتبر مهمة معرفة احتياجات الحب عند كل من الجنسين مهمة صعبة وشاقة ولا يمكن التعرف عليها بسهولة ولذلك يصبح من العسير جداً تحقيقها. ولكن كل ذلك الغموض وتلك الصعوبة تزول وتتلاشى وذلك من خلال معرفتنا لأنواع الحب عند كل من الرجل والمرأة. لذلك نذكر أدناه قائمة توضح تلك الاحتياجات عند الجنسين. وبمراجعتنا لهذه القائمة يمكننا وببساطة أن ندرك سبب عدم ارتياح الطرف الآخر أحياناً عندما نقوم بعمل ما، القصد منه هو مساعدته على التخلص من الحالة النفسية السيئة، وإعادته إلى حالته الطبيعية. وكذلك فإن هذه القائمة توضح لنا الطريق الصحيح الذي يمكن أن نسلكه لتطوير علاقتنا مع بعضنا البعض والابتعاد عن سوء فهم القصد والنية السليمة.

ما يحتاجه الرجل:

- ١- الثقة به.
- ٢- قبوله على ما هو عليه.
- ٣- تقدير ما يقوم به.
- ٤- الإعجاب به.
- ٥- الموافقة على أعماله.
- ٦- تشجيعه.

ما تحتاجه المرأة:

- ١- الرعاية والاهتمام.
- ٢- تفهمها.
- ٣- احترامها.



- ٤- تكريس الرجل حياته لها.
٥- إعطاءها الأحقية وعدم إخبارها أنها على خطأ.
٦- تأكيد الرجل المستمر لحبه لها.

لا شك أن كلاً من الرجل والمرأة يحتاج إلى كل أنواع الحب المذكورة. فالتعرف على الأنواع الست الأساسية من الحب عند المرأة لا يعني أبداً أن الرجل لا يحتاج إليها، فالرجل أيضاً يحتاج إلى الرعاية والاهتمام به وتفهمه واحترامه وتكريس المرأة حياتها له وتأييده وتكرار تأكيد المرأة لحبه لها. وكذلك المرأة تحتاج إلى كل ما يحتاجه الرجل من أنواع الحب والثقة والتقدير إضافة إلى حاجاتها الست الأساسية.

وفي مجال العلاقة بين الرجل والمرأة فإن أقوى سر لتطوير العلاقة بينهما هو معرفة أنواع الحب الأساسية التي يحتاج إليها الطرف الآخر. وبدون معرفة هذه الاحتياجات فإن الجهود المبذولة والنوايا الحسنة لن تستقبل من الطرف الآخر كما ينبغي ولن تثمر.

وأقوى وأكثر سمة عملية لهذا الفهم الجديد للحب هو كون هذه الأنواع المختلفة من الاحتياجات الأساسية للحب هي متبادلة بين الرجل والمرأة، فعندما يحاول الرجل التعبير عن رعايته واهتمامه بالمرأة ويتفهمها، عندها وبصورة تلقائية تبدأ المرأة بالتجاوب المتبادل مع الرجل وتظهر له ثقته وقبولها إياه على ما هو عليه. وهذا النوع من التجاوب يعتبر من أساسيات ما يحتاج إليه الرجل في الحب.

والشيء نفسه يحصل عندما تحاول المرأة التعبير عن ثقته بالرجل. عندها وبصورة تلقائية يبدأ الرجل بالتجاوب، وذلك بإظهار رعايته واهتمامه بالمرأة. وهذا النوع من التجاوب أيضاً يعتبر من أساسيات ما تحتاج إليه المرأة من الحب.

وسنحاول ومن خلال النقاط الست التالية توضيح الاثنا عشر نوعاً من الحب بطريقة عملية تكشف الترابط بينها والتبادل الطبيعي بينهما:

١-تحتاج المرأة للرعاية والاهتمام ويحتاج الرجل إلى الثقة^(١):

عندما يبدي الرجل رغبته واهتمامه بالمرأة وبمشاعرها، تشعر المرأة آنذاك باهتمام الرجل بها، وإذا تمكّن الرجل من إقناعها وإقناعها بأنها إنسانة خاصة بالنسبة له، ولها مكانة مرموقة في حياته، عندها ينجح في تحقيق احتياج المرأة الأساسي الأول للحب. فيتولد عندها شعور بالثقة بذلك الرجل. وعندما تثق المرأة بالرجل تصبح بعد ذلك أكثر استعداداً للتجاوب معه.

(١) النعمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ٢٥٣.



وعندما تصبح المرأة أكثر تجاوباً مع الرجل، فإن ذلك التجاوب يولد عند الرجل الشعور بالثقة بنفسه وبقدراته على الحب والعطاء وإسعاد المرأة.

والثقة بالرجل هي اعتقاد المرأة بأن الرجل يهتم بها وأنه يبذل كل جهوده من أجل إسعادها وسد احتياجاتها ومتطلباتها، وأنه دائم المحاولة لجلب أفضل الأشياء وأحسنها إليها. عندما تؤمن المرأة بكل ذلك وتبدأ تعامل الرجل على هذا الأساس عندها يستوفي الرجل احتياجاته الأساسي الأول للحب، يستوفي شعوره بالثقة.

٢- تحتاج المرأة للتفهم ويحتاج الرجل إلى القبول:

عندما تكون المرأة في حالة نفسية غير مرتاحة، وذلك بسبب مشكلة ما أو نتيجة لهبوط الموجهة، فإنها تكون منزعة جداً، وتبدأ بذكر الكثير من المشاكل، ولا تكاد تتوقف عن ذلك. وفي ذلك الوقت يكون الرجل العاقل في حالة استماع لمشاكلها ولشكواها، استماع يدل على الجدية والاهتمام والتعاطف. عندها تشعر المرأة بأن هناك من يهتم بها ويستمع لشكواها وبالتالي تشعر بالراحة وهدوء الأعصاب وتعود إلى حالتها الطبيعية. ونتيجة لشكواها واستماع الرجل لها وتعاطفه معها يتولد عندها ميول أكثر نحو الرجل. وكلما زاد إحساس المرأة بتفهم الرجل لها واستماعه لشكواها، كلما زاد عندها ذلك الميول وتبدأ بتقبل الرجل على الوضع الذي هو عليه. وذلك القبول الذي يحتاج إليه الرجل، كذلك فإن الرجل يشعر بقبول المرأة له وذلك عندما تستقبله المرأة في حياتها على ما هو عليه وبدون محاولة إجراء أي تغيير فيه.

٣- تحتاج المرأة للإحترام ويحتاج الرجل للتقدير^(١):

عندما تدل تصرفات الرجل اليومية على أنه فعلاً يحترم المرأة ويحترم شعورها، ويأخذ بعين الاعتبار أفكارها ومشاركتها، فإن شعور احترام الرجل لها سيتأكد عندها أكثر فأكثر. تذكر الرجل لبعض المناسبات العزيزة عند المرأة، مثل مناسبة الزواج أو زيارة أحد من أقاربها، كل ذلك يزيد من شعور المرأة باحترام الرجل لها، وعندما تشعر المرأة بذلك الاحترام فإنه يصبح من السهل عليها أن تعترف بالجميل، وتبدأ بتقدير الرجل ومجهوداته المبذولة في سبيل إسعادها، ذلك التقدير الذي يستحقه الرجل.

ومن طبيعة الرجل إنه عندما يشعر بأن المرأة تقدره وتقدر جهوده التي يبذلها وإن جهوده تلك لم تذهب أدراج الرياح، فإنه يشجع أكثر وأكثر على العطاء. وعندها وبصورة تلقائية فإن حبه للمرأة يزداد ويزداد كلما ازداد احترامها له.

(١) النعيمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ٢٥٦ بتصرف.



٤- تحب المرأة التكريس ويحب الرجل الإعجاب^(١):

عندما يتعهد الرجل بكل فخر واعتزاز بمساندتها ومساعدتها، عندها تستوفي المرأة احتياجاتها الرابع للحب. ألا وهو تكريس الرجل حياته وجهوده لها ولإسعادها.

وعندما تشعر المرأة بحب الرجل لها وإنها المفضلة في حياته، تشعر بالسعادة والانتعاش. وإذا ترسخ لديها شعور تكريس الرجل حياته وجهوده لها ولإسعادها فإنه يفضلها ويفضل اهتماماتها ومتطلباتها حتى على أفضلياته هو شخصياً، فإنها تبدأ بالإعجاب به.

ومثلما تحتاج المرأة إلى الشعور بتكريس الرجل حياته وجهوده لأجلها ولأجل إسعادها. فالرجل أيضاً عنده احتياج أساسي ألا وهو أهمية شعوره بإعجاب المرأة به. يشعر الرجل بذلك الإعجاب من قبل المرأة وذلك عندما يلاحظ عليها علامات تدل على الإعجاب به وبشخصيته وبمواهبه.

وعندما يشعر الرجل بإعجاب المرأة به فإنه يشعر وقتها بالأمان. وإذا شعر بالأمان مع المرأة فإنه بعد ذلك يزيد من تكريس حياته وجهوده ووقته للمرأة ولإسعادها.

٥- تحتاج المرأة لإعطاء الأحقية ويحتاج الرجل إلى التأييد^(٢):

عندما تكون المرأة في حالة نفسية غير مرتاحة وتكثر من الشكاوي، فإذا ابتعد الرجل عن الخوض في الجدل معها، أو إذا حاول عدم مجادلتها أو الاعتراض على مشاعرهما ومتطلباتهما، وإذا حاول أن يفهم موقفها ويعطيها الأحقية في وضعها ذلك، فإنها تشعر بالسعادة والحب وذلك لأنها تكون قد حصلت على احتياجاتها الأساسية الخامس من الحب.

وعندما يتعلم الرجل الأسلوب الصحيح الذي يجعل فيه المرأة تشعر بأنه يحترمها ويحترم آراءها ولا يسخر منها فإنه وبدون أي شك سيحصل من المرأة على التأييد، وهذا التأييد هو احتياج الرجل الأساسي الخامس من الحب.

إن تأييد المرأة للرجل لا يعني موافقتها الدائمة على كل ما يقوم به الرجل من أعمال. إذ ليس من الضروري أن يكون مبدأ الموافقة معناه الموافقة على عين العمل بذاته. ولكن قد يكون معناه الموافقة على الأسباب والنوايا الحسنة التي دفعت الرجل للقيام بذلك العمل.

(١) النعيمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ٢٥٧ بتصرف.

(٢) النعيمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ٢٥٨.



٦- تحتاج المرأة إلى التأكيد المستمر ويحتاج الرجل إلى التشجيع^(١):

عندما تبدو على الرجل وعلى تصرفاته المستمرة، علامات تدل على الرعاية والتفهم، والاحترام وإعطاء الأحقية والتكريس للمرأة فإنها تحصل بصورة تلقائية على احتياجاتها الأساسي السادس للحب، ألا وهو « التأكيد المستمر»، وهو أن تكون حبيبته ومحور اهتمامه، ومبدأ التأكيد المستمر يعطي المرأة هذا الشعور.

يظن الرجل وبطريق الخطأ أنه في حالة تقديمه للمرأة احتياجاتها الأساسية للحب، فإنه ومن باب البديهية أن تفهم المرأة وتتأكد من حبه لها واهتمامه بها ولا داعي أبداً أن يقوم هو بالتكرار المستمر لتأكيد كل ذلك.

هذا خطأ كبير يقع فيه معظم الرجال إن لم نقل كلهم، نعم فمعظم الرجال يعتقدون أن المرأة وبعد كل هذه السنين لا بد وأن تفهم بأن الرجل عاش معها وكان مثلاً للإخلاص والتضحية، وبرهن على حبه وتمسكه بالمرأة التي يحبها، فهذا دليل كاف على حقيقة مشاعره.

الحقيقة أن عدم التكرار بالنسبة للمرأة يعني أن هناك خللاً في العلاقة بينها وبين الرجل، ولكي تطمئن المرأة وتبقى الأمور طبيعية فإن التأكيد هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها منح المرأة احتياجاتها الأساسي السادس، وبحصولها على ذلك يرتاح بالها وتزول كل تلك الشكوك.

أما مبدأ التشجيع وقوة العزيمة عند الرجل فيتم من خلال إبداء المرأة ثقتها به وبقابلياته وبشخصيته، وعندما تقوم المرأة بمنح الرجل الثقة والموافقة والتقدير والإعجاب والتأييد فإن ذلك كله يشجع الرجل على الشعور بأنه هو الشخص المفضل عند المرأة وأنه البطل في نظرها.

وما ينتج عن ذلك هو أن الرجل وبعد أن يشعر بأنه هو المفضل عند المرأة فإنه وبصورة تلقائية يتشجع أكثر ويتحمس على القيام بتأكيد حبه للمرأة واحتياجه لها في حياته. ومن طبائع الرجل، التي فطر عليها، هو أنه يكون في قمة العطاء والسخاء وذلك عندما يشعر بأنه قد حصل على كل احتياجاته الأساسية للحب.





المبحث الثاني:

الجدل ونتائجه^(١)

الجدل بين الرجل والمرأة:

هناك تحديات كبيرة في علاقتنا العاطفية، وواحد من أكبر هذه التحديات هو التعامل مع الفوارق والخلافات بين الرجل والمرأة. فعادة، إذا اختلف الزوجان، فإن ذلك النقاش ينقلب إلى جدال، ومن ثم إلى خصام. وفجأة يتوقف الطرفان عن الكلام وكل منهما مملوء بشحنة من الغضب، وإذا حاول أحدهما الكلام إلى الآخر، فإن الكلام يكون فيه جفاء ومحاولة تجريح أو لوم أو شكوى أو اتهام.

جدل الرجل والمرأة المستمر بهذه الطريقة لا يجرح شعور الاثنین فقط، بل إنه يؤثر تأثيراً بالغاً على علاقتها ببعض. فمثلما المحادثة والتواصل بين الرجل والمرأة تعتبر أهم عنصر في العلاقة الزوجية، كذلك فإن الجدل يمكن أن يكون أهم عنصر في تدمير هذه العلاقة.

النصيحة التي يمكن أن نقولها للزوجين بصورة خاصة، هي الابتعاد عن الجدل، نعم الابتعاد عن الجدل والاستعاضة عنه بالنقاش الهادئ والهادف والبناء، فبدلاً من أن تجادل في الأمور حاول أن تناقشها مناقشة بسيطة وبأعصاب هادئة. وإذا شعرت أنك غير قادر على الاستمرار في النقاش وشعرت أن ذلك النقاش سينقلب إلى جدل وخصام وهيجان أعصاب، فما عليك إلا أن تتوقف. فالإنسان العاقل هو الذي يسير ذلك النقاش، ويتمكن من ضبط أعصابه في حالة انحناء النقاش، وخروجه عن المدار الصحيح، وتوجهه إلى طريق الجدل وهيجان الأعصاب.

ماذا يحصل عندما نتجادل؟

غالباً ما ينقلب الحوار الهادئ بين الرجل والمرأة إلى حالة جدل، والسبب أنها بطبائعهما المختلفة ينتميان إلى عالمين مختلفين، فينسيان الاختلاف السايكولوجي بينهما، ويغفلان أن أذى الجدل يعم على الطرفين، الرجل والمرأة، وأن أفضل طريقة للابتعاد عن الجدل هي التحدث بحب واحترام وهدوء أعصاب ومراعاة نقاط الاختلاف. وما يؤدي أكثر من الجدل هو طريقة الكلام التي يتبعها كل من الرجل والمرأة في التعبير عن آرائهما ومواقفهما في أثناء فترة الجدل.

(١) النعيمي، طارق كمال النعيمي، سايكولوجية الرجل والمرأة، ص ٢٧٩ - ٢٩٨ بتصرف.



فطريقة الكلام هي التي يكون لها وقع أكبر من الجدل نفسه ومن الشيء الذي حصل الجدل بسببه.

لو نظرنا إلى الجدل الحاد الذي يحصل بين الزوجين، نرى أنه ينقلب إلى ملامة وتعنيف أحدهما الآخر في طريقة الكلام. يبدأ الزوج وبدون أي إدراك بتسبب الأذى للزوجة وكذلك تبدأ الزوجة وبدون أي إدراك بتسبب الأذى للزوج. فالجدل الذي بدأ صغيراً والذي كان من الممكن السيطرة عليه وحله حلاً ودياً وسلمياً، نراه تفاقم وتصاعد وانقلب إلى حالة غليان من قبل الطرفين ووصل إلى معركة كبيرة أثارت روح العنف عند كل من الطرفين.

ويرفض كل من الرجل والمرأة قبول أو حتى فهم محتوى وجهة نظر أحدهما الآخر وذلك بسبب الطريقة التي يتبعها كل منهما في طرح وجهة نظره.

ولكي تتمكن من الابتعاد عن الجدل فإن ذلك يتطلب منا جميعاً أن نتفهم وجهة نظر الطرف الآخر، وما يساعدنا على ذلك هو شعورنا في ذلك الوقت باحترام وتقدير الطرف الآخر لنا.

هل الجدل مؤذٍ؟

عند حصول أي جدل فإن ذلك الجدل لا شك يؤذي كلا الطرفين، إلا أن ما يؤذي أكثر من الجدل نفسه هو الأسلوب والطريقة المتبعة في الكلام وليس الكلام بحد ذاته، في حالة الجدل يشعر الرجل بتحدي المرأة له، ولذلك فإن تركيزه في هذه الأثناء يكون منصباً على الإثبات للمرأة أنه على حق، هذا كل ما يفكر فيه الرجل أثناء الجدل مع المرأة، وينسى أن تلك المرأة التي يجادلها هي زوجته التي يحبها، كل ما يصبو إليه أن يثبت إنه على حق ويتغلب على ذلك التحدي الصادر من المرأة التي أمامه.

ومن الطبيعي فإن المرأة في مثل هذا الموقف يتولد عندها شعور المقاومة لهذا الأسلوب الذي يتبعه الرجل معها. تبدأ المرأة بمقاومة أسلوب الرجل وكذلك وجهة نظره، حتى لو كان فيها نوع من العقل والقبول لدى المرأة، ترفضها وتقاومها نتيجة لإسلوب الرجل.

في حالة الجدل نرى الرجل وبدون أي قصد يبدأ كلامه بإسلوب فيه خشونة وفيه قساوة وتجريح وعدم اهتمام لمشاعر المرأة، ومن الغريب جداً أن الرجل وبعد كل ذلك يطالب المرأة التي تكون في حالة ألم ومعاناة وهيجان أعصاب، يطالبها بالالتزام بالهدوء والابتعاد عن توتر الأعصاب!! يظن الرجل وبطريق الخطأ أن المرأة متألمة ورافضة لوجهة نظره، بينما في الحقيقة فإن ما أغضب المرأة أكثر هو أسلوبه في الكلام وليس الكلام نفسه.

وبما أن الرجل لا يفهم موقف المرأة الحقيقي ولا سببه، فنراه يسترسل في الكلام ويركز على شرح وجهة نظره ويحاول أن يثبت أنه على حق، يحاول القيام بذلك وبدون أية مراعاة لشعور المرأة ولا لإسلوبه غير المقبول عندها.



عندما يهمل الرجل جانب مشاعر المرأة ولا يعطيها الحق في أن تكون منزعجة فإن ما يفعله الرجل في الحقيقة هو زيادة تعاسة وألم المرأة بدلاً من تهدئتها وتجنب المشاكل، إنه يزيد المشاكل ويعقد الموقف!

وبما أن الرجل لا يدرك حجم الألم والمعاناة عند المرأة، فنراه يقوم بتحريض المرأة التي التزمت جانب الصمت تجنباً للمشاكل، يقوم بتحريضها وجرها إلى الكلام.

وعلى الجانب الآخر، فعندما تغضب المرأة وتبدأ بالتهجم على الرجل، وإطلاق عبارات تدل على اتهامه بالقصور وعدم تحمّل المسؤولية، فإنها لا تعرف الحجم الحقيقي للألم الذي تسببه للرجل، الألم النفسي الذي يحطّم معنوياته في تلك اللحظة.

وعلى عكس الرجل فعندما تشعر المرأة بالتحدي من قبل الرجل، فإن نبرات صوتها تتغير وتصبح بشكل ينم عن عدم الثقة بالرجل ومن ثم عن رفضه.

هذا النوع من الرفض من قبل المرأة له آثار بالغة على الرجل، ويتألم له كثيراً، وتزيد حدة الألم عند الرجل إذا كان فعلاً يحب تلك المرأة.

لكي نتجنب الجدل ومشاكله علينا أن نتذكر أن الاعتراضات الحقيقية هي ليست لما يقوله الطرف الآخر فقط، بل للأسلوب الذي اختاره للقول. لا شك أن ما نقوله مهم، ولكن الأهم هو الأسلوب الذي نتبعه في القول.

ولا شك أن مسألة إحداث الجدل تتطلب وجود شخص واحد يمكنه أن يضع حداً لذلك الجدل، وأفضل طريقة لإيقاف ذلك الجدل هو عدم الخوض فيه. فعندما يرى الإنسان أن النقاش في طريقه إلى التحول إلى جدل فعليه وقتها التوقف وعدم الاستمرار في ذلك النقاش.

كيف نتجنب الجدل؟

هناك أربعة طرق أساسية، عادة ما يسلكها كل من الرجل والمرأة أثناء النقاش، وذلك لتحاشي الأذى الذي قد يصيب أحدهما أو كلاهما عند حدوث الجدل. وهذه الطرق الأربع هي: الشجار، الطيران، التصنع، الطي.

لنحاول إلقاء الضوء على هذه النقاط الأربع:

١- الشجار: غالباً ما يأتي هذا النوع من التصرف من قبل الرجال. فعندما يتحوّل النقاش من شكل وديّ وهادئ إلى حدة وتصلب في الموقف، نرى بعض الرجال يتقلّبون فجأة إلى موقف الهجوم وشعارهم وقتها هو «الهجوم الشرس هو أفضل وسيلة للدفاع» يبدؤون بإلقاء الملامة على المرأة وانتقادها ومحاولة إظهارها بمظهر المخطف والمقصّر. يبدأ الرجل بالصراخ،



ورفع الأصوات للتعبير عن غضبه، والهدف من وراء ذلك هو تخويف المرأة وبثّ روح الرعب عندها!

وعندما يلاحظ الرجال انسحاب المرأة وتقهقرها وتراجعها للخلف وتباطؤها أو توقفها عن الكلام، يظنون وقتها إنهم ربحوا الجولة.

إلا أنّ الحقيقة هي أن أسلوب التخويف عادة، يضعف الثقة في العلاقة بين الرجل والمرأة، وإذا تكرّر ذلك الأسلوب من قبل الرجل، فالنتيجة هي ليست إضعاف الثقة فحسب، بل إن ذلك يؤدّي بتلك الثقة إلى التلاشي.

وفي كلّ مرّة يحصل فيها شجار، فإن ذلك الشعور يتكرّر عند الاثنين، هجوم الرجل وإغلاق تفكيره ونسيانه حب المرأة، ورعايتها، يقابله انزواء المرأة ومحاولتها الدفاع عن نفسها. وبعد ذلك وبصورة تدريجية يتضاءل شعور الود، ويحل محله ابتعاد عاطفي بين الرجل والمرأة. وكلّما تكرّر الشجار كلما قلّ الاقتراب وزاد الابتعاد.

٢-الطيران: هذا الأسلوب غالباً ما يأتي أيضاً من جانب الرجل. فلكي يتجنّب الرجل المواجهة مع المرأة، يقوم بالتزام جانب الصمت وعدم الكلام؛ فعندما يلتزم الرجل جانب الصمت تقوم بعد ذلك المرأة بالتزام جانب الصمت ويرفض كل منهما الكلام إلى الآخر وتبقى المسألة معلقة. السكوت هنا محاولة تملّص الرجل وعدم مواجهته للواقع وذلك خوفاً منه في إشعال نار الحرب وتأزّم الموقف.

ما يحصل عند اتباع هذا الأسلوب هو تحقيق سلام وهدوء مؤقت وغير حقيقي. فالمشاكل التي لا تتم مناقشتها ولا يتم حلّها فإنها وبالتأكيد ستظهر آثارها وتؤثّر على العلاقة الزوجية وتضعفها. وبعد أن تضعف العلاقة بين الرجل والمرأة يحاول كل منهما إيجاد طريقة يتمكّن من خلالها التعايش مع المشاكل المؤلمة والمستعصية.

٣-التصنّع: هذا الأسلوب غالباً ما تتبعه المرأة، فلكي تجنّب المرأة نفسها الألم والمعاناة جراء ما يحصل من مشاكل وجدل تحاول التظاهر بأن كلّ شيء على ما يرام وليس هناك مشاكل أو منغصات.

ما يحصل بمرور الزمن هو تولّد شعور الضجر والملل عند المرأة، تشعر بأنها هي التي تعطي الرجل دائماً ما يريد وبالمقابل فإنها لا تحصل على ما تريد. وهذا الضجر يمنع المرأة من الحب والشعور به. لا تعود تشعر بالحب ولا تقدّمه، تصبح الحياة رتيبه ولا طعم لها. في حالة التصنّع سواء كان من قبل الرجل أو من قبل المرأة فإن كلاهما يخشى الإفصاح والتعامل مع شعوره الحقيقي، يود كل من الرجل والمرأة نسيان الواقع الأليم ويحاولان التظاهر بأن كلّ شيء على خير ما يرام، وإذا سُئل أحدهما عن الوضع الذي يعيشه فيكون ردّه (كل شيء على خير ما يرام).



وعندما تحاول المرأة تقديم نوع من التضحية، وتحاول التنكّر لاحتياجاتها الأساسية وعواطفها، وذلك خشية حصول مشاكل، هذا التصرف خطير، ويضرّ كثيراً بالمرأة وبصحتها النفسية والجسدية.

٤- **الطّي:** المقصود بالطّي هو الاستسلام، وهذا التصرف غالباً ما يكون من قبل المرأة، فبدلاً من الدخول في جدل قد يطول ويعرض، وقد يجرّ إلى مشاكل أكبر من المشكلة التي بينها وبين الرجل تقوم المرأة بالإستسلام. تستحمل المرأة تصرّفات الرجل وغلاظته وخشونته وتلتزم جانب الإستسلام وعدم المقاومة أو حتى الدفاع عن نفسها.

وما ينتج عن هذا التصرف الخطير الذي له مردود سلبي على المرأة نفسها وعلى العلاقة بينها وبين الرجل. فعلى المدى البعيد ستخسر المرأة نفسها وذاتها.

الواجب علينا أن لا نتهرّب من مواجهة الواقع، ولا نلجأ إلى مثل هذه الأساليب لمعالجة الموقف، علينا أن نتعرّف على المشكلة ونشخصها تشخيصاً سليماً ونعالجها. علينا أن نتعرّف على الأسلوب الصحيح للنقاش ونبعد عن الجدل والخصام، مثل التوقف الصحيح عن الكلام وذلك عندما نشعر أن النقاش في طريقه للتحوّل إلى جدل. التوقّف المعقول والذي يساعدنا على الهدوء والراحة والذي يمكننا من العودة للمناقشة بحالة نفسية أفضل من السابق، أملاً في الوصول إلى شاطئ السلام وإلى حل سليم يوافق رغبات الجميع ويحقق الفرحة لهم.

لماذا نتجادل؟^(١)

هناك أمور كثيرة تحدث بين الرجل والمرأة تدعو إلى النقاش وتنقلب بعد ذلك إلى الجدل. فغالباً ما يكون الجدل حول أمور تتعلق بالمال أو اتخاذ قرارات تخصّ العائلة أو مشاكل الأطفال أو مسؤوليات الأمور المنزلية أو حتى حياتهم الجنسية.

نقاشات الزوجين حول هذه المواضيع غالباً ما تنقلب إلى جدل مؤلم، وخصام، والسبب هو عدم شعور أحدهما بحب الطرف الآخر الكافي له أو لها. لذلك عندما تبدي الزوجة عدم إعجابها بأي عمل يقوم به الزوج، عندها يقوم الزوج بأخذ الموضوع بصورة شخصية، ويتصوّر أن ذلك النقد الموجه من الزوجة هو إليه شخصياً وليس لذات العمل الذي قام به، ويشعر بعدم حبّ الزوجة له.

عادة قد يبدو الرجل ظاهرياً وكأنه يجادل في مواضيع المال أو المسؤوليات العائلية أو ما شابه ذلك، إلا أن السبب الحقيقي الذي يجادل فيه الرجل والذي يدفعه إلى إشهار سيفه هو عدم شعوره بحب المرأة الكافي له في ذلك الوقت.

فجدل الرجل ظاهرياً يختلف عما يكنّه في داخله، وعن الأسباب التي دفعته إلى الجدل.

(١) النعيمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ٢٩٢ بتصرف.



فما السبب الخفي الذي يدفع الرجل إلى الجدل؟! وما أهدافه من ذلك؟ دعونا نسلط الضوء على بعض المواقف التي تثير الجدل بين الزوجين، والمشاعر التي تقف وراءها.

نأخذها من أفواه رجال ثائرين متأففين من وضعهم الزوجي:

- ١- لا يعجبني غضبها واستياؤها حول الأمور التافهة التي أقوم بها أو أهملها، أشعر وقتها بأنها تنتقدني وترفضني ولا تقبلني.
- ٢- لا تعجبني إرشاداتها ونصائحها لي حول كيفية التعامل مع الأشياء، أشعر بعدم إعجابها بي، وكذلك أشعر بأنها تعاملني كطفل صغير.
- ٣- لا تعجبني اتهاماتها ولا لومها لي على تعاستها وعدم سعادتها. فلا يشجعني ذلك على الشعور بأني فارس أحلامها.
- ٤- لا يعجبني تشكّيها من كثرة الأعمال التي تقوم بها، وتصوّرها عدم تقديري لها وللجهود الذي بذلته في إنجاز ذلك. ذلك يجعلني أشعر بعدم تقديرها لما أقوم أنا به من أعمال من أجلها.
- ٥- لا يعجبني توقّعها أن أقوم بعمل أشياء في أي وقت تطلب هي مني ذلك، أشعر بعدم احترامها وقبولها لي.
- ٦- لا يعجبني قلقها الدائم على الأمور التي أقوم بها، قلقها هذا يجعلني أشعر بأنها لا تثق بي ولا بقدراتي.
- ٧- لا تعجبني حساسيتها الزائدة عن الحد المعقول لما أقول. أشعر بعدم ثقتها بي وعدم فهمها إياي وإرغامني على الابتعاد عنها.
- ٨- لا يعجبني توقّعها إمكانيتي قراءة أفكارها. أنا لا أستطيع ذلك. أشعر بالخرج وعدم الكفاءة.

ما الحاجات التي تحدّ من جدل الرجل للمرأة؟

- ١- يحتاج الرجل إلى الشعور بأن المرأة تقبله على ما هو عليه. إلا أن ما يشعر به هو محاولة المرأة لتقويمه وإصلاحه.
- ٢- يحتاج الرجل إلى الشعور بأن المرأة معجبة به، إلا إن ما يشعر به هو خذل المرأة له.
- ٣- يحتاج الرجل إلى شعور التشجيع، إلا أن ما يشعر به هو الإحباط والاستسلام.
- ٤- يحتاج الرجل إلى شعوره بتقدير المرأة لما يقدّمه لها. إلا أن ما يشعر به هو عدم تقديرها



- لجهوده وكذلك لومها له وعدم اعترافها بالجميل . وكذلك يشعر بالضعف وقلة الحيلة .
- ٥- يحتاج الرجل إلى شعور ثقة المرأة به وبتقديرها لمساهماته في توفير الحماية لها .
- ٦- يحتاج الرجل إلى أن يشعر بقبول المرأة له على الوضع الذي هو عليه . إلا إن ما يشعر به الرجل هو سيطرة المرأة عليه وإجباره على الكلام أو القيام ببعض الأمور، يشعر بعدم قناعتها به .
- ٧- يحتاج الرجل إلى تقبل المرأة له وإلى ثقتها به . إلا أن ما يشعر به هو رفضها له وعدم مساحته .
- ٨- يحتاج الرجل إلى أن يشعر بتأييد المرأة له وقبولها به، إلا أن ما يشعر به هو كونه إنسان فاشل .
- ما يساعد الرجل على الابتعاد عن الخوض في مجادلات طويلة وعريضة ومؤذية، هو شعوره بنيل الاحتياجات العاطفية الأساسية والاستمتاع بها فعندما يشعر الرجل بحصوله على ذلك فإنه عندها يكون مستعداً للاستماع للمرأة، والتحدث إليها بأسلوب ودّي لطيف، ويبدى تفهماً واهتماماً ورعاية خاصة للمرأة .
- ومثلما يساهم الرجل في تصعيد وتأزيم الموقف، فالمرأة تساهم أيضاً في تكبير حجم المشكلة وتطویر الموقف وإيصاله إلى الخصام والشجار، بعدما كان عبارة عن نقاش هادىء . إلا أن الأسباب التي تدفع المرأة إلى القيام بذلك تختلف عن الأسباب عند الرجل .

تري ما الأسباب التي تدفع المرأة إلى إثارة الجدل ؟ وما أهدافها من ذلك؟

- نأخذ المواقف والمشاعر من أفواه نساء ثائرات عاجزات عن التفاهم مع رجالهن:
- ١- لا يعجبني تقليله من أهمية مشاعري ومتطلباتي، أشعر بأني غير مهمّة في حياته .
- ٢- لا يعجبني نسيانه أشياء طلبتها منه في السابق، وعندما أكرّر طلبتي أشعر وكأنني أستجدي وأستعطفه مساعدتي .
- ٣- لا يعجبني ملامته لي على تعاستي وسوء حالتي النفسية . أشعر وكأن من واجبي أن أكون كاملة مكتملة كي أستحق منه الحب، وأنا لست كذلك .
- ٤- لا يعجبني صوته المرتفع وصراخه وذكره لقائمة طويلة وعريضة لأسباب تؤكد أنه على حقّ . يشعرني وكأنني دائماً على خطأ وأنه لا يهتم بوجهة نظري بصورة عامة .
- ٥- لا يعجبني تزمته وصلابة موقفه، وذلك عندما أسأله بعض الأسئلة التي تتعلق بقرارات مهمة يجب عليه البتّ فيها . أشعر وكأنني عبء ثقيل عليه أو أنني أحاول إضاعة وقته .
- ٦- لا يعجبني سكوته وعدم إجابته على أسئلتني أو ملاحظاتي، أشعر وكأنني غير موجودة .



- ٧- لا تعجبني تبريراته بعدم إعطائي الحق في التعبير عن حقيقة شعوري السلبي مثل التألم أو الغضب أو القلق. أشعر بعدم مساعدته لي وأن حقّي مهضوم.
- ٨- لا يعجبني طلبه مني الابتعاد المستمر عنه. أشعر أن شعور الحب الذي عندي هو دلالة على ضعفي.

إلامَ نحتاج المرأة كي تكفّ عن الجدل وتستقر^(١)؟

- ١- نحتاج المرأة إلى الشعور بأن لها الحقّ في التعبير عن مشاعرها، وأن لها معزّة وكرامة ومكانة في حياة الرجل؛ إلا أن ما تشعر به هو تجاهل الرجل لها.
- ٢- نحتاج المرأة إلى أن تشعر بأن الرجل يحترمها وأنه دائم التفكير بها. إلا أن ما تشعر به هو إهمال الرجل لها، وأنها آخر من يأتي في قائمته.
- ٣- نحتاج المرأة إلى تفهم الرجل لتعاستها وتأكيد حبه إياها.
- ٤- نحتاج المرأة إلى تفهم واحترام الرجل لها. إلا أن ما تشعر به هو إهمال الرجل لها وعدم الاستماع لما تقول.
- ٥- نحتاج المرأة إلى أن تشعر باهتمام الرجل بها واحترام احتياجاتها لطلب المعلومات.
- ٦- نحتاج المرأة إلى أن تشعر باهتمام الرجل بها وسماعه لها عند تكلمها إلا أن ما تشعر به هو إهمال الرجل لها وتجاهله إياها.
- ٧- نحتاج المرأة إلى الشعور بأحقيّتها في التعبير عن شعورها السلبي وتفهم الرجل لشعورها هذا.
- ٨- نحتاج المرأة إلى الشعور بأنها محترمة، ولها معزّة ومودّة عند الرجل وخصوصاً عندما تحاول مشاركة مشاعرها معه.
- ما يحتاج إليه كل من الرجل والمرأة هو أن يتفهّم بعضهما البعض ويتعامل مع الأمور جميعاً، وبالذات الحساسية منها بصورة سريعة وعدم تأجيلها. على كل منهما أن يتعامل مع المشكلة وذلك عن طريق طرحها ونقاشها بصورة موضوعية مراعيّاً شعور الطرف الآخر.
- وإذا تمّ ذلك فعندها يمكن قلب الجدل والخصام إلى نقاش هادئ خال من إثارة الأعصاب وفوران الدم وبعيداً عن المشاكل. وعندها يمكن حل كل الأمور والمشاكل بشكل ودي يرضي الطرفين ويبعدهما عن شبح تعقيد الأمور.

(١) النعيمي، طارق، سايكولوجية المرأة والرجل، ص ٢٩٦.



كيف وبغفويه يبدأ الرجل الجدل^(١):

أكثر الطرق شيوعاً والتي يقوم من خلالها الرجل بتصعيد الموقف وإثارة الجدل هي عدم أكثرائه بمشاعر المرأة أو بوجهة نظرها. فقد يقول الرجل للمرأة التي تواجه مشكلة ما وتكون وقتها قلقة وفي حالة نفسيه سيئه (اه لا تهتمي لذلك) . هذه العبارة يمكن للرجل قولها لرجل اخر يمر بمثل تلك الظروف، ويكون لها تأثير ايجابي لما فيها من دلالة على الصداقة والاستعداد لتقديم المساعدة، لكن هذا الكلام بالنسبة للمرأة معناه عدم اهتمام الرجل بمشاعر المرأة (ليس لك حق القلق) وطبعاً فإن المرأة عند ذلك تتألم أكثر وتغضب.

وقد يحاول الرجل التخفيف من حدة الموقف على المرأة فيقول: (انها ليست مشكلة عويصة) وبعد ذلك يقوم بطرح الحلول العلميه للتغلب على المشكلة، وبعدها يتوقع الرجل هدوء المرأة ومن ثم شعورها بالسعادة! يا سبحان الله على سوء الفهم المنبثق من الاختلاف السايكولوجي . فعندما يقوم الرجل بعمل ما، لا يعجب المرأة، فان المرأة تنزعج لذلك وتبدأ بالكلام والغضب وهنا يحاول الرجل وبسليقته تطيب خاطر المرأة وتهديتها وذلك بشرح ما قام به وبعد ذلك يحاول إفهام المرأة أن لا داعي لغضبها.

هنا تشعر المرأة بأن الرجل يحاول سلب حقها في التعبير عن شعورها السلبي وعن إبداء غضبها، فعندما يقوم الرجل بالشرح والتعليل ومحاولة تبريره للقيام بذلك العمل فإن الرسالة الوحيدة التي تستلمها المرأة في ذلك الوقت هي أن الرجل لا يهتم بمشاعرها.

كي تتمكن المرأة من التزام جانب الهدوء والاستماع إلى شرح الرجل فهي وقبل كل شيء، تحتاج من الرجل أن يسمعها أولاً، ويفهم وجهة نظرها والأسباب القوية التي أدت إلى غضبها.

إذاً، ما يجدر بالرجل فعله هو تأجيل خوضه في التبرير والتعليل، عليه أولاً الاستماع للمرأة وما تقول، فهذا الاستماع يساعد المرأة كثيراً على التنفيس عن خاطرها وبعد ذلك تكون مستعدة للاستماع إليه وإلى ما يودّ قوله من تبريرات وتحليلات.

كيف وبغفوية تبدأ المرأة الجدل؟

أكثر الطرق التي تقوم المرأة من خلالها بإغضاب الرجل وإثارة الجدل، هي (عدم المباشرة) أو (عدم الوضوح) وذلك عند تبادلها الحديث مع الرجل. فبدلاً من أن تعبر المرأة عن غضبها أو كرهها أو خيبة أملها بصورة مباشرة وصریحة، تقوم أسئلة تعنيفية، وبدراية أو بدون دراية ترسل المرأة إلى الرجل رسالة مفادها عدم تأييدها له ولكلامه.

(١) النعيمي، طارق كمال النعيمي، سايكولوجية الرجل والمرأة، ص ٣٠٢-٣١٩ بصرف.



حتى لو أن المرأة لم تقصد إرسال مثل تلك الرسالة، إلا أن ما يفهمه الرجل هو تلك الرسالة. عندما يسمع الرجل سؤال (استجواب) المرأة له (كيف يمكن لك أن تتأخر؟) أو (لم لم تخبرني بأنك ستتأخر) فالرجل في هذه الحالة لا يسمع مشاعر المرأة ولا يفهمها، بل ما يسمعه هو عدم رضاها وانزعاجها لذلك التأخير. يسمع رغبتها التطفلية التي لا مبرر لها في مساعدته على أن يصبح أكثر تحملاً للمسؤولية، يشعر بهجوم المرأة عليه وعندها يلتزم جانب الدفاع. أما بالنسبة للمرأة فلا علم لها بما يحصل للرجل داخلياً، لا تعلم في هذه اللحظة مدى الألم الذي تسببه للرجل نتيجة تصرفها هذا.

ومثلما تحتاج المرأة إلى اعتراف الرجل بأحقيتها في التعبير عن مشاعرها الإيجابية والسلبية، كذلك يحتاج الرجل إلى تأييد المرأة له. والقاعدة تقول: كلما زاد حب الرجل وتعلقه بالمرأة كلما زادت حاجته إلى تأييد تلك المرأة له.

ولكي يشعر الرجل بحب المرأة فإنه يحتاج أولاً إلى أن يشعر بأن المرأة تؤيده حتى لو كان لديها اعتراضات على بعض تصرفاته.

ومن الأساليب الشائعة التي تستخدمها المرأة عندما يسيء الرجل التصرف، تقوم باستجوابه ويكون ذلك الاستجواب مصحوباً بنبرة صوت تدل على عدم التأييد. تتبّع المرأة هذا الأسلوب ظناً منها أن ذلك سيلقن الرجل درساً لن ينساه، أملاً في أن لا يكرّر الرجل ذلك التصرف. ظن المرأة هذا خاطئ وبعيد عن الواقع فما ينتج عن أسلوب المرأة هذا هو بث الرعب والصّجر والملل في قلب الرجل. وبصورة تدريجية يفقد عواطفه تجاهها، ويفقد رغبته فيها. والنتيجة هنا عكسية وليست إيجابية. لذا يجدر بالمرأة الابتعاد عن مثل هذا الأسلوب، فالزجر والنهي والأسلوب الفصّ لا ينفع مع الرجل ولا يدرّ بأية فائدة على المرأة أو على العلاقة بينهما.

هناك نقطتان حسّاستان تعتبران منبعاً للجدل، هما:

- ١- عندما يشعر الرجل عدم تأييد المرأة لوجهة نظره.
- ٢- عندما تشعر المرأة بأن أسلوب الرجل في الكلام إليها لا ينم عن الاحترام، فتسحب تأييدها له.

مناقشة الخلافات بهدوء وبدون جدل:

تعتبر مناقشة الخلافات بين الرجل والمرأة مهمة شاقة جداً، خصوصاً إذا تمت بدون خبرة ودراية. والمشكلة أننا لم نتمكن تعلم فنّ النقاش بينهما، إذ سرعان ما يتطور النقاش إلى جدل وخصام وهذا ما تعلموه من والديهما وجبلوا عليه وجعلوه نهجاً في حياتهما (الحديث بصوت مرتفع ونبرة قوية تدل على الرفض).



لكن عندما يتعلّم الرجل أسلوب إعطاء المرأة الحق في التعبير عن مشاعرها، وعندما تتعلّم المرأة أسلوب تأييد الرجل، عندها لن يكون هناك أي داع للجدل والخصام. نعم فالبدليل للجدل والخصام سيكون النقاش الهادئ الموضوعي.

تقديم المساعدة في الأوقات الصعبة:

تتخلّل أي علاقة زوجية أوقات سعيدة وأوقات صعبة. وأكثر الأمور أهمية بالنسبة للرجل والمرأة في مثل هذه المواقف الصعبة هو التحدث إلى بعض بأسلوب الحب والعاطفة والتأييد والرعاية.

كما أننا نحتاج إلى أن نفهم نقطة مهمة جداً ألا وهي أن كلاً من الرجل والمرأة بعيدان كل البعد عن صفة الكمال، فالكمال لله تعالى وحده.

إذا تعلّمنا طريقة المحادثة السليمة أثناء المشاكل البسيطة فإنه يصبح من الممكن لنا أن نتعلّم كيفية التحدث إلى بعضنا البعض عند الكوارث والملمات.

قد يكون اتباع الأسلوب الجيد أثناء المحادثة والتعود عليه بين الرجل والمرأة صعباً في البداية، إلا أنه من خلال التمرين والممارسة يصبح سهلاً. وتكثر سهولته كلما أطلنا فترة التمرين وبعد فترة من الزمن يصبح ذلك الأسلوب الجديد طابعنا العام في التعامل وننسى الأسلوب القديم. فلنحاول أن نبدأ في التنفيذ وبنية صادقة، وأن نأخذ الموضوع بكل جدية ونحاول مساعدة بعضنا البعض. وكما يقال (مسافة الميل تبدأ بخطوة واحدة).

الحوار الودّي يجنبنا الجدل والخصام:

إذا تمكنا معرفة احتياج الطرف الآخر وقمنا بتوفير ذلك الاحتياج أو الاحتياجات فإننا نتمكن من تجنّب الجدل والخصام والابتعاد عنه.

فلنطرح مثلاً^(١) من عالم الواقع لعلنا نجد وسيلة للتقارب والتفاهم عن طريق الحوار لا الجدل. ترى ماذا يقول الزوج إذا قالت الزوجة: «إنني أشعر بالوحدة والملل في بعض الأوقات؟» «فقد يقول مثلاً: «إنه ليس ذنبي» أو «أنا أستغرب أن تقولي أنك تعشرين بالملل» أو «ماذا تتوقعين مني أن أعمل؟ إنني طوال النهار في عملي».

يمكن للإنسان أن يفهم طبيعة مثل هذه الإجابات الدفاعية، إلا أنها لن تفيد شيئاً، ولن تخفّف من مشاعر الوحدة والملل عند الزوجة، وستشعرها قطعاً بأن الزوج لم يستمع إليها، أو لم يفهم عليها.

(١) مبيض، مأمون، التفاهم في الحياة الزوجية، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق، وعمان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، طبعة أولى، من ص ١٢٤ - ٢٢٩. بتصرف.

لقد وجد الباحثون الاجتماعيون أن من أكثر العبارات فائدة عند تطبيق « الاستماع مع التأكد من الفهم » أن يقول السامع أو (الزوج) عبارات من مثل: « هل يمكن أن تشرحي هذا أكثر حتى تعينني على الفهم؟ » أو « هل عندك شيء آخر حول هذا الأمر؟ » فإن هذه العبارات تؤكد أن فرصة الحديث ما زالت للمتحدث الأول، وتشجعه على المزيد من التعبير عما في نفسه، وبذلك يستطيع المستمع أن يشعر بحقيقة المشاعر التي يحاول المتكلم التعبير عنها، ولا يعود يقف عند مجرد الكلمات.

إن من الأمور العظيمة في التعامل البشري أن يشعر الإنسان بأن أمامه الفرصة للتعبير عما في نفسه. وبأن هناك من يستمع إليه.

وبعد أن يتحدث أحد الطرفين في أربع أو خمس أفكار، وبعد أن يعيد الآخر هذه الأفكار بأسلوب المرأة، فعندها يُفتح المجال للطرف الآخر ليستمع للحديث، بينما يستمع الطرف الأول ويحاول أن يعكس الأفكار التي يسمعا ليتأكد من فهمها. ويمكن للطرفين تبادل فرصة الحديث هذه عدة مرات بينهما حتى يشعر كل منهما أنه قد عبّر عما في نفسه، وأن كل طرف قد استمع للآخر.

إن أسلوب الحوار من خلال الاستماع والتأكد من الفهم، أو طريقة المرأة، ليس من الأمور الطبيعية التي يستعملها الإنسان وبشكل عفوي، وإنما هو أسلوب يحتاج لبعض التعلم والتدريب والممارسة، إذ ليس هناك من معلم أفضل من الممارسة والتطبيق. ولن يقتنع الإنسان بالتأثير القوي لهذا الأسلوب إلا عندما يتقنه ويطبقه. ويدرك بشكل مباشر وشخصي نتائجه الأكيدة.

عندما يفهم الرجل زوجته، وتفهم المرأة زوجها، ويدرك الإثنان طبيعة الفارق بينهما ويحافظان على احترامهما وتقديرهما لبعضهما رغم هذه الفوارق، فعندها يعود الواحد منهما ليشعر بالأمن والراحة في صحبة الآخر، ولا يعود يشعر بالحاجة لتجنبه وعدم الحديث معه، وبدل اختلاط صورتها كزوجين « لا فروق بينهما » يصبح كل منهما يشعر بشخصيته وميزاته الخاصة، مع المحافظة على الرابط الزوجي المتين، وتنشأ بينهما حالة من الثقة والمصارحة والحرية.

إن أهم قاعدة في العلاقة الزوجية السعيدة هي أن يتعلم الزوجان قاعدتين:

- ١- الاستماع من غير الدفاع عن الذات أو المقاطعة.
- ٢- الحديث الإيجابي إيماناً بشخصية الآخر واعترافاً به.

الحديث الإيجابي:

عرفنا المبدأ الأول لنجاح الخطاب والحوار، وهو كيف نستمع ونتأكد من الفهم، والمبدأ الثاني



للحوار، هو كيف نتكلم.

إذا كانت هناك مشكلة أو صعوبة ما فلا بد من الحديث عنها، وإلا فسينشأ سوء فهم أو شعور بالغيظ والانزعاج. ولكن علينا أيضاً أن نعرف كيف نتحدث عن مشاعرنا السلبية بطريقة ما، ومن دون أن نزيد المشكلة أو الانزعاج.

وليس هذا من الأمور السهلة، وخاصة أنه قد تبين أن من أهم الأمور التي تسيء إلى العلاقة بين الزوجين:

١- عدم رغبة الرجل أن يتأثر بالمرأة.

٢- فعندما تتحدث المرأة عن موضوع ما فإن أسلوبها قد يُحدث التوتر.

لننظر إلى الخلاف التالي الذي جرى بين حنان وزوجها سمير عندما دخل إلى المنزل في حالة غضب:

سمير: أرجو أن لا تقولي شيئاً، فقد كان يومي طويلاً ومتعباً.

حنان: وأنا أيضاً كان يومي طويلاً ومتعباً. حتى أن الأولاد ...

سمير: لقد قلت أن لا تتكلمي معي بشيء. هل أنت طرشاء؟ إنك لا تستمعين إليّ أبداً!

حنان: لست أنت فقط المتعب. فلا تصبّ كل غضبك وتعبك عليّ.

سمير: إنك معدومة الإحساس. أقول متعب، وأنت تزيدين الكلام.

حنان (رافعة صوتها بغضب): إنك لا تعرف مشكلتك. إنك دوماً تفكر بنفسك فقط، ولا تهتم بالآخرين.

سمير (صارخاً): هكذا إذا! إنك لا تعرفين إلا لومي وعتابي على الدوام، وكأنني أنا المخطئ دوماً!

(صمت لمدة نصف دقيقة)

سمير: يا حنان، هذا أمر محزن... إنني حزين لما يدور بيننا. (صمت قصير) إنني لا أريد أن أكون هكذا. أتمنى لو أننا نتحدث في المساء عما يجري بيننا.

حنان: وأنا متعبة الآن، إلا أننا نحتاج للجلوس والحديث معاً.

سمير: حسناً، فمتى يمكن أن نجلس ونتكلم...؟

ما هو الخطأ في هذا الحوار؟

زوجان كل منهما يجب الآخر ويعطف عليه، إلا أن كلاهما كان في حالة تعب وإعياء بسبب



الضغوطات الكثيرة التي يعاني منها أكثرنا في هذه الأيام. ونلاحظ كيف بدأ الحديث واشتد بسرعة كبيرة في هذا الموقف الحساس. وقد انجرف كل من سمير وحنان إلى الصراع لأن كلاهما سمح لعاطفته ومشاعره بالسيطرة على كيفية حديثه مع الآخر. وواضح أن حديث كل منهما كان سلبياً وهجومياً، ومن حسن التقدير أن سميراً قد أدرك ما يجري، وأنقذ الموقف بأن تحدث بشكل إيجابي، وطالب بتحديد موعد للجلوس والحديث. إنه من السهل أن ينجرف الإنسان إلى عادة الكلام بطريقة ردة الفعل السلبية، العديمة من الصبر واللفظ والوخيمة، والنتائج على الاثنين.

يتوقف الحديث السلبي على: نوعية الكلمات التي نستعملها، كالصراخ بغضب، والتهكم والاستهزاء بالآخر، والشتم واللعن. وعبارات كمثل: «أنت أحمق، ولا تفهم» أو «إنك دوماً تتذمرين وتشتكين»، أو استعمال كلمات لا تساعد أبداً على الحل مثل كلمات التعميم والإطلاق «دوماً» أو «على طول».

وربما كان الأثر الأكثر ضرراً في نتائج الحديث هو طريقة تفسير كل طرف لكلام الآخر وتصرفاته، فكل منهما يصدر أحكاماً على الآخر. ويلومه بسبب المشاعر التي أحس بها، فيبدأ بالهجوم مستعملاً عبارات «أنت، وانك». ونلاحظ أن في الحوار السابق عدداً من عبارات «أنت وانك»... مثلاً «أنت طرشاء»، «انك لا تسمعيني أبداً»، «انك دوماً تفكر بنفسك فقط»، «إنك لا تعرفين الا لومي»...

وسنرى في هذا الفصل كيف أنه من المفيد جدا للحديث الايجابي، أن نستعمل ضمير المتحدث (المتكلم) «أنا» أو «إني» بدل ضمير المخاطب «أنت» و «إنك».

تخصيص وقت للكلام :

ربما كان الفرق الاساسي والجوهري أن سميراً وحنان قد اتفقنا على الجلوس والحديث. لقد استطاعا ايقاف سير الحوار المخرب، واتفقا للعودة للحديث والاستمتاع بالشكل البناء. ولا شك أن هذا الأمر يحتاج لبذل الجهد والالتزام، والذي لا بد منه لسلامة العلاقة الزوجية الحميمة.

وتشير بعض الدراسات الى أن المواضيع التي يتجنب الأزواج الحديث فيها، والتي تعتبر مواضيع ممنوع الحديث فيها، هي من أهم مناطق سوء التفاهم بين الزوجين.

والميزة الكبيرة لمهارات الاستمتاع والفهم، والكلام الإيجابي أنها تجعل التعرض لهذه المواضيع أمراً مأموناً وسليماً لكلا الزوجين. وتساعد مهارات الاستمتاع والفهم، والكلام الإيجابي الإنسان الذي اعتاد تجنب الكلام واخفاء المواضيع وجها لوجه، تساعده على مقاومة الرغبة الشديدة في اخفاء مزيد من المواضيع والمشاعر السلبية التي اعتاد تجنبها، وتشجيعه على



المواجهة لهذه المواضيع بوعي وصدق يؤدي إلى حلها، أو إلى إيجاد حلول تمنع الوقوع فيها مرة أخرى.

الكلام اللطيف والودود:

الأمر الأهم في الخطاب اللطيف هو استعمال عبارات «أنا» بدلاً من اللوم للآخر . ونلاحظ مثل هذا النوع من الخطاب في القرآن، عندما نلاحظ الفرق بين كلام إبليس:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(١)، أي أنت السبب.

وبين كلام آدم الذي فيه تحمّل للمسؤولية الذاتية ﴿ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَعْفُرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٢).

ففي هذا النوع من الخطاب، يتكلّم كل طرف عن نفسه موضحاً كيف يشعر وماذا يحتاج فكّم هو الفرق كبير بين عبارة من مثل «لقد كنت دوماً أتطلع إلى عودتك إلى المنزل في المساء لأراك وأتحدث معك» وعبارة سلبية من مثل: «إنك لا تهتم أبداً بالاستماع إليّ عندما نلتقي في المساء!» إن الحديث بضمير «أنا» أكثر تأثيراً وفعالية من الحديث بضمير «أنت» وعبارة «أنا» تخفف من حدة ما تريد أن تقوله. فلتحاول أن تقارن بين العبارتين التاليتين.

الأولى: «إنك لا تبالي بحالة المنزل!» حيث يفهمها السامع على شكل «إنك تتهمني بالتقصير». والعبارة الثانية: «إني أشعر بالوحدة عند القيام بأعمال المنزل، ولا أستطيع التعبير عن مشاعر خيبة الأمل التي أحسّ بها».

عندما يتحدث الزوجان بطريقة ذاتية «أنا» . وعندما يضمّنا كلامهما معان إيجابية، فإن تحسن علاقتهما يكون في العادة فجائياً وكبيراً.

وليس من السهل أن يبدأ بالحديث بالضمير الذاتي «أنا» فهذا يتوقّف على قرار أن يبدأ الإنسان بتحمل المسؤولية عن مشاعره وحاجاته.

وبأن يكون لطيفاً في التعبير عن نفسه. ويحتاج هذا إلى اكتساب مهارة خاصة في القدرة على الحديث عن الذات.

إن هناك ثلاث كلمات هامة في اكتساب مهارات الاستماع والكلام، وهي المشاعر والحاجات والرغبات. فهذه الكلمات البسيطة الثلاث «أنا أشعر...»، «أنا أحتاج...»، و «أنا أرغب...». تعبر عما نحتاج جميعاً أن نقله للآخرين للتعبير عن أنفسنا وما نحتاجه من الآخرين لمساعدتنا.

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.



ونقول على سبيل المثال:

- «إنني أشعر في الفترة الأخيرة بكثير من الضغط والتعب».
 - «وأحسّ بأنني أحتاج لبعض الراحة».
 - «وأرغب أن تفهم ماذا يعني هذا بالنسبة لي، وربما تستطيع مساعدتي بالبحث عن طريقة للحصول على تلك الراحة».
- والأمر المهم أن يتكلم الإنسان بعبارات ذاتية، ويتحدث عن نفسه باختصار ودون إطالة. جدول الكلام المناسب وغير المناسب^(١)

الكلام المناسب والذي يبدي الاحترام الشخصي	الكلام غير المناسب والذي لا يبدي الاحترام
<p>١- ضمير «أنا»:</p> <p>تكلم بضمير «أنا» للتعبير عما تشعر أو تحتاج أو تريد «أفضل أن... أنزعج من... سررت عندما... أحتاج وقتاً للتفكير...»</p> <p>٢- خصص وقتاً للحديث:</p> <p>الأفضل تحديد وقت للجلوس والحديث عن المشكلات، وحاول أن تركز على نفس الموضوع، وليستمع كل طرف للآخر، ويجاوب كل طرف تلبية حاجات الآخر.</p>	<p>١- ضمير «أنت»:</p> <p>يستعمل الزوجان «أنت» بدل «أنا» للانتقاد، أو لكشف عيوب الآخر. «أنت لا تفهم... أنت تغضبني... إنك مثل...»</p> <p>٢- الاتهام والهجوم:</p> <p>لعلك تعلم من التجارب السابقة أن النقد أو التذكير أو التوبيخ في نفس وقت العمل لا يفيد، ولا يشجع على التغيير.</p>
<p>٣- الانفتاح:</p> <p>قل ماذا يزعجك، وماذا تريد أو تحب، بدلاً من أن تتوقع أن زوجك يعرف ما تريد. وكرّر ذكر هذا الأمر حتى تشعر أنه فهم ما تريد قوله.</p>	<p>٣- الصمت:</p> <p>قد ترتاح بأن تكون ضحية صامتة أو رافضة للكلام، إلا أن هذا لا يساعد الموقف أبداً، ولا يفيدك كذلك إخفاء غضبك لتحقيق الانسجام، أو الموافقة لمجرد الرغبة «بالسلامة».</p>

(١) مبيض، د. مؤمن، التفاهم في الحياة الزوجية، ص ١٥٠.



الكلام المناسب والذي يبدي الاحترام الشخطي	الكلام غير المناسب والذي لا يبدي الاحترام
<p>٤- المرأة:</p> <p>انفقا في حالة التوتر على تطبيق المرأة في الكلام والاستماع، بحيث يلخص كل طرف كلام الآخر. وتأكد من صحة فهم ما سمعت، ولا تظن أن هذا تصنعاً، عندما تتفقا عليه.</p>	<p>٤- المقاطعة:</p> <p>وخاصة عندما تحاول قراءة أفكار الطرف الآخر، أو تحليل كلامه، أو الجدل، أو إبداء النصائح، أو طرح الأسئلة لتغيير الموضوع.</p>
<p>٥- محاولة الفهم:</p> <p>إذا زادت شدة التوتر كثيراً، فحاولا «الوقت المستقطع» لتهدئة الأمور، ويمكنك العودة بقول: «أريد أن أفهم ما تريد قوله». ومن ثم استعمل المرأة لتعكس ما سمعته.</p>	<p>٥- شجار غير عادل:</p> <p>كالسخرية والاستهزاء، أو التنازب بالألقاب، أو الصراخ الغاضب، أو استعمال كلمات «دوماً، وعلى طول، أبداً لا...» فهذا الخطاب يضعف ويمكن أن يحطّم العلاقة الزوجية.</p>

جدول طرق التعامل مع المشكلات والتوترات^(١)

يستعمل معظم الناس في تعاملهم مع المشكلات إما الهجوم أو الفرار. ما هي يا ترى الطريقة التي تستعملها أنت في تعاملك مع الصعوبات مع زوجك؟ (١) في بداية المشكلة. و(٢) عندما تتضخم.

البصيرة والفهم	الصراع أو الهجوم	الانسحاب أو الفرار	الأسلوب
<p>أنا مستعد للتعلم واكتساب الخبرة الجديدة وأعرف أنه لا بد من الصعوبات في الحياة، وأنها أمر طبيعي. إني أعرض وجهة نظري ولكنني أرغب أيضاً في سماع الرأي الآخر. أحاول التأكد من أنني أعرف ما يهمني وما يهيم الطرف الآخر. إننا نبحث معاً في كيفية الاتفاق على حل يرضينا معاً، ومن ثم نسعى لتطبيق هذا الحل المتفق عليه. إننا نتعاون مع بعضنا.</p>	<p>إنني في الغالب حازم وعندني شعور بأنني دوماً على حق، والآخر على خطأ. وأحاول دوماً أن أفرض رأيي وطريقتي على الآخر. وقد أستعين ببعض الضغوط. عندي رغبة قوية في أن تسير الأمور على طريقتي الخاصة.</p>	<p>إنني أكره الصعوبات والأزمات، ولذلك أجنبها. ويمكنني أن أقول أنه لا توجد بيننا اختلافات. أحياناً أحاول أن أشغل نفسي بعمل ما كي لا نتكلم في الموضوع. إني دوماً أتخلى عن رأيي من أجل موافقة الآخر على رأيه. إنني أخفي مشاعري ولا أروح بها كي لا أحدث مشكلة. أفكر أحياناً بأن أفضل حل هو إنهاء هذا الزواج.</p>	<p>وصف السلوك</p>

(١) مبيض، د. مؤمن، التفاهم في الحياة الزوجية، ص ١٩٣.

البصيرة والفهم	الصراع أو الهجوم	الانسحاب أو الفرار	الأسلوب
لنحاول أن نبحث عن حل ...	إنه هو صاحب المشكلة، ولامشكلة عندي شخصياً	دوماً ما يريده الآخر أو «لا أريد أن أعرف»	شعار هذا الأسلوب.
كلانا يفوز ويوفق.	أنا أفوز، وهو يخسر. ولكن هل أنا حقيقة أفوز إذا خسر هو؟	أنا أخسر، وهو يفوز أو كلانا نخسر.	النتيجة

الأسباب الخفية للجدل عند المرأة^(١)

ماذا على الزوج أن يفعل ليمنع الجدل	الأسباب الخفية لجدل المرأة
١- بدل الحكم عليها أو تجاهلها، أن يشعرها بقيمتها وصدق مشاعره ونحوها.	١- أن زوجها يقلل من أهمية مشاعرها.
٢- بدل الامتهان والإهمال، أن يشعرها بالاحترام وأنها هامة بالنسبة إليه.	٢- أنه لا يعيرها اهتماماً وعليها أن تطلب منه دوماً أن يقوم بالأعمال.
٣- أن يحاول فهمها حقيقة، ويطمئنها أنه يحبها بالرغم من أنه لا يوجد إنسان كامل.	٣- عندما ينتقدها، تشعر بأنه يريد لها أن تكون كاملة.
٤- أن يشعرها بالفهم والاستماع إليها بدل التصغير والامتهان.	٤- عندما يرفع صوته، يبرهن لها أنه على حق وهي المخطئة.
٥- أن يشعرها بالاحترام والتقدير لمشاعرها وأفكارها بدل عدم الاحترام أو التقدير.	٥- عندما يستصغرها ويعاملها بترفع، تشعر أنها تضيّع له وقته.
٦- أن يطمئنها بأن يستمع إليها ويهتم بها، بدل الإهمال.	٦- عندما لا يستجيب لطلباتها تشعر كأنها غير موجودة.
٧- أن يقرّها على مشاعرها، ويظهر أنه يتفهمها.	٧- عندما يبرهن لها أنه كان عليها ألا تنزعج أو تتألم، فتشعر بعدم دعمه لها.

(١) مبيض، د. مؤمن، التفاهم في الحياة الزوجية، ص ١٩٩.



الأسباب الخفية لجدل الرجل^(١)

ماذا على المرأة أن تفعل لتتجنب الجدل	الأسباب الخفية لجدل الرجل
١- يحتاج للشعور بقبولها له كما هو، بدل أن تشعره بأنها تسعى لتحسينه.	١- عندما تنزعج المرأة لأمر صغير، يراها تافهة، أو عندما تنتقده على أعماله.
٢- أن تشعره بالإعجاب والتقدير بدل الامتئان.	٢- عندما تحاول أن تقول له ماذا عليه أن يفعل أو لا يفعل، أو عندما يشعر كأنه غير مقدر.
٣- عليها أن تشجعه بدل أن تجعله يشعر باليأس والإحباط.	٣- عندما تلومه على عدم سعادتها، ويشعر بأنه لم يعد فارس أحلامها.
٤- عليها أن تشعره بالتقدير لما يبذله لها، بدل اللوم والعتاب.	٤- عندما تشتكي من عدم سعادتها في الحياة أو مما عليها من الأعمال والمسؤوليات، وكأنها لا تقدر ما يقدمه لها.
٥- عليها أن تشعره بالثقة به، وأنها تقدر جهوده من أجلها، بدل أن يشعر بأنه سبب عدم سعادتها.	٥- عندما تقلق على كل أمر يمكن أن يحدث، حيث يشعر وكأنها لا تثق به.
٦- يحتاج للشعور بقبولها له كما هو، بدل أن يشعر بأنها تسيطر عليه، أو تضغط عليه لكي يتكلم فهو يشعر بأنه غير قادر على إرضائها أبداً.	٦- عندما تطلب منه الكلام أو القيام بالأعمال في وقت لا يرغب هو فيه القيام بهذه الأمور، فيشعر بعدم احترامها له.
٧- يحتاج للشعور بالثقة والقبول، بدل الرفض والكرهية.	٧- عندما تنزعج منه بسبب أمر قاله أو فعله، فيشعر بأنها لم تفهمه، أو أنها لا تثق به.
٨- يحتاج للشعور برضاها عنه وقبولها له، بدل أن يشعر بالفشل.	٨- عندما يشعر أنها تتوقع منه أن يفهم عليها ماذا تريد منه من غير أن تكلمه بهذا، حيث يشعر هذا بالعجز وعدم القدرة على فهمها.

(١) مبيض، د. مؤمن، التفاهم في الحياة الزوجية، ص ٢٠٠.



العواطف وتسببها للجدل^(١):

مثال على ذلك لننظر في الطرق التالية التي يخفي فيها كل من الزوجين حقيقة عاطفته ومشاعره:

كيف تخفي المرأة عاطفتها الحقيقية:	كيف يخفي الرجل عاطفته الحقيقية:
تقلق المرأة لتتجنب إظهار غضبها أو خيبة أملها أو شعورها بالذنب أو الخوف.	يغضب الرجل ليتجنب إظهار حزنه أو شعوره بالذنب أو القلق والخوف.
قد تبدو المرأة مشوشة مضطربة لتخفي حقيقة شعورها بالغضب أو الانزعاج أو خيبة الأمل.	قد يبدو الرجل غير مبال أو مكترث ليخفي شعوره الشديد بالغضب.
قد تشتكي المرأة بأنها غير مرتاحة لتخفي شعورها بالغضب أو الحزن أو الندم.	قد يشتكي الرجل أنه قد ظلم أو اعتدى عليه ليخفي شعوره بالألم.
قد تظهر المرأة الخوف والشك لتخفي شعورها بالغضب أو الحزن أو الألم النفسي.	قد يشعر الرجل بالغضب أو الثقة بالنفس ليخفي شعوره بالخوف والقلق.
قد تظهر المرأة مشاعر الحزن والأسى لتخفي شعورها بالخوف أو الغضب.	قد يظهر الرجل مشاعر الخجل ليخفي شعوره بالغضب أو الحزن.
قد تبدي المرأة عاطفة المحبة والتسامح لتخفي شعورها بالألم النفسي أو الغضب.	قد يبدي الرجل عدوانية وغضباً ليخفي شعوره بالخوف والتردد.
قد تبدو المرأة في غاية السعادة لتخفي شعورها بالألم بالحزن أو خيبة الأمل.	قد يبدو الرجل شديد الثقة بنفسه ليخفي شعوره بقلّة الكفاءة والتردد.
قد تستعمل المرأة التفاؤل الشديد لتخفي شعورها بالغضب أو الحزن أو اليأس.	قد يستعمل الرجل عاطفة الهدوء والمسائلة ليخفي شعوره بالغضب والحزن.

(١) مبيض، د. مؤمن، التفاهم في الحياة الزوجية، ص ٢١٣.

حل النزاع أو المشكلات^(١)

نشرح هنا خمس مراحل لحل أي مشكلة بطريقة فعّالة تحترم مشاعر الطرفين.

المرحلة	كيفية التصرف	انتبها إلى المحاذير
١- نشوء التوتر: ليلي غاضبة بسبب كمية الوقت الذي يقضيه عمر في العمل.	تحديد وقت مناسب: الاتفاق على وقت للحديث في هذا التوتر أو المشكلة. عندما يستطيع كل منهما الانتباه لما يريد الآخر قوله.	ركزا الانتباه على أمر تحت سيطرتكما ويمكنكما تغييره، مثلاً كيف تشعر بالنسبة للعمل وليس العمل بحد ذاته.
٢- الاستماع والتأكد من الفهم: كلاهما يتناوب بالاستماع وإعادة ما سمعه من الآخر. «هل هناك شيء آخر تريد ذكره؟» «والآن أرجو أن تستمع إلي».	التأكد من أنك تفهم ما يريده: تأكد من صحة فهمك بعد كل عدة جمل. وبعد أن ينتهي الآخر من الكلام يأتي دورك. استمرا بهذا حتى يقول كلاكما ما لديه، ويشعر بأنه قد فهم.	حاولا مقاومة الرغبة في طرح الأسئلة أو المجادلة أو التعليق. استمرا بالاستماع وبالتأكيد من فهم الحاجات والهموم الحقيقية للطرف الآخر.
٣- الذي أريده هو: ليلي: أريد قضاء وقت أطول معك. عمر: إن عملي يتطلب الكثير من الوقت، وهذا هام بالنسبة لي. وأريدك أن تقدرني هذا.	تلخيص ما يريده كل منكما، حدد أثناء الحديث حقيقة ما تريده. وليحاول كل منكما تلخيص ما يريده للآخر.	لا تقلقا أنه في هذه المرحلة الاختلاف الكبير بين رغباتكما. وتابعوا في الاستماع والتأكد من فهم الآخر.
٥- وقت اتخاذ القرار: مثال: جلستين كل أسبوع لمدة (٢٠) دقيقة، يستمع كل منا للآخر (١٠) دقائق. تحديد: متى؟ وأين؟	اتفقا على خطة ما: ادرسا الاحتمالات للاتفاق على التي تلبي حاجات الطرفين. اتفقا على خطة واحدة محددة للتطبيق. متى ستعودان لمراجعة سير هذا الخطة؟.	قد تسيان الخطة المتفق عليها إن لم تكتب. ويفيد استعمال دفتر خاص لكتابة أيضاً يوم ووقت العودة لمراجعة سير الخطة.

(١) مبيض، د. مؤمن، التفاهم في الحياة الزوجية، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

المرحلة	كيفية التصرف	انتبها إلى العاذير
<p>٤- البحث عن احتمالات: ١- الخروج للنزهة في نهاية الأسبوع. ٢- وقت للاستماع كل يوم. ٣- أو عدة أيام كل أسبوع. ٤- أمسية خارج البيت كل أسبوع. ٥- انتهاء العمل مبكراً مرة في الأسبوع.</p>	<p>تفعيل العقل وعرض الاحتمالات: فكرا معا في (٣-٧) احتمالات للحل. لا بأس أن تكون الاقتراحات غير واقعية، ولا حاجة أن تكون عملياً في هذه المرحلة.</p>	<p>لا تقوما هنا بأي نقاش أو إصدار حكم أو الموافقة على أي اقتراح. إن كتابة كل اقتراح يُشعر صاحبه بالاحترام والتقدير.</p>

جدول تقوية العلاقة الزوجية الناجحة^(١)

يوجد في هذا الجدول سبعة اقتراحات مأخوذة من تجارب الكثير من الناس، وهي تساعد على بقاء الحب بين الزوجين حياً ونامياً. ادرسها ثم انظر أيها هام جداً بالنسبة لك، وأيها أقل أهمية؟

الاقترح	التطبيق العملي
<p>١ - موعد أسبوعي: لكما فقط. ويؤجل الحديث في كل المشكلات والصعوبات. ويفضل أن يكون خارج المنزل إذا أمكن.</p>	<p>حاولا في نهاية كل أسبوع أن تخططا لما يمكنكما عمله معاً في الموعد القادم.</p>
<p>٢- المداعبة والاسترخاء والتسليّة: الحديث المباشر باهتمام. التسليّة الخفيفة الظريفة المداعبة واللمس غير الجنسي.</p>	<p>قد يحتاج الواحد منكما أن يسأل نفسه: «كيف يرغب الطرف الآخر أن ألمسه؟ وكيف يجب اللعب والتسليّة؟ وما هي الأمور التي نستمتع القيام بها معاً؟».</p>

(١) مبيض، د. مؤمن، التفاهم في الحياة الزوجية، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.



التطبيق العملي	الاقتراح
<p>هل هناك يوم محدد نستطيع قضاء (٢٠) دقيقة فيه للحديث والاستماع.</p>	<p>٣- وقت لمتابعة ما يجري: (١٠) دقائق للحديث و(١٠) للاستماع يفضل أن يكون مرتين في الأسبوع.</p>
<p>نستطيع تأجيل الجدول الحاد لوقت آخر نتفق عليه. وقد يكون هو وقت (٢٠) دقيقة للحديث والاستماع.</p>	<p>٤- التعامل مع التوترات: وقت للحديث في الصعوبات قبل أن تستفحل. استعمال طريقة الاستماع والتأكد من الفهم.</p>
<p>قد يحتاج أحدهما لعدة جلسات حديث قبل أن يستطيع المسامحة، ويتعهد بألا يعود لفتح الموضوع لمجرد إغائة الطرف الآخر.</p>	<p>٥- المسامحة: أكثر ما يسيء للعلاقة هو الشعور بالألم وسوء الفهم. ولا يمكن للعلاقة الزوجية أن تكون صحيحة حتى تكون فيها المسامحة والمغفرة.</p>
<p>كتابة قائمة بالأعمال التي يمكن أن أقدمها للطرف الآخر. وحاول ترتيب مفاجأة بين حين وآخر.</p>	<p>٦- أعمال المحبة: فكر في أعمال تنم عن محبتك لزوجك، وقم بتنفيذها. مع إعطاء زوجك وقتاً واهتماماً.</p>
<p>قد نستطيع الاتصال بقریب أو صديق لنا عنده خبرة في هذه القضايا، أو بمتخصص نفسي.</p>	<p>٧- البحث عن المساعدة والدعم: حاولا حلّ المشكلات بينكما، ولكن قد تحتاجان لمن يساعدكما إذا كان يصعب عليكما حل المشكلة.</p>

وفي الختام نستخلص ونقول:

الحمد لله الذي أنعم علينا، ونعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، فمن نعم الله الجليلة على عباده، الفكر المدرك للمعرفة والإرادة الممكنة في حرية الاختيار، والحواس الظاهرة والباطنة والرزق والصحة، وتسخير المسخرات في الكون، كالشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والجبال والليل والنهار والأنعام والمراكب وغيرها، واصطفى لنا الدين، وبعث لنا الرسل الأكرمين وخاتمهم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأنزل القرآن الحاوي لما فيه هداية البشر، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم لأجل سعادتهم العاجلة والآجلة، وما أعد الله للمؤمنين المتقين من جنات النعيم يدخلونها يوم الدين بفضل الله ورحمته بهم ومنها عفوه وغفرانه قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ



دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾، وقال تعالى:
﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ لِي إِني عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَنقِبَةُ الدَّارِ
إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ
نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

لقد أكدت نصوص كثيرة جداً أنّ صراط الله الديني الذي اصطفاه الله لعباده صراط مستقيم
واحد، لا تعدد فيه، وهو الدين الذي بينه الله لآدم ولسائر النبيين والمرسلين من ذريته.

ونظراً إلى وحدة صراط الله لعباده جعل الله أتباع جميع الرسل أمّة واحدة، تتلاحق مواكبتها
بقيادة المرسلين، حتى خاتمة الرسالات الربانية التي جعل الله قائدها محمد بن عبدالله ﷺ.

لكن أهواء الناس هي التي كانت السبب في التفرق والتمزق إلى فرق وأحزاب شتى، قال
تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ
﴿٥٣﴾ فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾.

فأعداء النفس من الخارج والداخل ولا يمكن لهذا الإنسان الدفاع عن نفسه إلا بمعرفة العدو،
ولقد تعرفنا سابقاً على القلب والنفس والعقل والحواس، والسبب في انحراف الإنسان عن
الصراط المستقيم.

تعرفنا فيما سبق على كيد العدو إبليس حين شطن عن رحمة الله فأصبح ملعوناً مرجوماً، وعلمنا
أنّ الشيطان في حياة الإنسان لا يعدو أنه مخلوق باستطاعته أن يوسوس في صدر الإنسان
بالشرّ، ويزيّن له ارتكاب الخطيئة، ثمّ إنّ الإنسان هو الذي يرتكب الخطيئة بإرادته الحرة،
ويعتبر مسؤولاً عنها مسؤولية تامة.

وتحققتنا من النصوص القرآنية أنّ الشيطان ليس له سلطان على حياة الإنسان ولا إرادته، إلا من

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٥.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥١ - ٥٤.



سَلِّمْ قِيَادَةَ نَفْسِهِ لَهُ وَتَبِعَهُ مَخْتَاراً لِنَفْسِهِ طَرِيقَ الْغَوَايَةِ، فَوْجُودَهُ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ التَّوْازُنِ بَيْنَ طَرَفِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي امْتِحَانِ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ.

وقد بيّننا الآيات في قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾^(١)، أي: لأقودهم من أحناكهم إلى الغي، ولأستولين عليهم لإغوائهم، فقال الله له كما جاء في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^(٢).

وجاء أيضاً في سورة الحجر ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٣) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ^(٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ^(٥).

وعلمنا أيضاً أنّ وظيفة الشيطان في حياة الإنسان أنها الوسوسة في صدره، ويشعر الإنسان بهذه الوسوسة في صورة خواطر تزيّن له الإثم والمعصية.

وتعرفنا إلى القلب وحديث النفس، وأن الخواطر تدبّ في القلب، وأن منطقة حديث النفس كائنة في قلب كل إنسان، وأن الركن الأول من منطقة حديث النفس النازعان وهما إثنان؛ الأول ويسمى نازع الخير وفطرة الإنسان، ومبعث التقوى والإيمان، والثاني: يسمى نازع الشر والهوى وهو مبعث الفجور والعصيان في الإنسان. والله عزّ وجل ابتلى الإنسان بإيجاد نازعين في النفس أحدهما للفجور والآخر للتقوى، وأن الله عزّ وجلّ ألهمه التقوى والتوبة والإستغفار، أما إلهام الشر فهو من الشيطان وهو النفس الأمارّة بالسوء. فحين تتملك النفس الأمارّة بالسوء يكون لها سلطة على الإنسان أقوى من سلطة الشيطان والآن نسألك بصدق وصراحة:

- هل وقفت أيتها المرأة وقفة مع نفسك؟
- هل سألتها يوماً ماذا تريد؟
- هل سألت نفسك من أنت وما هي هويتك وما هي وظيفتك وما هدفك في الحياة؟
- هل سألت نفسك مرة واحدة وقلت هل نلت السعادة التي أريد؟
- ألم تلاحظي حالة الإكتئاب التي أحاطتك؟ لم لا تحركين ساكناً لكي تغيري حياتك؟
- هل لا حظت أنك تكبرين يوماً بعد يوم وأنّ الزمن يسير سريعاً فتقولين إلى أين المسير؟

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٤٠-٤٢.

- هل جهزت نفسك ليوم المصير؟
 - هل جهزت إجابتك للمولى العلي القدير؟
 - ماذا ستجيبين؟ بعد أن عرفت ما أنعم الله عزّ وجلّ عليك وأكرمك بجميع النعم؟
- قفي الآن وقفة مع نفسك للإجابة عن هذه الأسئلة:

أولاً: ما هدفك في هذه الحياة؟

ما هويتك الحقيقية كإنسان؟

ما وظيفتك في هذه الحياة القصيرة؟

وهل أديتها كما يجب الله ويرضى؟

ثانياً: هل جلست مع نفسك مرة وسألتها ماذا تريد هذه النفس التي بين جنبيك؟

وهل تعرفت عليها وعلى أسرارها وأهوائها؟

ثالثاً: ماذا أريد؟ وأنا لمن أنتقي؟

هل سمعت قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١)؟

آيتها المرأة:

- هل تريدين أن تولدي من جديد؟
- وهل سألت نفسك كيف أولد من جديد؟
- وهل يمكنك بعد هذا العمر أن أعيد ولادتي من جديد؟
- متى يكون التغيير؟ وهل فات الأوان؟
- وما هو التغيير؟ ولماذا التغيير؟



قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ وَحَتَّىٰ يُغَيِّرَ أَمْرًا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (١).

التغيير: هو التحوّل من حالة إلى حالة أخرى.

هل التغيير ظاهرة طبيعية؟

وهل التغيير ضرورة لهذه الحياة؟

نعم التغيير ظاهرة طبيعية وضرورة لهذه الحياة!

أنا والزمن مخلوقان

فإنّ القانون يسري على الإثنين.

الجسم يتغيّر وخلاياك شئت أم أبيت في عملية تغيير مستمرّ.

الزمن: يتغيّر وهو ظاهرة طبيعية. فالزمن هو وحدة الحركة بين جسمين متحرّكين القمر والأرض، والشمس والأرض.

أنا والزمن مخلوقان

فإنّ القانون يسري على الإثنين.
الجسم يتغيّر وخلاياك شئت أم أبيت في عملية تغيير مستمرّ.
الزمن: يتغيّر وهو ظاهرة طبيعية. فالزمن هو وحدة الحركة بين جسمين متحرّكين القمر والأرض، والشمس والأرض.

الأرض حول دورة
القمر تعطينا شهر 30
يوم

دورة الأرض حول
لنفسها تعطينا
يوم، 24 ساعة
دقيقة 60
ثانية 60

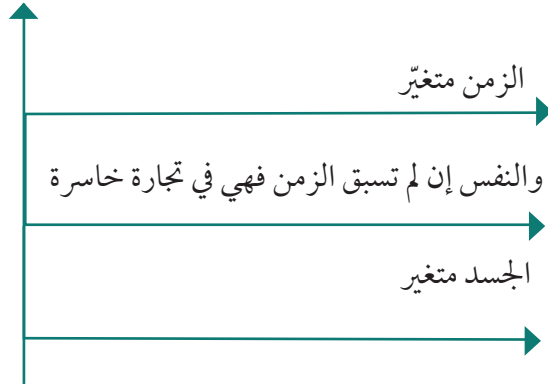
دورة الأرض حول الشمس تعطينا
سنة أي 365 يوم

الشمس

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

هناك قول لأحد الصالحين:

« من تساوى يوماه فهو مغبون » أي صاحب تجارة خاسرة .
ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو محروم .
ومن لم يكن في زيادة وكان في نقصان فالموت خير له .



لذا لا نشعر بالسعادة بالرغم من تحقيقنا لإنجازات كثيرة.

والتائهون وراء أوهام السعادة لم يصلوا إلا لسراب خادع... ولم يحققوا سوى الإكتئاب كيف لا وقد أهملوا فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ونسوا أن الله سبحانه خلق الإنسان وبين له طريق السعادة.

لذا الزمن متغيّر بسننه الكونية والجسد متغيّر، والأصل أن الإنسان في نعمة قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

أولاً: فاقد الشيء لا يعطيه.

ثانياً: متى يكون التغيير؟ (٢).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

(٢) دورة (كيف تولد من جديد) للدكتور عبد الرحمن ذاكر حامد، أعطيت في المعهد العالمي للفكر الإسلامي (بيروت) ٢٠٠٤م بتصرف.



التغيير ضرورة دائمة قال رسول الله ﷺ (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى تغرسها، ليغرسها فله بذلك أجر)^(١).

ثالثاً: أين يكون التغيير؟

هل يكون التغيير بأنفسكم؟

كيف يكون التغيير؟

بمعرفة أن الفطرة السليمة هي (التلقي والاستفهام)

وأسئلتها: ماذا؟ لماذا؟ متى؟ أين وكيف؟

ولا تكون إلا عن طريق العلم والمعرفة.

لقد أثبتت الآيات القرآنية أنّ النفس الإنسانية هي المكلفة والمسؤولة مسؤولية شخصية مباشرة قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣).

ولكي نبدأ أولاً في طريق التغيير لا بد من معرفة دواء شاف، هل تريد الجواب الكافي للسؤال عن الدواء الشافي؟

قال رسول الله ﷺ: (ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله)^(٤).

إن المانع من التغيير هو ما تعلق القلب به، هل سألت نفسك ماذا يملأ قلبك؟ فإنّ النفس لا تترك محبوباً إلا لمحبوب أعلى منه، أو خشية مكروه حصوله أضر عليها من فوات هذا المحبوب، فلا يجتمع في القلب حبّ الله وحبّ الصور، بل هما ضدان لا يجتمعان، بل لا بد أن يخرج أحدهما صاحبه، قال رسول الله ﷺ (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)^(٥)، وفي رواية (من أحبّ الله وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان)^(٦).

لذا هناك أربعة أنواع للمحبة:

- (١) ذكره علي بن علي بن العزيز في المنتخب بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه، (عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، باب الحرث والزراعة).
- (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
- (٣) سورة النساء، الآية: ١١١.
- (٤) رواه الترمذي (٢٠٣٩)، وأبو داود (٣٨٥٥)، ابن ماجه (٢٤٣٦).
- (٥) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٩٢٦)، النسائي (٩٦ / ٨)، ابن ماجه (٤٠٣٣).
- (٦) رواه أبو داود (٤٦٨١).



الأول: محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه.

الثاني: محبة ما يحبه الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يجب أي أن يحب الإنسان عمل كل ما يحبه الله ويرضيه.

الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئاً مع الله، لا لله ولا من أجله ولا فيه، فقد اتخذهُ نداً من دون الله وهذه محبة المشركين.

وبقي الخامس: وهو محبة الطبيعة وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تدم إلا إذا أهدت عن ذكر الله وشغلت عن محبته ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١).

لذا فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين تحت كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا^(٢): بيان شواهد الشرع في المحبة وأسبابها، ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى، ثم بين أن أعظم

اللذات لذة النظر إلى وجهه الكريم في الآخرة في يوم المعاد والحساب.

أما الشواهد:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَدْحَبُ إِلَيْهِ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَاَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ أُقْتَرَفَتْمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: (أحبوا الله لما يغدوكم من نعمة وأحبوني بحب الله)^(٦).

(١) سورة المتافقون، الآية: ٣.

(٢) الغزالي، أبي حامد، إحياء علوم الدين، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. المجلد الرابع، ص ٣٧٥ - ٣٩٠ بتصرف.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٦) راه الترمذي، حديث رقم: ٣٧٨٩، في المناقب ج ٥ / ٦٦٤.



وقد قال نبينا محمد ﷺ في دعائه « اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغنا حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»^(١).

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:

فأول: ما ينبغي أن يتحقق، أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك، إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه، ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب الجماد بل هي خاصية الحي المدرك. ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك، ويلائمه ويلذه، وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلاام أو إلذاذ.

الثاني: أن الحب لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس، فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها، فكانت محبوبات عند الطبع السليم، فلذة العين هي في إدراك المبصرات الجميلة، والصور المليحة الحسنة المستلذة، ولذة الأذن هي في النغمات الموزونة، ولذة الشم تكون في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعوم الشهية، ولذة اللمس هي في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة، أي للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله ﷺ: (حبب إلي من الدنيا: النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة)^(٢)، فسُمّي الطيب محبوباً، ومعلوم أنه لا حظّ للعين

والسمع فيه، بل الشم فقط، وسُمّي النساء محبوبات ولا حظّ فيهنّ إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع، وسُمّي الصلاة قرّة عين، وجعلها أبلغ المحبوبات، ومعلوم أنها لا تحظى بها الحواس الخمس، بل يحظى بها حسّ سادس وظنته القلب ولا يدركه إلا من كان له قلب.

ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصوراً على مدركات الحواس الخمس وحب الله تعالى أعلى من هذه المقامات فتكون لذة القلب بما يؤمن به من الأمور الغيبية التي لا ترى بالحواس ولا تدركه العقول السليمة.

الأصل الثالث: وفيه الأسباب التي تجعل المحبة في القلب:

السبب الأول: أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه، وبيان أن المحبوب الأول عند كل حي: نفسه وذاته، ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ٣٤٩٠، في الدعوات ج ٥ / ٥٢٢.

(٢) رواه النسائي، حديث رقم: ٣٩٣٧، في أول كتاب عشرة النساء ج ٧ / ٦١.



إلى دوام وجوده، ونفرة عن عدمه وهلاكه وهذه غزيرة في الطباع بحكم سنة الله تعالى:
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَتًا مِمَّا يَتَّبِعُونَ الْأَقْبَابَ أَلَمْ يَجْعَلْ لِكُلِّ قَوْمٍ مَتَابَعًا﴾ (١).

السبب الثاني: إن الإنسان عبد الإحسان، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقاً بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقاً، ولو نقص الحب ولو زاد، ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه.

السبب الثالث: أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال من وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظه، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه، وذلك كحب الجمال وذلك لعين الجمال، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها.

ولا تظن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإن قضاء الشهوة لذة أخرى، مثال حب الماء الجاري، وحب الخضرة، فالطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيوار المليحة الألوان، الحسنة النقش المتناسبة الشكل، حتى إن الإنسان لتتفرج عنه الغموم والهجوم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر.

فهذه الأسباب ملذذة، وكل لذيد محبوب، وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة، ولا أحد ينكر كون الجمال محبوباً بالطبع.

السبب الرابع: طبيعة الإنسان أنها تحب التنزه عن الرذائل. طبيعة النفس البشرية أنها تحب الإنسان المستقيم الذي ليس عنده خداع ولا كذب وتكره الكذب ذا الوجوه حتى الكفار لو كانت هذه صفاتهم يجون هذه الصفات الجميلة.

السبب الخامس: المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأوراح فقد ذكر في حديث رسول الله ﷺ (الأرواح جنود مجنودة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) (٢).

فإذاً، ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب هي: حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه. وحب من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده، ويعين على بقاءه ودفع المهلكات عنه وحب من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه، وحب لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة. وحب كان بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن، فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٦٣٨، كتاب: البر والصلة، ج ٣ / ٢٠٣١.



حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب.

بيان أن المستحق للمحبة هو الله:

الأسباب الخمسة لبيان المحبة هي مجتمعة في حق الله تعالى، ووجودها في حق غيره وهم وتخيّل، وهو مجاز محض لا حقيقة له، ومتى ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيره ضد ما تخيّله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً، وبأن أن التحقيق يقتضي أن لا تحب أحداً غير الله تعالى.

أما السبب الأول: وهو حب الإنسان نفسه وبقائه وكماله ودوام وجوده، وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حيّ، ولا يتصور أن ينفك عنها، وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى، فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته، وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله، خلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته، بل هو محض عدم صرف، لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد، وهو هالك عقيم وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقه.

فالله وحده لا شريك له المستحق للمحبة لأنه الغني، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١)، فوصف الغني والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال ووصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار في حبه لله تعالى.

فالله هو المستحق للحب وحده لا شريك له، ومن خلا من الحب هذا فلا أنه اشتغل بنفسه وشهوته وغفل عن نعم الله عز وجل.

أما السبب الثاني: وهو حبه من أحسن إليه فواساه بهاله ولاطفه بكلامه، وأمدّه بمعونته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه، وهذا بعينه يقتضي أن لا يجب إلا الله تعالى فإنه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط، فأما أنواع إحسانه فلا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢).

أما السبب الثالث: فهو حبه للمحسن في نفسه وإن لم يصل إليه إحسانه. وهذا يقتضي حب

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.



الله تعالى بل يقتضي أن لا يجب غيره أصلاً من حيث يتعلّق منه بسبب، فإنّ الله هو المحسن إلى الكافة، والمتفضل على جميع أصناف الخلائق، أولاً: بإيجادهم ثانياً: بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم. وثالثاً: بترفيهم وتنعيمهم.

وأما السبب الرابع: فهو حبّ كل جميل لذات الجمال، فالجميل المطلق هو الله هو الواحد الذي لا شريك له، قائم بنفسه لا يفتقر إلى غيره أزلاً وأبداً، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو سبحانه كان ولا شيء معه ولا شيء قبله وما زال بأسمائه وصفاته واحد أولاً قبل خلقه، فوجود المخلوقات لم يزده كما لا كان مفقوداً، أو يزيل عنه نقصاً كان موجوداً، والجميل سبحانه هو المتصف بالجمال المطلق في ذات الأسماء والصفات والأفعال، قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس)^(١).

الجمال أحد أركان الجلال، والجلال منتهى الحسن والعظمة في الذات والصفات والأفعال، وهو يقوم على ركنين اثنين الكمال والجمال، فالكمال بلوغ الوصف أعلاه، والجمال بلوغ الحسن منتهاه، قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢).

فالحب هذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص.

أما السبب الخامس للحب: فهو التآلف والتناكر وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى، لأن الله عزّ وجلّ هو الذي ألف بين قلوبهم.

فهذه الأسباب الموجبة لمحبة الله وحده لا شريك له فهي فضل من الله علينا فأين أنت أيتها المرأة من حبك لله؟ وهل وجدت بعد هذه الأسباب الموجبة لحب الله عزّ وجلّ تهاوناً في معرفتها؟ إذن، أدعوك إلى الطريق الذي إن سلكته تصلي بإذن الله إلى محبة الله عزّ وجلّ^(٣).

من يدعي محبة الله :

لا تخدعن فللحبيب دلائل

منها تنعمه بمر بلائه

فالمنع منه عطية مقبولة

ومن الدلائل أن ترى عزمه

ولديه من تحف الحبيب وسائل

وسروره في كل ما هو فاعل

والفقر إكرامٌ وبرٌّ عاجل

طوع الحبيب وإن ألح العاذل

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين البرهان نووي، ٦/ ٦٣٩ (١٧١٦٦).

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ص ٣٨٥ - ٣٩٥ بتصرف.



ومن الدلائل أن يرى مبتسماً
والقلب فيه من الحبيب بلائيل
ومن الدلائل أن يرى متفهماً
لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى منقشفاً
متحفظاً من كل ما هو قائل

تأكدي إن لم يملأ قلبك حب الله عزّ وجلّ فلن يكون لديك القدرة على تغيير المفتاح الذي في داخلك مع دفع النفس الأمانة بالسوء أن تحكمك.

فهل تريد العزة؟ هل تريد المحبة؟ هل تريد السعادة؟ هناك طريق واحد نسلكه سوياً لنصل إلى العزة والمحبة والسعادة في الدنيا والآخرة.

أول باب للتغيير هو معرفة النفس: من أنا، ولم أنا؟ معرفة الفطرة معرفة الإجابة عن ماذا عملت وكسبت من عمل صالح حتى هذه الساعة، ولماذا لم أسأل؟ متى أبدأ؟ وأين أبدأ؟ وكيف أبدأ؟ أين يكون التغيير؟

يكون التغيير في النفس وأداتها التدريب!

كيف يكون التغيير؟

آليات ووسائل التغيير الفطرة والمعرفة والعلم؟

الفطرة: سبق وتحدثنا عنها: وهي قاعدة راسخة للانطلاق، ووسيلة مرنة للتغيير.

أما المعرفة فهي الطريق إلى العلم فإذا لم أعرف ما أقول بدأت الطريق نحو الضياع، وتبدأ المعرفة منذ الطفولة: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ، ماذا نقرأ قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .

هذه الآيات هي أهم دعوة إلى اكتساب العلم وأهم وسائل العلم القراءة، لماذا القراءة وماذا نقرأ؟ ظاهر الآيات تقول^(١): اقرأ يا محمد حين عرض جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ . أما أصل القراءة فهي اقرأ بسم ربك الخالق لهذا الإنسان الذي أنشأه بالتدرج شيئاً فشيئاً، وتعهده حالاً فحالاً، وطوراً فطوراً، بحسب فطرته واستعداداته، فهو الذي تعهده بالتغذية والتنمية والإرشاد والإصلاح والتقويم، والحفظ والدعاية والتأديب، والتهديب والتعليم، ويشمل أيضاً الإمداد المستمر بما يحتاج إليه لبقائه وسلامته.

فهل قرأت يا أيها الإنسان صفة الرحمن الخالق ربّ السموات والأرض وربّ السموات السبع

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، المجلد الأول، ص ٤٤ - ٤٧ بتصرف..



وربّ العرش العظيم وربّ المشرق والمغرب وربّ الفلق وربّ الناس وربّ البيت؟.

هل تعرفت أيها الإنسان سبب وجودك في هذه الحياة، هل قرأت أن الله جل جلاله هيأ لك الكون لكي تحقق معنى الابتلاء بوجود عالم الغيب والشهادة. هل عرفت أيها الإنسان أن الله هيأ لك المدارك المحدودة ليظهر إيمان العبد بالغيب وتوحيده لله في أسمائه وصفاته؟ هل قرأت اسم الله الربّ لكي تؤمن به إيمان اليقين؟ فالربّ سبحانه هو المتكفل بخلق الموجودات وإنشائها والقائم على هدايتها وإصلاحها، وهو الذي نظم معيشتها ودبر أمرها. قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

فالرب سبحانه هو المتكفل بالخلائق أجمعين إيجاباً وإمداداً ورعاية وقياماً على كل نفس بما كسبت، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (٢).

فالله هو وحده الخالق وهو وحده المتفرد بتدبير الأمر في خلقه: كهدايتهم والقيام على شؤونهم وتصريف أحوالهم والعناية بهم، فهل وحّد العبد ربّه حين كلفه بإرادة حرة واختيار منه وحده التصديق بما جاء به الله جل جلاله؟ وهل نفذ ما أمره به وشرّعه له؟ فالشريعة إنما هي توجيه العبد لسلوك الأمثل تجاه ما ستأمنه واسترعاه وخوّله وابتلاه، فإنما ما فضل الله به العبد كان بفضل الله ليشكر العبد الله على نعمه ويوحّده في أسمائه وصفاته وأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فهل قرأت وتدبرت الآيات؟ فالقراءة بتفكير وتدبر لأهمّ أمر، وهو تساؤل لك لماذا خلقتني الله في هذه الحياة، وما هي أهمية العلم دون تفكير وتدبر بالمقصد والهدف من ورائه؟ هذان هما أساس المعرفة الحقيقية لوجودك في هذه الحياة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٣) وهؤلاء الذين غطوا أعينهم بغشاء عن معرفة وجودهم في هذه الدنيا، ولم يقرأوا القرآن والآيات الكونية المؤدية إلى ما أمر الله عزّ وجلّ كي ينفذوه في حياتهم اليومية، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعُونَ رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (٤).

أما محاور العلم الرئيسية فهي معرفة هويتك، ومعرفة وظيفتك، ومعرفة هدفك:

هويتك هي: تلك النفس البشرية التي خلقها الله لتكون خليفة في الأرض.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.



فحين تعرفين هويتك اسألني نفسك ما هي علاقتك مع الله وما هي علاقتك مع الناس وما هي علاقتك مع نفسك.

فحين تجيبين عن هذه الأسئلة تتعرفين إلى هويتك.

وظيفتك: هي كل ما من شأنه أن يكون حقاً وواجباً على الإنسان في الحياة.

أول وظيفة: الإنسانية وهي أن تكوني إنساناً، وأول واجب وحق هو معرفة معنى الخلافة والعبودية.

والخلافة: هي تطبيق أوامر الله والنهي عن نواهيه والاحتكام لشرع الله.

ففي كتابنا هذا: حواء: سيكولوجية ما لها وما عليها تعرفنا إلى خلق آدم عليه والسلام علمنا أن حواء خلقت لإبقاء النوع الإنساني، وتعرفنا أن آدم وحواء عليهما السلام أمرا باتباع منهج، وعلمنا أن السير على هذا المنهج أمر لذريته من بعده وعلمنا أن الذرية لو طبقت هذا المنهج لصارت البشرية إلى السعادة، ولكن البشرية تغيرت وجحدت النعمة، وأنكرت أن للنعمة خالفاً، فهل يُبقي الله عليهما الأمن والسلامة والنعم مادامت تغيرت؟؟؟

ما هي معوقات التغيير؟

وما هي المقاومات الداخلية في نفسك التي تشكل قوة سلبية تجعلك تنحرفين عن طريق مسارك^(١)؟

إنها كالتالي:

١- النفس الأمارة بالسوء.

٢- قوى العوى السلبية.

٣- قوة الشيطان السلبية.

أول أعداء الذات الداخلية هي النفس الأمارة بالسوء^(٢) ومكانها كل أنحاء الجسم. وهي تطلب الملك لتقود الذات إلى هلاكها.

وتسيطر على الجسم وعلى إدارة الذات، فتتعرف على نقطة ضعفها وكيفية سعيها إلى إذلال الإنسان وسوقه إلى الهاوية فهي لا تأمر إلا بالسوء، وإذا أعطى الإنسان مقاليد الملك للنفس الأمارة بالسوء أسرع بتوظيف مُستشارين مُهمّين، هما الشيطان الذي يجري من ابن آدم

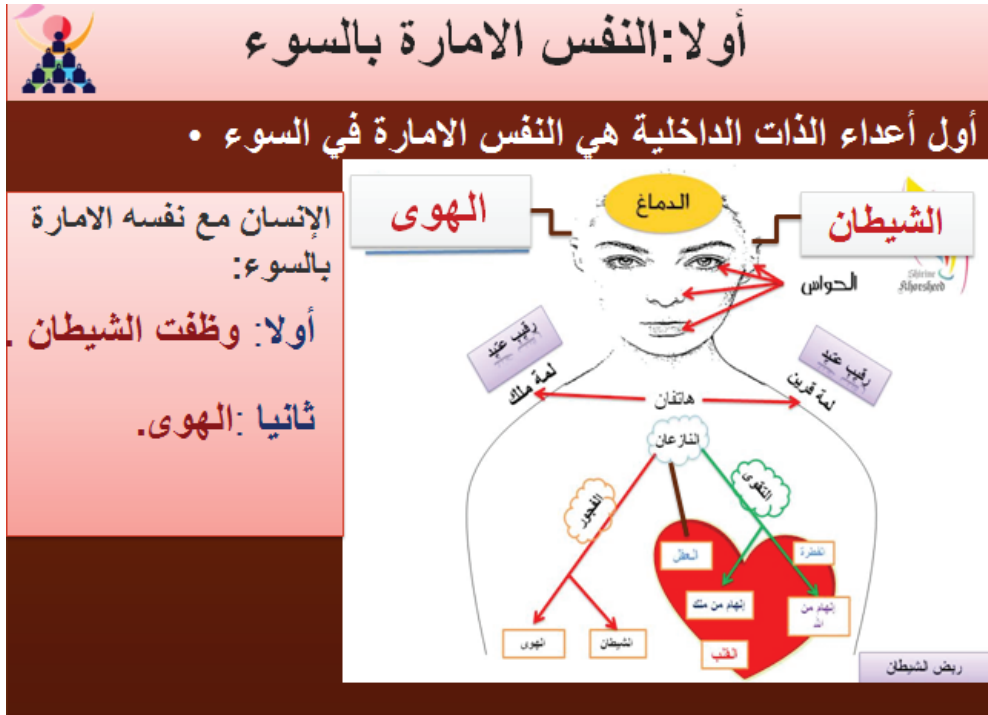
(١) المطوع، نسبة عبد العزيز، قيادة الذات، رؤية تربوية، الكويت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م / ١٤٢٣هـ، ص ٣٩-٤٠ بتصرف ..

(٢) المرجع السابق، ص ٨٥.



مجرى الدم، والهوى الذي تركز مهمته في السيطرة على اتخاذ القرار (العقل). وهي النفس التي تدعو صاحبها إلى أنواع المشتبهات التي لو اتبعها القلب وقع في الغي وانقاد إلى الباطل وإلى كل قبيح ومكروه، وهي دائمة الدعوة، لا تسأم من الأمر بتلبية الرغبة، والحض على ملذات الشهوة الحيوانية في البدن، وقد أخبر سبحانه أنها أمارة بالسوء ولم يقل أمرة لكثرة ذلك منها، وأن الأمر بالسوء عاداتها ودأبها، ولذلك فإن أصحاب النفس الأمارة قوم لا يقومون إلا بما يناسب أهواء نفوسهم، فلا يرضون إلا بتحقيق ما يشتهون، ولا يغضبون إلا عندما يجرمون مما يشتهون، فإذا أعطي أحدهم ما يشتهي من الشهوات زال غضبه، وحصل رضاه. والنفس الأمارة فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له والتعدي عليه في حقه، وداعي الظلم لنفسها بتناول الشهوات القبيحة كالزنا وأكل الخبائث، فهي تظلم من لا يظلمها، وتؤثر هذه الشهوات وإن لم تفعلها قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ اِنْ اَلْنَفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ اِلَّا مَّارِحِمٌ رَّبِّيْ اِنْ رَّبِّيْ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴾ (١).

الإنسان مع نفسه الأمارة بالسوء (٢):



(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٢) المطوع، نسبية عبد العزيز، قيادة الذات وإدارتها، رؤية تربوية، الكويت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م / ١٤٢٣هـ، ص ٨٦-٨٧ بتصرف .



إذا استطاع الإنسان العاقل أن يعزل النفس الأمارة عن مستشاريها (الهوى والشيطان) ضعفت قوتها.

فتحوّل من الشعور بالانتقام إلى الشفقة، والشفقة مصدر قوة للمسلم، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

لذا أيتها المرأة، أول طريق للتغيير بعد معرفة النفس وما تهواه، أن لا نستسلم لها ونجاهدها. فالإنسان لا يستطيع أن يطردها من ذاته، كما أنه يجبها ويسعى إلى دلالها، وهي تسعى إلى إذلاله وسوقه إلى الهاوية، فالإنسان الكيسّ الفطن هو الذي يتحكّم بها فإمرها أن تلتزم منطقة محدودة في ممتلكاتها ولا تخرج عنها مع إعطائها حقوقها كاملة، ويصدر أمرًا بعدم تجولها في أنحاء الجسد إلا في حدود نظام وقوانين الذات وحدود تجوالها « وأنّ لنفسك عليك حقاً ».

النفس الأمارة بالسوء

التغيير من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة:

ما هي النفس اللوامة؟ قال تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(١) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾^(٢).

أقسم الله جلّ جلاله بيوم القيامة يوم البعث ويوم النشور ويوم قيام الخلائق بين يدي الرحمن. وأقسم بالنفس اللوامة^(٣): وهي النفس الهادية، بتلويّمها صاحبها على آثامه، إلى ضرورة معرفة قانون الجزاء وقانون الحساب، فإنّ الذي يقوم بفعل الإثم والخطيئة بإرادته الحرّة، يجب أن يعرف أن هناك قانون جزاء ربانيّ. أما النفس اللوامة في داخل الإنسان، فهي من بديع إتقان صنع الخالق لهذا الإنسان، وإيجادها فيه هو بمثابة دليل على الجزاء الربّاني، وأنه حق لا محالة. إنّ النفس اللوامة تمثّل عنصر الفطرة الخيرة والفاضلة في النفس الإنسانية، لأنها تقوم بوظيفة لوم جانب الإرادة التنفيذية داخل الإنسان على أعماله السيئة، وعلى تقصيراته عمّا ينبغي أن يعمل، كلّما نفذ جانب الإرادة شيئاً من ذلك:

اللّوْمُ: هو العَدْلُ والتشريب وتوجيه الملاحظات النَّقْدِيَّةِ على نَقِيصَة أو إساءة، دون الوصول إلى مستوى الدّمّ والسّتِيمة، ففي اللوم مع الوخز غير العنيف معنى النصّح، وهو شبيه بالعتاب.

والنفس اللوامة^(٤) باعث يهدي صاحب البصيرة المنصف إلى قانون الجزاء الربّاني، وهو يأخذ

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٥.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ١، ٢.

(٣) لميداني، عبد الرحمن حبنكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، المجلد الثاني، ص ٤٦٧-٤٦٩.

(٤) النفس اللوامة لذاتها على إساءتها هو الطرف الأعلى السامي منها، ما لم تفسد بعارض الأمراض. ويقابلها النفس الأمارة بالسوء، التي هي الطرف الأسفل الشهواني منها. وتقع الإرادة المنفذة بين الطرفين، فإما أن تميل في اختياراتها إلى الطرف الأعلى اللوامة، وإما أن تميل إلى الطرف الأسفل الأمار بالسوء.



بأسباب الفكر إلى الإيثار باليوم الآخر للحساب، وفصل القضاء، وتحقيق الجزاء، فإيجاد النفس اللوامة داخل الإنسان أمرٌ عجيب، يستحقُّ أن يُقسَمَ اللهُ به، لآتِه أمرٌ من الخلقِ عظيم، ولأن في القَسَمِ بها توجيه نظر فكر الإنسان لها، لتَهْدِيَهُ إلى قانون الجزاء الربّاني.

ما علاج النفس الأمارة بالسوء؟

١- محاوره النفس والتفاوض معها على أن تعطي حقوقها كاملة مقابل التزامها بالمساحة المقننة لها في القانون النبوي « وإن لنفسك عليك حقاً، ويجرم عليها الخروج والتجوال خارج هذه المنطقة حتى لا تشطح وتستولي على مقاليد الحكم في الذات.

٢- والعلاج الثاني المفيد جداً عملياً يكون بمخالفتها الرأي بعد إعطائها جميع حقوقها كاملة. أما عدو الإنسان فهو الشيطان الرجيم، ولا بد من معرفة طرق الغواية وما توعد به الإنسان!!:

لذا أخذ الشيطان على نفسه عهداً، ليضلن بني آدم، وأن يقعد لهم صراطهم المستقيم: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١﴾ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ (١).

فيما أغويتني: أي بما حكمت عليّ بالغواية إذ لم أنفذ أمرك بالسجود لآدم، وعاندت معاندة رافض لإهيتك.

لأقعدن: لهم صراطك المستقيم: أي لأقعدن لذرية آدم راصداً صراطك المستقيم، حتى أمنعهم من دخوله من بين أيديهم، أو أجذبهم من خلفهم لأخرجهم منه، أو أخرجهم جذباً أو دفعاً من ذات اليمين أو من ذات الشمال وهم سائرون فيه، بشتى الوسائل الإغرائية والإغوائية.

ولكن الله عز وجل عهد إلينا أن لا نعبد الشيطان، وأن نتخذ عدواً، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٢).

روى الإمام أحمد، والنسائي من حديث سبرة بن أبي الفاكه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إنّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أباتك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تُهاجر، وتدع أرضك وسماك، وإنها مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد وهو جهد أي تلف النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتتضح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فمن

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٦، ١٧.

(٢) سورة يس، الآيات: ٦٠-٦٤.



فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة^(١).

الصراط المستقيم^(٢):

ما هو الصراط المستقيم؟

وهل الصراط متغير من أمة إلى أمة؟

وهل الصراط هو الطريق الذي نسلكه في دار الإبتلاء لنصل به إلى دار الجزاء؟

ومن يضع هذا الصراط لكي نسير عليه؟

وهل جميع الناس ينهجون نهج هذا الصراط أم أنهم ينهجون مناهج مختلفة؟ وما هي هذه المناهج؟

ألم يقل الله الذي خلقنا وهو أعلم بمن خلق: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣).

ألم يقل الله تعالى الصراط المستقيم هو ما وصى الله تعالى به رسوله ﷺ ، ليدعو قومه كي يتقوا بسلوكهم إياه عذابه يوم القيامة؟ لقد سنّ الله عزّ وجلّ سنناً كونية، وصراطاً مستقيماً واحداً، لا تعدد فيه، ولا نقصان ولا خلل، وهو المنهاج الذي بيّنه الله لأدم عليه السلام ولسائر النبيين والمرسلين من ذريته.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ط فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْسُقُوا عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾^(٤).

(١) رواه النسائي، حديث رقم ٦ / ٢١، ٢٢، كتاب: الجهاد، باب: ما لمن أسلم وهاجر وجاهد.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، المجلد الأول، معارج التفكير ودقائق التدبر تفسير سورة الفاتحة، ملحق خاص في تفسير الصراط المستقيم، من ص ٣١٩ - ٣٧٣ بصرف.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

(٤) سورة المائدة، الآيات: ٤٨ - ٥١.

لذا نجد اليوم إنَّ الناس يتنهجون مناهج مختلفة في حياتهم، انطلاقاً من المبادئ والأسس الاعتقادية التي يعتقدونها، وهذا هو نظام السلوك الإنساني الذي فطر الله الناس عليه، وجعله سنة من سنن الاجتماع البشري، فمن آمن بالله ورسوله دفعه إيمانه إلى الالتزام بصراط الله المستقيم الذي اصطفاه ديناً لعباده، وتحرى العمل بمنهاجه التفصيلي. ومن اختار لنفسه مبادئ أخرى وضعية من الأوضاع البشرية عمل بما تقتضيه هذه الأوضاع البشرية.

لذا يخطئ بعض المتعجلين في فهم قول الله عزَّ وجلَّ في هذا النص: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فيتصوّر أنّ رسالات الله التي أرسل بها رسله السابقين إلى الأمم مختلفة فيما بينها شرعة ومنهاجاً، وما جاء في الرسالة الخاتمة مشتمل على شرعة ومنهاج مخالفين أيضاً لما جاء في الرسالات السابقة، وجاء هذا الوهم من كون بعض أحكام الفروع التعبديّة قد جاء فيها تكميل أو تعديل أو تيسير، مع أنّ مثل هذا قد حصل في الرسالة الخاتمة نفسها، دون أن يؤثر على وحدة صراط الله، ووحدة شرعته وقد أكدت النصوص الكثيرة جداً أنّ صراط الله الديني الذي اصطفاه الله لعباده صراطٌ مستقيمٌ واحدٌ، لا تعدد فيه وهو الدين الذي بيّنه الله لآدم ولسائر النبيين والمرسلين من ذريته.

ونظراً إلى وحدة صراط الله لعباده جعل الله اتباع جميع الرسل أمة واحدة، تتلاحق مواكبها بقيادة المرسلين، حتى خاتمة الرسالات الربانية التي جعل الله قائدها محمد بن عبد الله ﷺ لكن أهواء الناس هي التي كانت السبب في التفرُّق والتمزق إلى فرقٍ وأحزابٍ شتى، فمن التزم صراط الله الحق واتبع الرسول الخاتم، وعمل بما أنزل الله عليه، وهجر تحريفات المحرّفين وغلّو المغالين، وما أدخل الناس من شريكات وكفرياتٍ فيما ينسب إلى الرُّسل السابقين، كان من الفائزين لما صدقوا الله.

دل على هذه الحقيقة قول الله تعالى في سورة المؤمنون ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١﴾.

شريعة: الشريعة والشريعة في كلام العرب هي مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء فيضاً لا انقطاع له، وحتى يكون ظاهراً معيناً لا يحتاج أن يُنضح بالداء^(٢).

وهنا نلاحظ أن الشريعة تشير إلى المبادئ والأسس الاعتقادية التي يشرعها الناس، فيشربون منها ويستقون مفهوماتهم للحياة وعقائدهم، وهو ما يسمى في اصطلاح القانونيين بالمبادئ الأساسية، أو المواد الدستورية، أو الأسس التي يعتمد عليها الدستور، وقد يُطلقون عليها عبارة

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥١-٥٤.

(٢) لسان العرب، الجزء الثامن، ص ١٧٥ بتصرّف.



«أيديولوجيات».

منهاجاً: المنهاج والمنهج الطريق الواضح، تقول العرب: أنهج الطريق، إذا وضح واستبان، وصار نهجاً واضحاً بيناً.

وهنا نلاحظ أن المنهاج يشير إلى الأحكام التفصيلية لأعمال الحياة وأنواع السلوك فيها، وهذه الأحكام تستند إلى المبادئ والأسس الاعتقادية التي اشترعوها وانطلقوا منها، فهي الأيديولوجيات التي يستندون إليها في رسم مناهجهم في الحياة.

والناس في شرائعهم ومناهجهم على أقسام:

١- فمن يؤمن بالله ورسوله، واليوم الآخر، ويكون صادقاً مخلصاً حريصاً على سعادته ونجاته، يردُّ شرَّعة الله لعباده، ويصدر عنها سالكاً منهاج الله لهم.

وانسجماً مع هذه الفطرة التكوينية، اصطفى الله للناس في الكتب التي أنزلها على رسوله شرعة يشربون منها المبادئ والأسس التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها، ليضمنوا لأنفسهم السعادة العاجلة والآجلة، واصطفى لهم منهاجاً بيناً واضح المعالم موصولاً بالشرعة، وأوصاهم بأن يسلكوه في حياتهم، ليضمنوا لأنفسهم السعادة.

وهذا المنهاج الرباني قد دخل فيه بحسب التكامل البشري، والتطور الإنساني المتكامل، بعض التعديلات، ليلائم الطور الذي وصل إليه الناس، فلما اكتمل التطور البشري أنزل الله عز وجل المنهاج المكتمل على خاتم رسوله.

٢- والذين يشركون بالله، قد اتخذوا لأنفسهم شرعة غير شرعة الله، ولا بد أن يكون لهم منهاج في الحياة منسجم مع شركهم، وهو مخالف حتماً لمنهاج الله للناس.

٣- والذين يحسدون الله جحوداً كلياً، ولا يؤمنون بالغيب، ولا يؤمنون بأنهم مدانون ومجازون، قد اتخذوا لأنفسهم شرعة غير شرعة الله لعباده، ولا بد أن يكون لهم منهاج في الحياة منسجم مع نوع كفرهم بالله واليوم الآخر، وهو مخالف حتماً لمنهاج الله للناس.

فمن اختار شرعة غير شرعة الله، بمقتضى ما وهبه الله من إرادة حرة مختارة، وسخر له المسخرات التي تطيعه بخلق الله، فيحقق بها ما اختار لنفسه، فلا بد أن يتخذ في حياته منهاج سلوك يلائم ما اختار من شرعة، ويمكنه الله من سلوكه بما يسخر له من مسخرات، ومن اختار شرعة الله كذلك فلا بد أن يدفعه إيمانه إلى سلوك منهاج الله لعباده، وبعد وجود الدافع: إما أن يستجيب بإرادته مطيعاً، وإما أن لا يستجيب فيتبع هواه عاصياً.

فالؤمنون شرعتهم ابتغاء مرضاة الله، ومنهاجهم أحكام دينه لعباده.



والكافرون شرائعهم أهواؤهم وضلالات الشياطين، ومناهجهم ما يرضي شهواتهم، ويرسم لهم شياطينهم وواضعو مذاهبهم. وبما أن الناس مختلفون في شرائعهم ومناهجهم، فلا بد أن يفترقوا إلى أمم متخالفة، وهذا من آثار منحهم إرادات حرة لابتلائهم في ظروف الحياة الدنيا. ولو شاء الله أن يجعل الناس أمة واحدة، لسلب الناس إرادتهم الحرة، ولجعلهم مجبورين على الإيمان والإسلام، ولكانوا بذلك أمة واحدة ربانية خاضعة في حركاتها وسكناتها لسلطان قدر الله الجبري.

ولكن هذا يفوت حكمة الابتلاء، الذي هو في الأساس الغاية من خلق الناس مزودين بالصفات التي هم عليها.

فالله عز وجل لم يجعل الناس أمة واحدة بالقهر والجبر، لأن حكمته قد قضت بأن يمتحنهم فيما آتاهم من إرادات حرة، وإدراك للأمور. وعقل، وشهوات، وغزائز وأهواء، وقدرة على الطاعة والمعصية، وفعل الخير وفعل الشر، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعاً.

فقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾: ولكن لم يشأ أن يسلبكم إرادتكم الحرة، ويجعلكم أمة ربانية واحدة، ليبلوكم في ما آتاكم من صفات ميزكم بها على المخلوقات المجبورة التي لا اختيار لها.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ﴾ (١).

وفي هذا بيان المطلوب في الامتحان، وهو فعل الخيرات والاستباق إليها، ليظهر من هو أحسن عملاً، فيجازيهم الله يوم الدين، بحسب سبقهم أو تقصيراتهم جزاء الفضل، وليظهر المسيئون والكافرون الجاحدون، فيعاقبهم الله يوم الدين على سيئاتهم وكفرهم وجحودهم عقاب العدل.

فالمرجع إلى الله هو للحساب وفصل القضاء والجزاء، أما الإخبار بما كان الناس فيه يختلفون إلى شرائع ومناهج، فيكون بكشف الحقيقة التي لا يغشها يومئذ هوى، ولا وساوس شياطين، ولا ضلالات مضلين، ولا زخرف أقوال المغوين المفسدين.

ويومئذ يظهر للجميع أن الحق الذي لا ريب فيه هو شرعة الله ومنهاجه، اللذان أوحى بهما إلى رسله، وأما شرائع الناس ومناهجهم المخالفة له، والمتخالفة فيما بينها، فهي بواطل وزيوف.

ويومئذ تحق كلمة الرحمة والتكريم لمن آمن بالله، وبما أنزل الله على رسله، واستقى من شرعته الطاهرة النقية لعباده، وسلك المنهاج الواضح البين الهادي إلى السعادة العظمى، والذي اصطفاه الله لهم.



أما كيفية تحصين هذه النفس التي بين جنبينا ضد الشيطان فقد أمرنا الله عزّ وجلّ: بالاستعاذة^(١)، وهي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنبه من كل ذي شر، بأن نستعيذ من شر ما خلق وبراً.

لقد أمرنا الله عزّ وجلّ بأن نستعيذ به من شر ما خلق وبراً وذراً في كونه، لأن الاستعاذة به من شرّ ما خلق مظهر من مظاهر الإيمان الصادق. وسلوك نابع من القاعده الإيمانية.

فالمؤمن بالله الذي له ملكوت السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، إذا حذَرَ أو خاف من شر شيء أو من ضره أو أذاه، لا يتعد في دعائه الموجه للغيب بإنس، ولا جن، ولا ملك، ولا حيوان، ولا جماد، ولا روح نبيّ أو رسول أو وليّ أو صالح من صلحاء المسلمين.

إنها يستعيذ بالله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، فهو ربّ الفلق، وهو ربّ الناس، وملك الناس، وإله الناس، وهو رب كل شيء من دونه، وملك كل شيء ومليكه، والمستحق وحده لأن يعبد، والاستعاذة بالغيبيات لون من ألوان العبادة.

وفي الاستعاذة بالله عزّ وجلّ تمكين للقاعدة الإيمانية، وتثبيت عمليّ للاعتقاد بأنّه لا ربّ في الوجود كلّه إلا الله، ولا إله في الوجود كلّه يستحق الإلهية إلا الله، ولا منجي من كلّ المكاره سواه، مع ما في الاستعاذة بالله عزّ وجلّ من عبادة هي من أعمق العبادات وأخلصها، فالاستعاذة من الدعاء. والدعاء عبادة.

أمّا المستعيذ: فإنها يلجئه إلى الاستعاذة بغيره شعوره بضعفه وعجزه عن دفع أو رفع شر أو ضرّ أو أذى يَحْشَاهُ، أو قد مسّه منه شيء.

ومعلوم أنّ الخلق كلّهم ضعفاء تجاه كثير ممّا خلق الله في كونه، وهم فقراء إلى الله جلّ جلاله دون استثناء.

وأما المستعاذ به: فالقاعدة الإيمانية المستقرّة في قلب المؤمن تتضمن أنّ الخلق جميعهم ضعفاء، لا يملكون لغيرهم ولا لأنفسهم جلب نفع ولا دفع ضرّ. إلا بتمكين من الله وتسخير للأشياء، وإذن قدرتي منه.

فالسلطان كلّه في الوجود كلّه له وحده لا شريك له، هو الذي خلق فسوّى، وأخرج من ظلمة العدم إلى نور الوجود، وأمد بالقوى، ومكّن، وسخر، ثمّ هو يأذن إذا شاء أو لا يأذن.

فهو عزّ وجلّ الذي يجب أن لا يستعيذ المستعيذون إلاّ به، وأن لا يدعو الداعون إلاّ إياه.

وأما المستعاذ منه: فهو كلّ شرّ أو ضرّ أو أذى عاجل أو آجل، من كل ما خلق الله، ومن غضب

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبكة، معارج التفكير ودقائق التدبير، المجلد الثاني، ص ٦١ - ٦٣ بتصرف.



الله وسخطه وعقابه، وعذابه، التي تجلبها معاصي العباد، ومن بلائه الذي قد تقضي به مقاديره، مما هو من المكاره، وأذن الله بأن نسأله العافية منه.

والمخلوقات التي يمكن أن تجلب للإنسان الشرّ أو ما يكره من ضرّ أو أذى منبئة في كل ما خلق الله من أنواع وأصناف، بدأ من نفس الإنسان الأمانة له بالسوء بين جنبيه، إلى شهواته الجاحمة، وأهوائه الجانحة، وقواه الطاغية، ثم إلى شيطانه الذي يجري منه مجرى الدم، فإلى سائر شياطين الإنس والجنّ، وسائر ما خلق الله من ظاهر مشهود، أو خفيّ محجوب.

ومن لوازم تحقيق حكمة الابتلاء أن تؤثر أعمال بعض المخلوقات في بعض، فيكون من نتائج هذه التأثيرات نفع وخير من بعض ذوي الإيرادات الحرّة لغيرهم، أو ضرر وأذى وشرّ منهم لغيرهم.

ومن تأثيرات بعضهم على بعض، أعمال إغواء وإغراء ووسوسة وتسويل، حتى يفعل المستجيبون بإرادتهم شرّاً أو ضرّاً أو أذى، أو يحدّثوا إفساداً في الأرض، مع خضوع كل نتائج أعمالهم لسلطان التمكين القدريّ العام، والتسخير للمسخرات في الكون، ومع الإذن من الخالق جلّ جلاله بتحقيقها للابتلاء.

ومما قد يكون له آثار ذوات شرّ وضرّ، وهو يتحرك في الكون بقوانين الله القدرية الجبرية، ما هو داخل في ذات الإنسان، كنفسه الأمانة بالسوء، وبعض دوافعه وغرائزه التي قد تنمو في ذات نفسه، فتحرّض قدرات إرادته على فعل الإثم والشرّ، وقد يدفعها بقوة، كشدّة انفعال الغضب الذي يفسد ميزان العقل، ويضعف مقاومة الإرادة، وكشدّة انفعال العشق أو البغض أو الحقد، أو شدة ثوران الشهوة، أو تملك الطمع أو الخوف أو الجبن، أو ضغط الضائقات المحرجات كال فقر والجوع الشديدين، وأنواع التعذيب والآلام التي ترهق قدرات الاحتمال لدى الإنسان.

والإنس والجنّ لهم آثار ذوات شرّ، وهم يتحرّكون ويتصرّفون في الكون بإرادة حرّة مختارة منحهم الله عزّ وجلّ إياها، ومكنهم من تنفيذ بعض مراداتهم مما يدخل ضمن استطاعة قدراتهم، فيما سخر لهم في كونه.

فالإنس قد يمكرون ويكيدون ويوسوسون بأسباب خفيّة أو ظاهرة، لإنزال الشرّ أو الضرّ، أو الأذى، فيمن يكيدونه، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير، للابتلاء في ظروف الحياة الدنيا.

والجنّ قد يفعلون مثل ذلك، بأسباب خفيّة، مكنهم الله منها، وسخرها لهم، غير أسباب الإنس، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير.

والشياطين وهم كفرة الجنّ ومردتهم قد يوسوسون، ويغرون، ويسولون إطعماً بالباطل، لدفع الناس بوساوسهم، وإغراءاتهم، وتسويلاتهم، إلى الكفر والفسوق والعصيان، وهذا من لوازم



التخير والتمكين والتسخير.

وكل ما لا يملك الناس أسباب الحماية منه، واتخاذ الوقاية من أسباب شره أو ضرره أو أذاه، فقد تكفل الله عز وجل للمؤمنين به، المستقيمين على طاعته، والمستعيزين به، بأن يتدخل لجلل وعلا، ليحميهم ويقيهم من الشرور، ذوات الأثار الضارة في آخرتهم، إذا استعاذوا به حقاً وصدقاً، ولجؤوا إليه من عمق قلوبهم، وتوكلوا عليه، داعين متضرعين له، وقد يدفع عنهم المضارّ الدنيوية، أيضاً، ما لم تكن حكمته قد قضت بأن يتليهم ببعضها، بشرط أن يستعيزوا به حقاً وصدقاً، ويلتجؤوا إليه من عمق قلوبهم، ويتوكلوا عليه، داعين متضرعين له، مخلصين في دعائهم وعبادتهم له.

وقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين الصادقين أن يردّ كيد أعدائهم في نحورهم، وأن يعيذهم من شرورهم، إذا استعاذوا به والتجؤوا إليه.

فالإنسان يتخذ من الأسباب ما مكّنه الله من اتّخاذها، ثم يجد نفسه عاجزاً عن اتّخاذ أسباب هي فوق قدراته، أو لاتقع في دائرة علمه أصلاً.

فماذا يفعل إذن؟!

إنّه لا حيلة له إلا أن يرجع إلى قاعدة إيمانه برّبّه، الذي هو مسبب الأسباب كلها، والمهيمن على كلّ شيء، والعليم الخبير بكل شيء، والذي هو على كلّ شيء قدير.

ولهذا علمنا ربّنا جلّ جلاله أن نستعين به في ممارساتنا لكلّ أسبابنا، فنقول بقلوبنا وألسنتنا: بسم الله الرحمن الرحيم.

وعلمنا ربّنا جلّ جلاله أن نتوكل عليه ليحقق لنا ما نحب من خيري الدنيا والآخرة، وعلمنا أن نقول بقلوبنا وألسنتنا أذكراً وأدعية أنزلها في كتابه، ومنها:

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمْنَابِهِ ﴾.

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾.

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾.

﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

وبالتأمل الدقيق العميق ندرك قضيتين:

القضية الأولى: أن اتّخاذ الأسباب يقع في دائرة الطاعة العملية لله عز وجل.



القضية الثانية: أن التوكّل على الله عزّ وجلّ يقع في دائرة العبادة القلبية والنفسية، لله تبارك وتعالى، ويساعد اللسان هذه العبادة بالذكر اللفظي، الذي قد يجلب التصوّر الذهني، والحضور القلبي النفسي.

أمّا موقف العبد المؤمن تجاه ما لا يملك فحماية نفسه ووقايتها مما قد يتجه نحوه من شرّ أو ضررّ أو أذى.

والاستعاذه بالله عزّ وجلّ هي في الحقيقة توكّل على الله ودعاء له في آن واحد، وهاتان عبادتان في حركات القلب وذكر اللسان.

جاء في السنّة النبوية حول التوجيه للاستعاذه بالله عزّ وجلّ، وحول استعاذات الرسول ﷺ بربه في أدعيته، أحاديث كثيرة، منها ما يلي:

روى مسلم عن أبي هريرة قال: (كان النبي ﷺ يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم ربّ السماوات وربّ الأرضين، ربّنا وربّ كلّ شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شرّ كلّ دابة أنت آخذ بناصيتها، اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغننا من الفقر)^(١).

روى أبو داود عن أبي هريرة، أن أبا بكر قال: حدثنا رسول الله، مرني بكلمات أقولهنّ إذا أمسيت، وإذا أصبحت، قال: (قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، وعالم الغيب والشهادة، ربّ كلّ شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شرّ نفسي، وشرّ الشيطان وشركه)^(٢).

وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود، أن النبيّ ﷺ كان يقول إذا أمسى وإذا أصبح: (أمسينا وأمسي الملك لله، أو أصبحنا وأصبح الملك لله).

ثم يقول: (والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، ربّ أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شرّ هذه الليلة، وشرّ ما بعدها، أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، ربّ أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر)^(٣).

روى مسلم عن عثمان بن أبي العاصي الثقفي، أنّه شكّا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: (ضع يدك على الذي تألم من جسّدك، وقل: بسم الله، ثلاثاً،

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٨٢٧، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم: ٥٠٨٣، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٨٤٦، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعود من شرّ العمل.



وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجدُّ وأُحاذِرُ^(١).
وجاء عند مالك، أن عثمان بن أبي العاصي قال: ففعلت ذلك، فأذهب ما كان بي، فلم أزل أمر
بها أهلي وغيرهم.



(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٢٠٢، كتاب: السلام، باب: استحباب وضع يده على الأُم، مع الدعاء.



خاتمة الكتاب ونتائجه

بعد هذه الدراسة المفصلة للمرأة: جسماً، ونفسياً، وخلقاً، وواجبات، يتبين لنا، ومن دون أي شك أو ارتياب، أن المرأة آية من آيات الله عزّ وجلّ أنعم الله بها على الرجل ليتمّم، وإياها حكمة خلق الله للبشر، إذ استخلفهم في الأرض ليعمروها بحسب شرع الله، وليحفظوا فيها حكم الله وليتواصوا فيما بينهم بما يرضي الله ورسوله.

ومن هنا، نستطيع أن نفهم حكمة الله في خلق آدم وحواء من نفس واحدة، وباختلافات خلقية تقود إلى اختلافات نفسية وسلوكية، واردة، وعضوية مختلفة، إلا أن هذه الاختلافات والتباينات جعلها الله آية من آياته في الخلق، لتتربط وتتناسك فيما بينها وتؤلف نواة أسرة مؤمنة ساكنة آمنة مطمئنة، لأنها ستجد قائديها الاثنین يتعاونان، يتواصلان، ويتمّم أحدهما الآخر، فتبدو العائلة مترابطة متكاتفة يشدّ بعضها بعضاً ويؤازر الفرد منها الآخر لتصبح كالكرة لا ثقب ولا ثغرة، ولا خلاف فيها ولا حسد ولا كراهية، بل هي كرة كاملة يعيش أفرادها في أمن وسلام برعاية أم عطوف وأب قوي مسؤول.

إذا كانت هذه هي الحكمة الإلهية، فمن أين انبعث شعور الرفض والدونية لدى المرأة؟ وما سبب هذه الفوقية والدكتاتورية التي تظلّل شخصية الرجل، وتجعله يبدو دائماً بمظهر العنيد العنيف، والقوي المستبد؟

لا شك أنه الجهل! الجهل بالحكمة الربانية! الجهل بالهدف الذي خلقنا لأجله! الجهل بطبيعة كل فرد من أفراد العائلة نواة المجتمع الكبير! الجهل الذي يعمى البصيرة، ويميت القلب، ويدمّر البيوت ويفكك الأسر.

وخوفاً على الإنسان من غدر الجهل ونتائجه المدمرة، نزلت أول آية من آيات كتاب الله العزيز الكريم يدعو الله فيها الإنسان للتعلّم لأنّ في العلم لبنة من لبنات البناء ومن أسس عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝١﴾.



فلتعتظ، أيتها الأخوات، فلتعتظ، ولنقرأ ... ولتتعلم العلم وأهدافه... ولنعمل بما علمنا، نعش كباراً أحراراً، ونعمر الأرض رياحين وازهاراً، من صنع يدينا، ومن دم قلوبنا، أزهاراً معطرة برحيق الإيمان، ومحضنة بحضن الشرع القويم... ولكن للأسف، فإن المرأة تجهل كيفية خلق الله لها، وتجهل الغرض والهدف الأساسي لخلقها بهذه الطريقة، وترى بأم عينها مدى قوة الرجل البدنية، والفكرية، وتلاحظ تميّزه الاجتماعي في المواقف الصعبة، فتتأثر ويغلب عليها شعورها بالدونية، ويساعدها في تنمية هذا الشعور القوانين الوضعية التي وضعها رجال المجتمع وخرجوا فيها عن الحق في الأحكام... ولو تابعت المرأة، كل امرأة، دراسة منهج الله عز وجل في خلقه، لوجدت أن المرأة والرجل مخاطبان من الله تعالى ومكلفان بالتكاليف الشرعية نفسها، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

سيدتي المرأة:

إعلمي أن الله جلّ جلاله قد أولاك مكانة عظيمة في مجتمعك وبين أهل بيتك. قال رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك.)^(٢).

والرسول ﷺ قال في الأم أيضاً: عن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه، قال: (أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله، فقال: أمك حية؟ قلت: نعم. قال النبي ﷺ: الزم رجلها فثم الجنة)^(٣).

هذا مما يدل على دور المرأة الذي لا يمكن أن يعوّضه مخلوق آخر، ومكانة المرأة في أهل بيتها إذ من واجبهم الاعتراف بفضلها والتذلل لها واحترامها وتقديرها لكسب رضاها.

وإن كانت المرأة هي نصف المجتمع الكبير، والصغير: أسرته، وإن كانت المرأة هي التي تلد، وهي التي تربي، وهي التي تعلم وتنشئ بحسب منهج الله تعالى إذا فهمي الصورة المظلمة للمجتمع كله، فإن صلحت صلح مجتمعهما، وإن فسدت أفسدت العالم كله. فلنهندي بهدي الله تعالى، ولنؤمن بعدل الله في خلقه ولنقم بما يتجانس مع طبيعتنا الإنسانية،

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٤٤٧، كتاب: الأدب، باب: بر الوالدين، وأنها أحق به.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب.



ولنتقِ الله في أنفسنا، نسعد ونُسعد ونَعْلُ ونُفْز، وتطمئن قلوبنا ونفوسنا ولا نعد في حاجة إلى طبيب نفسي ولا إلى دواء يهْدِيء أعصابنا الثائرة، إذ بذلك فقط يتحقق فينا قول الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

فنحمد الله جلَّ جلاله أن هدانا إلى الصراط المستقيم وفضل علينا بكتابة هذه الموسوعة وأعاننا على إعدادها.





أسماء المصادر والمراجع

- ١- أحمد بن علي بن حجر السقلاي، عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ٧٨٧ صفحة.
- ٢- الحافظ ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، لا.ت.
- ٣- صلاح الخالدي، القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، الدار الشامية، بيروت.
- ٤- عبد القاد محمد المكي الكتاني، صفوة الأحاديث النبوية الشريفة، سورية، دمشق، دار الفارابي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٠م، ٦٦٣ صفحة.
- ٥- عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، الطبعة ٣، دار القلم، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، دمشق، ٨٢١ صفحة.
- ٦- عبد القاهر بن طاهر السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ج٣، المكتب الإسلامي، دار الحاني، بيروت/الرياض.
- ٧- محمود سالم عبيدات، العقيدة الإسلامية، دار الفرقان، لا.ت، ١٩٩٨م. ٦٩٥ صفحة.
- ٨- محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ٨٠٨ صفحة.
- ٩- وهبي سليمان غاوجي الألباني، أركان الإيمان، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ٣٢٨ صفحة.
- ١٠- الإمام محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، الجامع الصحيح، (٢٥٦هـ)، بيت الأفكار الدولية للنشر، الأردن، الطبعة الأولى، تحقيق أبو صهيب الكرمي، لا.ت، ١٧٥١ صفحة.
- ١١- أحمد بن علي بن حجر السقلاي، عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ٧٨٧ صفحة.
- ١٢- ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (ت ٢٧٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، مجلدين.
- ١٣- الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (ت ٢٦١)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ١٤٦٢ صفحة.



- ١٤- أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، (ت ٢٤١ هـ) مؤسسة قرطبة، القاهرة، لا ت، وبتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٧٥ هـ.
- ١٥- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، (ت ٢٧٩ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ضبطه وصححه خالد عبد الغني محفوظ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٢ م، ٩٣٤ صفحة.
- ١٦- ابن عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ٢٠ جزء.
- ١٧- حسن حبنكة الميداني، روائع من أقوال الرسول، دار القلم، دمشق، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١ م.
- ١٨- صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيرة آدم عليه الصلاة والسلام، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣ م.
- ١٩- صلاح عبد الفتاح الخالدي، شرح العقيدة الطحاوية، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.
- ٢٠- محمد السفاريني، لوامع الأنوار، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، ٣، جزءان.
- ٢١- شهاب الدين العسقلاني، فتح الباري، احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ٤.
- ٢٢- محمود عبدالرزاق الرضواني، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس دراسة مقارنة، مكتبة سلسبيل، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ٢٣- محمود عبدالرزاق الرضواني، منة القدير، مكتبة سلسبيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.
- ٢٤- محمد متولي الشعراوي، قصص الأنبياء، مكتب التراث الإسلامي، القاهرة.
- ٢٥- عدنان الطرشة، دليلك إلى المرأة، دار الكتاب والسنة، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ١ ط.
- ٢٦- محمد راتب نابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، دار المكتبي، سوريا، دمشق، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م، الطبعة الأولى.
- ٢٧- المرأة المسلمة، وهي سليمان فاوجي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، الثقافة الجنسية، هاني عرموش.
- ٢٨- عبد الرحمن حسن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢ م، ٣ ط.
- ٢٩- عبد الرحمن حبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى.
- ٣٠- وحيد بن عبدالسلام بالي، وقاية الإنسان، من الجن والشيطان، دار ابن رجب، القاهرة فرع المنصورة، ٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٦ م، الطبعة الحادية عشر.
- ٣١- الحجاب، أبو أعلى المودودي، حياتنا الجنسية، صبري القباني، أطفال تحت الطلب، صبري القباني، ليس الذكر كالأنثى، محمد عثمان الحشت، أمراض النساء، محمد رفعت، ألف باء الحياة الزوجية، محمد رفعت،



الحمل والولادة والعقم، محمد رفعت، روعة الخلق، ماجد طيفور، مباديء علم التشريح ووظائف الأعضاء، شفيق عبد الملك، العناية بالطفل والحامل، تعريب إميل خليل يدرس، هموم امرأة في سن اليأس، أيمن الحسيني.

٣٢- طارق كمال النعيمي، سايكولوجية الرجل والمرأة، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية.

٣٣- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، طبعة دار صادر بيروت، وطبعة أخرى اعداد وترتيب يوسف خياط.

٣٤- نسيبة عبد العزيز العلي المطوع، الهوى مُدمر القرار، سلسلة رؤية تربوية، الكويت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٣٥- نسيبة عبد العزيز المطوع، قيادة الذات وإدارتها، سلسلة رؤية تربوية، الكويت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م / ١٤٢٣هـ، ص ٣٩ - ٤١ بتصرف.

٣٦- مأمون مبيض، التفاهم في الحياة الزوجية، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.



الفهرس

٥	المقدمة
٨	الكتاب الأول
٩	همسة ود
١٠	التمهيد
١٧	الفصل الأول: خلق حواء.
١٨	المبحث الأول: خلق آدم عليه السلام
٤٢	المبحث الثاني: خلق آدم وحواء من نفس واحدة
٤٥	المبحث الثالث: اندفاع المرأة والضلع الأعوج
٥٥	الفصل الثاني: مواصفات جسم المرأة
٥٦	المبحث الأول: الهيكل العظمي ووصف أهم أجزائه
٦٦	المبحث الثاني: ممّ يتكون الإنسان عموماً؟؟
٨٦	المبحث الثالث: النفس في القرآن الكريم ومنافذها
١١٥	الفصل الثالث: اختلافات سيكولوجية عامة
١١٦	المبحث الأول: حالات المرأة النفسية
١٣٤	المبحث الثاني: اختلافات أساسية بين الرجل والمرأة
١٤٩	المبحث الثالث: المحادثة بين الرجل والمرأة
١٥٣	الفصل الرابع: احتياجات المرأة العاطفية
١٥٤	المبحث الأول: احتياج المرأة إلى الحب
١٦١	المبحث الثاني: الجدل ونتائجه
٢١٠	خاتمة الكتاب ونتائجه
٢١٣	أسماء المصادر والمراجع

نبذة عن الكتاب:



فالمراة من أجمل منافع الحياة للرجل بدأ من آدم - عليه السلام - إلى جميع الذكور من ذريته، إذ إنه بها يقض بصره، وبها يحصن فرجه، ولقد قدم الله - عز وجل - النساء على الأولاد بذكره للشهوات، مع أن جبهن قد يزول، بينما حب الأولاد لا يزول، لأن حب الولد لا غلو ولا اسراف فيه كحُب المرأة، فكما أن الله بدأ تفصيل حب الشهوات بالنساء، لأن الفتنة بهن أشد، بحسب قول رسول الله - الذي ثبت في الصحيح: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) (١).

مع ذلك فالمراة الصالحة هي خير منافع الدنيا، وعليها أن تحفظ هذا المنافع الخير بمعرفتها لحقوقها وواجباتها ودورها ورسالتها، فهل فكندا هي صورة المرأة اليوم!!

اليوم نواجه التمييزاً لهذه الضكورة لدى كل من الرجل والمرأة، إذ إن جهل المرأة بما أنعم الله - عز وجل - عليها من نعم، أدى إلى تسلط الرجل عليها، فحرمتها حتماً بنتاً فكانت أو أختاً أو أما أو زوجة.

ومما زاد في هذا الظلم فتنة المرأة بما قدم الغرب للمرأة من حقوق أضعفت عليها حقوقها الأصلية التي أنعم الله - عز وجل - بها عليها في جميع أحوالها وحالاتها.

من هنا نذكرنا في إهدائك أيتها المرأة موسوعة - المرأة المسلمة- لتبين للمرأة عامة وللمرأة المسلمة خاصة، كل ما أنعم الله عليها من خصائص وحقوق ضمنت عمداً أو جهلاً في ظل البعد عن منهج الله تعالى.

أيتها المرأة الياحثة عن حقوقك ومقامك كإنسان بشري له دور أساسي في الحياة، القولي موسوعة المرأة المسلمة التي تتضمن ستة كتب، تتناول حياة المرأة عامة منذ لحظة تكوينها إلى لحظة دثرها في التراب، أما موضوعاتها المفصلة فقد وردت مؤلفه بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، تحت العناوين التالية:

الكتاب الأول: حواء: خصائص وسيكولوجية مانها وما عليها..

الكتاب الثاني: نساء مؤمنات عبر التاريخ في ضوء القرآن والسنة.

هذا الكتاب منشور في

